سلسلة الإسلام الصافي – ٦

www.saaid.net/kutob

دليل الحيران

لأجوبة الشبهات الثمان

المتعلقة بإخلاص الدعاء للواحد

الديان

تأليف ماجد بن سليمان الرسي

جمادى الآخرة ١٤٣٤ هـ

مقدمة

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، أما بعد:

فإن الله خلق الجن والإنس ليعبدوه وحده ولا يشركوا به شيئا ، قال تعالى ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ ، والعبادة تشمل كل ما يحبه الله ويرضاه ، من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة.

«فالصلاة والزكاة والصيام والحج وصدق الحديث وأداء الأمانة وبر الوالدين وصلة الأرحام والوفاء بالعهود والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجهاد الكفار والمنافقين ، والإحسان إلى الجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك ، والإحسان إلى البهائم ، والدعاء والذكر والقراءة وأمثال ذلك من العبادة.

وكذلك حبُّ الله ورسوله ، وخشيةُ الله والإنابةُ إليه ، وإخلاصُ الدين له ، والصبرُ لحكمه ، والشكرُ لنعمته ، والرضا بقضائه ، والتوكلُ عليه ، والرجاءُ لرحمته ، والخوفُ من عذابه ، وأمثال ذلك ؛ هي من العبادة لله أيضًا».[1]

وضد العبادة الشرك في عبادة الله ، بأن يجعل الإنسان لله شريكا يعبده كما يعبد الله ، ويخافه كما يخاف الله ، ويتقرب إليه بشيء من العبادات – من دعاء وصلاة أو ذبح أو نذر أو غير ذلك – كما يتقرب إلى الله.

والدعاء عبادة جليلة ، قد خصها الله بالذكر في كثير من الآيات ، وبين النبي ﷺ شرفها في كثير من الأحاديث الصحيحة ، إلا أنه من أكثر العبادات التي شرَّك الناس فيها بين الله وبين خلقه ، فإنك تجد – مع الأسف الشديد – كثيرا ممن ينتسب إلى الإسلام قد وقعوا في دعاء غير الله ، سواءً كانوا من الأنبياء أو الصالحين ، كمن يقول يا نبي الله أغثني ، أويا عبد القادر الجيلاني أشكو إليك ذنوبي ، أو يا بدوي مدد مدد ، أو أشكو إليك نقص رزقي ، أو تسلُّط العدو علي ، أو قلة الولد ، أو أشكو إليك فلانا الذي ظلمني ، أو يقول أنا نزيلك ، أنا ضيفك ، أنا جارك ، أو أنت تجير من يستجير ، أو أنت خير معاذ يستعاذ به ، أو ارزقني الولد ، أو قول القائل إذا عَثَر: يا جاه محمد ، يا ست نفيسة ، أو يا سيدي الشيخ فلان ، ونحو ذلك من الأقوال التي فيها تعلق وتوجه ودعاء لغير الله ، وبعضهم يكتب على أوراق ويعلقها عند القبور ، أو يكتب محضرا أنه استجار بفلان ، ثم يذهب إلى أحد المقبورين بذلك المحضر ليغيثه! وما يدري المسكين أنه قد خلع بفعله هذا ربقة الإسلام من عنقه بدعائه ذلك الميت ، وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم.

---

[1] نقلا من «مجموع الفتاوى» لابن تيمية رحمه الله (١٤٩/١٠ – ١٥٠) بتصرف يسير.

والذين يفعلون هذا عند القبور لديهم حجج يبررون بها ما يفعلونه ، ويزعمون أن تلك الحجج حجج شرعية ، ولكنها عند التمحيص العلمي لا تعدوا عن كونِها شبهًا لا وزن لها ، فهي إما أحاديث ضعيفة أو موضوعة ، أو حكايات ومنامات ، أو أقيسة عقلية فاسدة ، أو فهوم قاصرة للنصوص الشرعية لم تطابق فِهم السلف الصالح.

ولو كان هؤلاء الداعون لأصحاب القبور عقلاء لحكّموا الكتاب والسنة وتركوا ما عداهما مما يصادمهما ، لأن الكتاب والسنة لا يبطلهما شيء ، ولا ينقض دلالتهما شيء ، لأنهما من عند الله ، وكل ما خالفهما من الاقتراحات العقلية وغيرها فهو باطل لا محالة.

وفي هذه الوريقات ؛ ذكرت أهم الشبه التي يتعلق بها الداعون لأصحاب القبور وهي ثمان ، وقد سبق أن أفردت الشبهتين الأوليين منها بالذكر في كتابين مستقلين[٢] ، لعظم البلاء بهما ، ولطول الإجابة عن كل منهما ، وفي هذا الكتاب نقلت الشبهتين والجواب عنهما برُمَّتِهِما ، ليكون الكلام على جميع الشبه في مجموع واحد.

ثم ختمت البحث بملحقين ؛ الأول ذكرت فيه ضوابط علمية يحتاجها المسلم لمعرفة الشبه ، وسبل الوقاية منها.

والثاني فهرست ذكرت فيه أشهر مؤلفات أهل العـــلم في رد الشبهات الواردة على توحيد العبادة ، وأغلب تلك الردود قد أُلِّفت في القرون الثاني عشر وما بعده.

والله أسأل أن يوفقنا والمسلمين جميعا لإخلاص العمل لله وحده ، وأن يجنبنا وإياهم طرق الشرك والغواية ، والله أعلم ، وصلى الله على نبينا محمد ، وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

وكتبه ، ماجد بن سليمان الرسي في الثامن والعشرين من شهر شعبان لعام ١٤٣٣ هجري

www.saaid.net/book ، majed.alrassi@gmail.com

هاتف: ٠٠٩٦٦٥٠٥٩٠٦٧٦١

المملكة العربية السعودية

[٢] وهما «كشف الغِطاء عن عيني من جعل بينه وبين الله واسطة في الدعاء» ، وكتاب «البِضاعة لمبتغي الشفاعة» ، والأول طبعته دار الفرقان بالجزائر ، وكلاهما منشوران في شبكة المعلومات www.saaid.net/kutob .

فهرست عام لمواضيع الكتاب

- تأصيلات علمية بين يدي البحث
- مكانة الدعاء بين سائر العبادات
- تأصيلات في مسألة بالشفاعة
- فصل في بيان أنواع شفاعات النبي ﷺ يوم القيامة
  - **الأولى**: شفاعته لبدء الحساب
  - **الشفاعة الثانية: شفاعته** ﷺ للمؤمنين في دخول الجنة
  - **الشفاعة الثالثة:** شفاعته لمن لا **حِساب** عليهم يوم القيامة في دخول الجنة
  - **الشفاعة الرابعة: شفاعته** ﷺ لعمه أبي طالب لتخفيف العذاب عنه
  - **الشفاعة الخامسة:** شفاعته ﷺ لعصاة المؤمنين من أهل الكبائر ممن دخلوا النار أن يخرجوا منها بعدما عُذِّبوا فيها بقدر ذنوبهم

- **الشبهة الأولى**: شبهة اتخاذ الواسطة والشفاعة في الدعاء ، وبيان بطلانها من ستة عشر وجها:

١. أن الله تعالى أمرنا بأن ندعوه مباشرة بدون اتخاذ واسطة.

٢. أن دعاء غير الله شرك أكبر مهما كانت ذريعته ، وهو قول سائر علماء الأمة من أتباع المذاهب وغيرهم.

أ- قول علماء الحنفية

ب- قول علماء الشافعية

ت- قول علماء الحنابلة

ث- قول علماء المالكية

ج- قول العلماء الغير منتسبين لمذهب معين

٣. أن اتخاذ العبد واسطة بينه وبين ربه هو فِعل مشركي مكة الذين بُعِث فيهم النبي ﷺ .

٤. أن الله لو كان يرضى باتخاذ العبد واسطة بينه وبين ربه لاستفاض الأمر بذلك في الكتاب والسنة.

٥. لو كان اتخاذ الوسائط بين الله وبين خلقه جائزا لفعله الصحابة.

٦. أن متخذيها يَنسون وسائطهم إذا اشتد الكرب ويدعونها في الرخاء.

٧. أن طلب التشفع والتوسط في اللغة وفي الشرع يكون بأن يطلب شخص من غيره أن ينضم إليه ليتوسط له عند ثالث لقضاء

حـاجة ما ، أما الذين يفعله عباد القبور فإنهم يطلبون حاجاتهم من الواسطة نفسها.

٨. ليس في صلاح الموتى ما يوجب اتخاذهم واسطة أصلا

٩. أن قياس الله على ملوك الدنيا باطل من ستة وجوه ؛ العلم والتدبير والغنى والملك والرحمة والقدرة ، والكلام على كل واحد منها.

١٠. أن الله تعالى أخبر بأنه يستجيب للعبد ولو كان عنده معاصي بل لو كان كافرا ، فما الداعي لاتخاذ الواسطة إذن؟!

١١. أن اتخاذ الواسطة يلغي العلاقة المباشرة بين العبد وربه ويقطع الصلة بينهما ، وكفى بهذا خسارة.

١٢. أن متخذ الواسطة قد حرم نفسه من خير كثير ، ألا وهو فرح الله بإقباله إليه.

١٣. أن تلك الوسائط لا تقوم بدعاء الله كما يظنه من يدعوهم ، لأنهم إما جمادات وإما موتى.

١٤. تصريح القرآن بأن أولئك الشفعاء لن يشفعوا لهم يوم القيامة

١٥. أن أولئك المدعُوين من الأنبياء والصالحين – ممن اتخذهم الناس واسطة – هم أنفسهم محتاجون لدعاء الأحياء واستغفارهم لهم.

١٦. أن الاعتماد على مبدأ القياس لتسويغ اتخاذ واسطة بين العبد وبين ربه باطلٌ من وجهين

- **الشبهة الثانية:** الشبهة المتعلقة بشفاعة النبي ﷺ لأمته في الآخرة ، والرد عليها من عشرة وجوه:

١. كون النبي ﷺ شفيع الناس في الآخرة لا يقتضي دعائه للحصول على تلك الشفاعة

٢. أن النبي ﷺ لا يملك الشفاعة أصلا حتى يصح طلبها منه

٣. أن النبي ﷺ وغيره من الشفعاء لا يشفعون لمن شاؤوا يوم القيامة ، بل فيمن تحققت فيه شروط الشفاعة

- فصل في بيان الوسائل الشرعية للحصول على شفاعة النبي ﷺ

٤. أن دعاء غير الله شرك أكبر مهما كانت ذريعته ، لنيل الشفاعة أو غيره ، والشرك محرم في جميع الشرائع

٥. ليس هناك دليل واحد من كتاب الله أو من سنة رسول الله ﷺ الصحيحة أو من إجماع الأمة على جواز طلب الشفاعة من المخلوقين

٦. أن الذين يشفعون يوم القيامة للمؤمنين كثير ، وليس النبي ﷺ وحده ، فلماذا لا تدعوهم أيضا وتطلب الشفاعة منهم؟!

٧. أن الأموات قد انقطعوا عن الحياة الدنيا تماما ، وما عادت تنطبق عليهم قوانين الحياة الدنيا البتة ، فكيف يصح دعاؤهم وطلب الشفاعة منهم؟

٨. أن النبي ﷺ طلب منا أن نصلي عليه وندعو له ، حيا وميتا ، فمن كان هذا حاله فكيف يصح أن تطلب منه الحاجات وهو في

قبره؟!

٩. أن جميع من كانوا يُعبدون من دون الله سَيَخذُلون من كانوا يعبدونهم يوم القيامة ويتبرؤون منهم ، سواء الأنبياء أو غيرهم

١٠. أن أهل السنة لم يذكروا من أنواع الشفاعات ما يطلب منه في قبره

- تنبيه – بيان الشرك الوارد في قصيدة «البردة» لمحمد بن سعد البوصيري

- **الشبهة الثالثة:** شبهة التوسل ، وبيان بطلانها من ثلاثة وجوه

١. أن دعاء الصالحين ليس بوسيلة شرعية أصلا لحصول المقصود

٢. أن الآية الكريمة لا تدل على أن دعاء الصالحين وسيلة لإجابة الدعاء

٣. أن اعتقاد أن الله هو الفاعل والمؤثر والمدبر للكون لا يغني شيئا إذا كان العبد يتوجه لغير الله بدعاء أو غيره

- فصل في ذكر بعض التقريرات العلمية لمسألة أن العبرة بالحقائق لا المسميات

- **الشبهة الرابعة:** دعوى أن عباد القبور ليسوا كفارا ، لكونهم يشهدون أن لا إله إلا الله ، وبيان بطلانها من ثلاثة وجوه

١. أن مجرد التلفظ بـ «لا إله إلا الله» بدون تحقيق شروطها لا يغني شيئا

٢. أن مانعي الزكاة في عهد أبي بكر رضي الله عنه كانوا ينطقون الشهادتين ومع هذا أجمع الصحابة على قتالهم

٣. أن أعظم ما أنكره مشركي مكة وحاربوا النبي ﷺ من أجله مسألة استحقاق الله للعبادة دون من سواه

- **الشبهة الخامسة:** دعوى أن الشرك محصور بعبادة الأصنام ، والجواب عنها من خمسة وجوه:

١. أن الشِّرك في اللغة هو جعل الشيء شراكة بين اثنين

٢. أن الله صرح في القرآن بأن دعاء غير الله شرك وكفر وضلال

٣. جلاء الفرق بين من دعا الله وحده وأنزل به حاجته وبين من أنزل حاجته بغير الله أيا كان ذلك المدعو

٤. الاستدلال بعدم الفرق بين ما كانت عليه العرب في الجاهلية وبين ما يفعله عباد القبور على أن عباد القبور مشركون

٥. أن الكفار الذين بعث فيهم النبي ﷺ ما كانوا كلهم يعبدون الأصنام ، بل كان منهم من يعبد الصالحين ومنهم من كان يعبد غير ذلك

- **الشبهة السادسة:** شبهة التجربة ، والجواب عنها من ستة وجوه
- **الشبهة السابعة:** شبهة تقليد العلماء ، والجواب عن ذلك من خمسة وجوه
- **الشبهة الثامنة:** شبهة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ، وأشهرها سبعة
- فصل في التحذير من الوقوع في الشبهات ، وفيه أحد عشر مبحثا

تأصيل ، الدعاء عبادة

مكانة الدعاء بين سائر العبادات

الدعاء عبادة جليلة ، قد خصها الله بالذكر في كثير من الآيات ، وبيَّن النبي ﷺ شرفها في كثير من الأحاديث الصحيحة ، فمنها حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: إن الله حَيِيٌّ كريمٌ يستحيي إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صفراً خائبتين.[١]

وقال رسول الله ﷺ : لا يُرُدُّ القضاء إلا الدعاء.[٢]

وقال رسول الله ﷺ : ليس شيء أكرم على الله تعالى من الدعاء.[٣]

وقد جاء تصريح النبي ﷺ بتعظيم شأن الدعاء في قوله ﷺ : الدعاء هو العبادة ، وقرأ ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم﴾ إلى قوله ﴿داخرين﴾.[٤]

وحَصْرُ العبادة في الدعاء ليس حصْرا كليا ، بمعنى أن الدعاء يضم جميع أنواع العبادات ، كلا ؛ بل المراد به التنبيه على عِظم الدعاء وشرف مكانته ، وأنه لُبُّ العبادة وخالصُها وركنها الأعظم ، وهو كقوله ﷺ : (الحج عرفة)[٥] ، وقوله ﷺ : (الدين النصيحة)[٦].

وقد شكَّك بعض الناس في كون الدعاء عبادة ، ليصِلوا بذلك إلى جواز صرفِه لغير الله ، وهذا الزعم مردود عليهم ، فقد سمى الله الدعاء عبادةً في قوله ﴿قل إني نهيت أن **أعبد** الذين **تدعون** من دون الله لما جاءني البينات من ربي﴾ ، وقال تعالى ﴿وقال ربكم **ادعوني** أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن **عبادتي** سيدخلون جهنم داخرين﴾ ، أي أذلاء ، فَوَصَفَ اللهُ الدعاء بالعبادة في الآيتين ، فدل ذلك على عِظم شأنه.

كما سمى الله الدعاء دينًا كما في قوله تعالى ﴿فإذا ركبوا في الفلك دَعَوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون﴾[٧].

فجعل الله سبحانه الدين بدلاً من الدعاء ، وعرَّفه بالألف واللام التي تُفيد العهد ، فدل ذلك على أن الدعاء دينٌ ، وما كان دينا فهو عبادة.

---

١ رواه الترمذي (٣٥٥٦) ، وصححه الألباني.

٢ رواه الترمذي (٢١٣٩) ، عن سلمان الفارسي رضي الله عنه ، وحسنه الألباني ، انظر «الصحيحة» (١٥٤).

٣ رواه الترمذي (٣٣٧٠) ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وحسنه الألباني.

٤ رواه أبو داود (١٤٧٩) ، والترمذي (٢٩٦٩) ، وغيرهما عن النعمان بن بشير رضي الله عنه ، وصححه الشيخ الألباني.

٥ رواه النسائي (٣٠١٦) وغيره ، عن عبد الرحمٰن بن يَعمَر رضي الله عنه ، وصححه الألباني.

٦ رواه مسلم (٥٥) عن تميم الداري رضي الله عنه.

٧ سورة العنكبوت: ٦٥ .

ثم إن الله تعالى قد أمر بدعائه ، وكل ما أمر الله بفعله فهو عبادة واجبة أو مستحبة ، كما في الآية المتقدمة ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾ ، وقال تعالى ﴿ادعوا ربكم تضرعا وخفية﴾.

وكذلك النبي ﷺ أمر بدعاء الله ، كما في قوله: فأما الركوع فعظِّموا فيه الرب تعالى ، وأما السجود **فأكثروا من الدعاء** ، فَقَمِنٌ[1] أن يستجاب لكم.[2]

قال الشيخ عبد الله بن عبد الرحمٰن أبابطين[3] رحمه الله:

وكل ما أمر الله به أمر إيجاب أو استحباب فهو عبادة عند جميع العلماء ، فمن قال إن دعاء العبد ربه ليس بعبادة له فهو ضال ، بل كافر.[4]

فصل في الأمر بدعاء الله وحده والنهي عن دعاء غيره

القرآن والسنة يأمران بإفراد الله وحده بالدعاء ، وينهيان عن دعاء غيره ، ومن ذلك قوله تعالى ﴿ادعوا ربكم تضرعا وخفية﴾[5] ، وقوله تعالى ﴿واسألوا الله من فضله﴾[6].

قال الشيخ عبد الرحمٰن بن محمد بن قاسم[7] رحمه الله:

---

١ أي حريٌّ.

٢ رواه مسلم (٤٧٩).

٣ هو الشيخ عبد الله بن عبد الرحمٰن أبابطين ، ولد سنة ١١٩٤ هـ في روضة سدير ، تتلمذ على بعض تلامذة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، تولى القضاء والافتاء ، وصار من أكابر علماء نجد ، حتى لُقِّب بـ «مفتي الديار النجدية» ، برع في الفقه ، ودرَّس في بلاد كثيرة ، وله تلامذة كثر ، منهم أحمد بن إبراهيم بن عيسى (١٣٢٩ هـ) ، شارح نونية ابن القيم ، وعثمان بن عبد الله بن بشر (١٢٩٠ هـ) ، المؤرخ المعروف ، له عدة كتب في الذب عن العقيدة الإسلامية ، منها «الانتصار لحزب الله الموحدين ، والرد على المجادل عن المشركين» ، وكتاب «الرد على البردة» ، وكتاب «تأسيس التقديس في كشف تلبيس داود بن جرجيس» ، وله رسائل وردود بعضها مثبت في كتاب «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» ، وبعضها مثبت في «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية» ، توفي في شقراء سنة ١٢٨٢ هجرية ، رحمه الله رحمة واسعة.

باختصار وزيادة من ترجمته في مقدمة كتابه «تأسيس التقديس في كشف تلبيس داود بن جرجيس» ، وهي من إعداد د. عبد السلام بن برجس آل عبد الكريم رحمه الله ، وانظر للتوسع في ترجمته كتاب «الشيخ العلامة عبد الله بن عبد الرحمٰن أبابطين ، مفتي الديار النجدية» ، تأليف د. علي بن محمد العجلان ، الناشر: دار الصميعي – الرياض.

٤ «تأسيس التقديس في كشف تلبيس داود بن جرجيس» ، ص ١٢٧ .

٥ سورة الأعراف: ٥٥ .

٦ سورة النساء: ٣٢ .

٧ الشيخ عبد الرحمٰن من علماء نجد المعروفين ، ولد سنة ١٣١٩ هـ ، ودرس على يد جملة من علماء نجد ، تميز الشيخ بخدمة التراث العلمي من مصادره ثم تحقيقه وطباعته ، أبرزها فتاوى ابن تيمية ، جمعها في خمسة وثلاثين مجلدا عدا الفهارس ، وطبعت على نفقة الملك سعود بن عبد العزيز رحمه الله عام ١٣٨١ هـ ، وكذا جمع فتاوى علماء نجد بدءا من الشيخ محمد بن عبد الوهاب في القرن الثاني عشر إلى العلماء المعاصرين في زمنه ، وهي المعروفة بـ «الدرر السنية في الفتاوى النجدية» ، وتقع في ستة عشر مجلدا ، وطبعت على نفقة الملك عبد العزيز آل سعود سنة ١٣٥٦ هـ ،

وأما إفراد الله بالدعاء فجاء ذكره في نحو ثلاثمائة موضع منوع ، تارة على صيغة الأمر به ، كقوله ﴿أدعوني أستجب لكم﴾[١] ، ﴿وادعوه مخلصين له الدين﴾[٢].

وتارة يذكره الله بصيغة النهي كقوله ﴿فلا تدعوا مع الله أحدا﴾[٣].

وتارة يقرنه بالوعيد كقوله ﴿فلا تدع مع الله إلهاً آخر فتكون من المعذبين﴾[٤].

وتارة بتقرير أنه هو المستحق للألوهية والتعبد كقوله ﴿ولا تدع مع الله إلهاً آخر لا إله إلا هو﴾[٥].

وتارة في الخطاب بمعنى الإنكار على الداعي كقوله ﴿ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك﴾[٦].

وتارة بمعنى الإخبار والاستخبار ﴿قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السماوات﴾[٧].

وتارة بالأمر الذي هو بصيغة النهي والإنكار ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض﴾[٨].

وتارة أن الدعاء هو العبادة ، وأن صرْفَه لغير الله شرك ﴿ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة﴾ إلى قوله ﴿وكانوا بعبادتهم كافرين﴾[٩] ، ﴿وأعتزلكم وما تدعون من دون الله﴾ إلى قوله ﴿فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله﴾[١٠].

وجمع الشيخ أيضا فتاوى مفتي الديار السعودية الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله في ثلاثة عشر جزءا ، وطبعت بأمر من الملك فيصل بن عبد العزيز رحمه الله في عام ١٣٩٠ هـ.

وللشيخ مؤلفات وشروحات في العقيدة وأصول التفسير والفقه والحديث والنحو ، قد نفع الله بها كثيرا واستفاد منها المسلمون ، رحمه الله وأجزل ثوابه.

توفي الشيخ عبد الرحمن سنة ١٣٩٢ هجرية رحمه الله رحمة واسعة.

١ سورة غافر: ٦٠ .

٢ سورة الأعراف: ٢٩ .

٣ سورة الجن: ١٨ .

٤ سورة الشعراء: ٢١٣ .

٥ سورة القصص: ٨٨ .

٦ سورة يونس: ١٠٦ .

٧ سورة الأحقاف: ٤ .

٨ سورة سبأ: ٢٢ .

٩ سورة الأحقاف: ٥ – ٦ .

١٠ سورة مريم: ٤٨ . ٤٩ .

وفي الحديث: (الدعاء هو العبادة)[1] ، صححه الترمذي وغيره ، وقد أتى فيه بضمير الفصل ، والخبر المعرَّف باللام ليدل على الحصر ، وأن العبادة ليست غير الدعاء ، وأنه مُعظم كل عبادة[2] ، ونهى أن[3] يشرك معه أحد فيه ، حتى قال في حق نبيه ﷺ ﴿قل إنما أدعوا ربي ولا أشرك به أحداً﴾ [4] ، وأخبر أنه لا يَغفر أن يشرك به.[5] انتهى.

قلت: ومن أدلة وجوب إفراد الله بالدعاء ؛ حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، أن النبي ﷺ قال: إذا سألت **فاسأل الله** ، وإذا استعنت فاستعن بالله.[6]

فلو كان سؤال غير الله جائزا لأرشده النبي ﷺ إلى ذلك بقوله : واسألني ، أو: استعن بي ، فلما لم يقع هذا – والمقام مقام تعليم – دلَّ ذلك على أن سؤال غير الله لا يجوز.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال: ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر ، يقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟[7]

وقد جاء النهي صريحا عن دعاء غير الله في حديث ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: من مات وهو يدعو من دون الله نِدًّا[8] دخل النار.[9]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : تخرج عنق من النار يوم القيامة ، لها عينان تبصران ، وأذنان تسمعان ، ولسان ينطق ، يقول: إني وُكلت بثلاثة: بكل جبار عنيد ، **وبكل من دعا مع الله إلها آخر** ، وبالمصورين.[10]

قال الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي[11] رحمه الله في تفسير قوله تعالى ﴿يسأله من في السماوات والأرض﴾[1]:

---

١ تقدم تخريجه.

٢ صدق رحمه الله ، فلا تكاد تخلو عبادة من دعاء ، فالصلاة والحج والأذكار والجهاد كلها عبادات يُشرع فيه دعاء الله عز وجل ، فضلا عن كون الدعاء بحد ذاته عبادة مستقلة.

٣ في المطبوع: (ألا) ، وهو خطأ ظاهر ، فلعله خطأ في النسخ ، والصواب ما أثبت.

٤ سورة الجن: ٢٠ .

٥ «السيف المسلول على عابد الرسول» ، ص ١٣١ – ١٣٢ ، باختصار وتصرف يسير.

٦ رواه الترمذي (٢٥١٦) ، وأحمد (٣٠٣/١) ، وصححه الألباني.

٧ رواه البخاري (١١٤٥) ، ومسلم (١٧٧٢) ، وغيرهما.

٨ الند هو المثيل والنظير.

٩ رواه البخاري (٤٤٩٧) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

١٠ رواه الترمذي (٢٥٧٤) ، وصححه الألباني.

١١ هو الشيخ العلامة المفسر الفقيه عبد الرحمٰن بن ناصر السعدي ، من فحول علماء نجد ، استوطن بلدة عنيزة من مدن القصيم ، ولد عام ١٣٠٧ وتوفي عام ١٣٧٦ هجري ، تتلمذ على يده عدد من الطلبة صاروا فيما بعد من علماء المسلمين ، كالشيخ عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل ، والشيخ عبد الله بن عبد الرحمٰن البسام ، والشيخ محمد بن صالح بن عثيمين وغيرهم ، رحم الله أمواتهم وحفظ أحياءهم.
انظر ترجمته في كتاب «علماء نجد خلال ثمانية قرون» ، للشيخ عبد الله بن عبد الرحمٰن البسام رحمه الله.

أي هو الغني بذاته عن جميع مخلوقاته ، وهو واسع الجود والكرم ، فكل الخلق مفتقرون إليه ، يسألونه جميع حوائجهم بحالهم ومقالهم ، ولا يستغنون عنه طرفة عين ولا أقل من ذلك ، وهو تعالى ﴿كل يوم هو في شأن﴾[1] ، يغني فقيرًا ويجبر كسيرًا ، ويعطي قوما ويمنع آخرين ، ويميت ويحيي ، ويخفض ويرفع ، لا يشغله شأن عن شأن ، ولا تُغَلِّطُه المسائل ، ولا يُبرِمُهُ[2] إلحاح الملحين ، ولا طول مسألة السائلين ، فسبحان الكريم الوهاب الذي عمَّت مواهِبه أهل الأرض والسماوات ، وعم لُطفُه جميع الخلق في كل الآنات واللحظات ، وتعالى الذي لا يمنعه من الإعطاء معصية العاصين ، ولا استغناء الفقراء الجاهلين به وبكرمه.[3]

---

١ سورة الرحمٰن ، الآية ٢٩ .

٢ أي يُمِلُّه ويُضجره. انظر «لسان العرب».

٣ «تيسير الكريم الرحمٰن في تفسير كلام المنان».

تأصيلات علمية في مسألة الشفاعة

الشفاعة حق ثابت ، بالكتاب والسنة وإجماع المسلمين ، والشفاعة في أصل معناها اللغوي من «الشفع» وهو «الزوج» ، وهو ضد «الوتر» ، فانضمام الفرد مع الفرد ليكون زوجا يسمى شَفعًا.

ولكلمة «الشَّفع» تفريعات عدة ، فوساطة الرجل لأخيه عند ثالث ليسامحه عن خطأ – مثلا – تسمى شفاعة ، سميت بذلك لأن الوسيط انضم إلى طالب الوساطة فصارا شفعا بعدما كان فردا ، وهذا النوع من الشفاعة هو الذي يسمى في زماننا بالوساطة.[1]

والنبي ﷺ يسمى بالشَّافِع ، لأنه يشفع للناس يوم القيامة عند الله عدة شفاعات كما سيأتي ، والشفعاء عدة ، فسائر الأنبياء يشفعون ، والمؤمنون يشفعون ، والملائكة يشفعون ، والأطفال يشفعون ، والقرآن يشفع لِقُرَّائه ، والصوم يشفع ، فاللهم اجعلنا ممن تدركهم شفاعة الشفعاء يوم القيامة.

وسِرُّ الشفاعة إظهار فضل الشفعاء يوم القيامة ، وأعظم الشفعاء يوم القيامة النبي محمد ﷺ ، فإن له يوم القيامة خمس شفاعات ، أربع منها خاصة به ، وواحدة يشترك فيها مع سائر الشفعاء.

فصل في بيان أنواع شفاعات النبي ﷺ يوم القيامة

الأولى: شفاعته لبدء الحساب ، وهي أَوّل الشفاعات ، وتسمى بالشفاعة العظمى ، حيث إن الناس يوم القيامة يطول بهم الموقف ، ويشتد بهم الكرب ، مؤمنهم وكافرهم ، وتدنو الشمس منهم حتى تكون قدر مِيل ، فيذهبون إلى الأنبياء ليشفعوا لهم عند ربهم لبدء الحساب ، ليرى كل سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار ، فيعتذر عنها الأنبياء الخمسة ، آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام ، ثم يُحيلهم عيسى ﷺ إلى محمد ﷺ ، فيذهبون إليه ﷺ فيقول: (أنا لها) ، فيسجد تحت العرش ما شاء الله أن يسجد ، ثم يَفتح الله عليه من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يَفْتَحهُ على أحد قبله ، ثم يُقال له: (ارفع محمد ، وقُل يُسمع ، واشفع تُشَفَّع ، وسَل تُعطَ) ، فيشفع لأهل الموقف عند الله لبدء الحساب فيقبل الله شفاعته ، فيبدأ الحساب وفصل القضاء بين العباد كلهم ، مؤمنهم وكافرهم ، من لدن آدم إلى قيام الساعة.[2]

وهذه الشفاعة خاصة بالنبي ﷺ ، فعن جابر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: أعطيت خمسا **لم يُعطهنَّ أحد قبلي** ؛ نُصِرت بالرعب مسيرة شهر ، وجُعِلت لي الأرض مسجدا وطهورا ، فأيُّما رجل من أمتي أدركته الصلاة

---

١ انظر معنى الشفاعة بتوسع في «لسان العرب» ، مادة «شفع».

٢ أحاديث الشفاعة متواترة ، وردت عن جمع من الصحابة في الصحيحين وغيرهما ، انظر «صحيح البخاري» (٤٤٧٦ ، ٤٧١٢ ، ٦٥٦٥ ، ٧٤١٠ ، ٧٤٣٩ ، ٧٤٤٠ ، ٧٥١٠) ، و «صحيح مسلم» (١٩٣ – ١٩٥) عن أنس وأبي هريرة وأبي سعيد الخدري وحذيفة ، رضي الله عنهم.

فليصلِّ ، وأُحِلَّت لي الغنائم ولم تَحِل لأحد قبلي ، **وأُعطِيتُ الشفاعة** ، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبُعِثت إلى الناس عامة.[1]

وهذه الشفاعة هي المقام المحمود الوارد ذكره في قوله تعالى ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا﴾[2] ، وهو المقام الذي يَحمدُه فيه الأوَّلون والآخِرون يوم القيامة ، ويغبِطونه عليه ، إذ تكون له المنة على جميع الخلق في بدء الحساب ، مؤمنهم وكافرهم ، إنسهم وجِنُّهم.

وقد حث النبي ﷺ على الدعاء له بنوال هذ المقام المحمود ، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: من قال حين يسمع النداء: (اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة ، آتِ محمدا الوسيلة والفضيلة ، **وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته**) ؛ حَلَّت له شفاعتي يوم القيامة.[3]

ولِعِظَمِ شأن هذه الشفاعة سماها أهل العلم بالشفاعة العظمى ، وهي أوَّل الشفاعات التي تكون يوم القيامة.

الشفاعة الثانية: شفاعته ﷺ للمؤمنين في دخول الجنة ، فإن المؤمنين إذا أتوا الجنة وجدوا أبوابها مغلقة ، فعندئذ يطرق النبي ﷺ باب الجنة ، فيقول خازن الجنة[4]: من أنت؟

فيقول: محمد.

فيقول: بك أُمِرت ألاّ أفتح لأحدٍ قبلك.[5]

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **أنا أول الناس يشفع في الجنة** ، وأنا أكثر الأنبياءِ تَبَعاً[6].[7]

فالنبي ﷺ هو أول من يدخل الجنة ، ولا يدخلها أحد قبله ، وفي هذا إظهارٌ لشرف النبي ﷺ وفضلِه ، إذ أنه صاحب الشفاعة العظمى ليريح الناس من كُرُبات المحشر ، وصاحب الشفاعة الثانية لنيل الفرح والسرور بدخول الجنة.

---

١ رواه البخاري (٣٣٥) ومسلم (٥٢١) ، واللفظ للبخاري.

٢ سورة الإسراء: ٧٩ .

٣ رواه البخاري (٦١٤).

٤ الخازن هو الحافظ للشيء ، وقد اشتهر عند الناس تسميته بـ «رضوان» ، وهذا لا دليل صحيح عليه ، والصواب تسميته بخازن الجنة كما جاء في الحديث ، أفادني بها الشيخ محمد بن علي آدم الأثيوبي حفظه الله.

٥ رواه مسلم (١٩٧) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

٦ أي أتباعا من الناس.

٧ رواه مسلم (١٩٦) واللفظ له ، وأحمد (٣/١٤٠) والدارمي في المقدمة ، باب ما أُعطي النبي من الفضل.

الشفاعة الثالثة: شفاعته لمن لا حِساب عليهم يوم القيامة في دخول الجنة ، ودليلها حديث أبي هريرة رضي الله عنه الطويل في الشفاعة ، وفيه: يا محمد ، أَدخِل من أمتك من لا حِساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة[1] .[2]

الشفاعة الرابعة: شفاعته ﷺ لعمه أبي طالب لتخفيف العذاب عنه ، لأنه كان يدافع عنه ويرد عنه أذى المشركين ، فعن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه أنه قال للنبي ﷺ : ما أغنيت عن عمك؟ فوالله كان يحوطُكَ[3] ويغضب لك.

قال: هو في ضَحضاح[4] من نار ، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار.[5]

الشفاعة الخامسة: شفاعته ﷺ لعصاة المؤمنين من أهل الكبائر ممن دخلوا النار أن يخرجوا منها بعدما عُذِّبوا فيها بقدر ذنوبهم ، ودليلها حديث أنس بن مالك رضي الله عنه الطويل ، وفيه أن النبي ﷺ يوم القيامة يستأذن ربه في الشفاعة للمؤمنين **من أهل الكبائر الذين في النار** في الخروج منها ودخول الجنة ، فيقبل الله شفاعته فيهم ، ويَحُد له حدًّا ، أي يُقدِّر له قدرا من الناس يُخرجهم من النار ويدخلهم الجنة ، ثم يعود عليه الصلاة والسلام إلى ربه فيقع ساجدا ، فيدعه الله ما شاء الله أن يدعه ثم يقول له: (ارفع محمد[6] ، وقُل يُسمع ، واشفع تُشَفَّع ، وسَل تُعطَ) ، قال: فأرفع رأسي ، فأثني على ربي بثناءٍ وتحميدٍ يُعلِّمَنيه ، قال: (ثم أشفع فيحُد لي حدًّا) ، فيخرجهم فيدخلهم الجنة ، ثم يعود الثالثة والرابعة فيفعل مثل ما فعل في الثانية ، وهكذا أربع شفاعات من الرسول ﷺ لعصاة المؤمنين في الخروج من النار ودخول الجنة ، ثم قال: (حتى ما يبقى في النار إلا من حبسه القرآن)[7] ، أي وجب عليه الخلود في النار أبد الآباد لأنه مات كافرًا ، قال تعالى ﴿إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية﴾[8].

ثلاث تنبيهات

---

١ قلت: في هذا تنبيه لفضلهم ، فإن للجنة سبعة أبواب كما جاء في التنزيل ﴿لها سبعة أبواب﴾ ، وكونهم يدخلون من الباب الأيمن منها فيه تنبيه لفضلهم ، فإن فضل التيامن معلوم في الإسلام.

٢ رواه البخاري (٤٧١٢).

٣ يحوطك أي يصونك ويذب عنك.

٤ الضَّحضاح في الأصل ما رقَّ من الماء على وجه الأرض مما لم يبلغ الكعبين ، واستُعير هنا للنار. انظر «النهاية».

٥ رواه البخاري (٣٨٨٣) ومسلم (٢٠٩) وأحمد (٢٠٦/١).

٦ في رواية عند البخاري (٧٥١٠): يا محمد ، ارفع رأسك ...

٧ رواه البخاري (٦٥٦٥) ومسلم (١٩٣) ، وانظر (٤٤٧٦) ، (٧٤١٠) ، (٧٤٤٠) ، (٧٥١٠).

٨ سورة البينة: ٦ .

الأولى: هذه الشفاعة من النبي ﷺ لعصاة المؤمنين من أهل الكبائر ممن دخلوا النار **أن يخرجوا منها** هي أعظم الشفاعات بعد الشفاعة العظمى ، وهي التي عناها النبي ﷺ بقوله: شفاعتي **لأهل الكبائر** من أمتي.[١]

ومن أدلتها حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: لكل نبي دعوة مستجابة يدعو بها ، وأريد أن أختبئ دعوتي شفاعة لأمتي في الآخرة.[٢]

وفي رواية لمسلم: لكل نبي دعوة مستجابة ، فتَعجَّل كل نبي دعوته ، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة ، **فهي نائلةٌ**[٣] **إن شاء الله** من مات من أمتي لم يشرك بالله شيئا.[٤]

التنبيه الثاني: قال ابن القيم[٥] رحمه الله: وأكثر الأحاديث صريحة في أن الشفاعة في أهل التوحيد من أرباب الكبائر إنما تكون بعد دخولهم النار ، وأمَّا أن يُشفَّع فيهم قبل الدخول فلا يدخلون فلم أظفر فيه بنص.[٦]

التنبيه الثالث: هذه الشفاعة – أي الخامسة – مشتركة بين النبي ﷺ وبين غيره من الشفعاء ، فقد ثبت أن الأنبياء والمؤمنين والملائكة يشفعون للمؤمنين ممن استحقوا دول النار في الخروج منها بعد أن نالوا قسطهم من العذاب ، فيقبل الله شفاعتهم فيُخرِجون من شاء الله خروجهم ، إلا أن للنبي ﷺ خَصيصة ، وهي أنه سيشفع أربع مرات لإخراج أهلُ كبائر من أمته من النار.[٧]

وبعد شفاعة الشفعاء يُخرج الله أناسا من النار ويدخلهم الجنة بلا شفاعةٍ من أحد ، ثم تنطبق النار على من فيها وتؤْصد على من فيها من الكفار ، ويبقَون فيها أبد الآباد أجارنا الله منها ، إذ إن الكفار قد حكم الله عليهم بالخلود الأبدي السرمدي في النار ، ولن يخرج منها أحد منهم ، سواء شفع لهم أحد أم لم يشفع لهم أحد ، قال

---

١ رواه الترمذي (٢٤٣٥) ، وأبو داود (٤٧٣٩) ، وأحمد (٢١٣/٣) ، وصححه الألباني في «المشكاة» (٥٥٩٨- ٥٥٩٩) عن أنس رضي الله عنه.

٢ رواه البخاري (٦٣٠٤) ومسلم (١٩٨) وابن ماجه (٤٣٠٧) وأحمد (٢٧٥/٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه ، واللفظ للبخاري.

٣ نال أي أصاب ، كما في «لسان العرب» ، والمعنى أن الشفاعة ستصيب من مات لا يشرك بالله شيئا.

٤ رقم (١٩٩).

٥ هو محمد بن أبي بكر بن سعد الزُّرعي ثم الدمشقي ، المعروف بابن قيم الجوزية ، من علماء المائة الثامنة ، لازم شيخه ابن تيمية إلى أن مات سنة ٧٢٨ ، فكان من كبار تلامذته ، ثم حمل بعده لواء الدعوة والجهاد العلمي إلى أن مات سنة ٧٥١ ، كان واسع المعرفة ، قوي الحجة ، دقيق الاستنباط ، كثير المصنفات ، ومؤلفاته مقبولة عند جميع الناس ، حتى صار من بعده عيالا عليه ، نصر العقيدة الإسلامية نصرا مؤزرا ، ورد على المبتدعة نظما ونثرا ، لاسيما المتفلسفة والقبورية والمؤولة والمتصوفة ، رحمه الله رحمة واسعة ، فقد جدد هو وشيخه دين الله ، فكانا منعطفا في حياة الأمة الإسلامية. انظر ترجمته في «شذرات الذهب» لابن العماد و «ذيل طبقات الحنابلة» لابن رجب ، ومن أجمع من ترجم له الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد رحمه الله في كتابه «ابن قيم الجوزية ، حياته وآثاره».

٦ «تهذيب السنن» ، كتاب السنة ، باب في الشفاعة ، (٢٢٦٩/٥ – ٢٢٧٠) ، الناشر: مكتبة المعارف – الرياض.

٧ وانظر الكلام حول هذه الشفاعات الخمس في المرجع السابق.

تعالى ﴿إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا * خالدين فيها أبدا لا يجِدون وليا ولا نصيرا﴾[1] ، وقال تعالى ﴿والذين كفروا لهم نار جهنم لا يُقضى عليهم فيموتوا ولا يُخفف عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور﴾[2].

إشكال والجواب عليه

فإن قيل : كيف الجمعُ بين حصول شفاعة الرسول ﷺ لعمه أبي طالب – وقد مات كافرا – ، وقوله تعالى ﴿فما تنفعهم شفاعة الشافعين﴾ ؟

فالجواب : أن شفاعته له ليست في إخراجه من النار كما هو الحال لعصاة المؤمنين ، وإنما لمجرد تخفيف العذاب فحسب ، جزاء له ، لأنه كان يحوط النبي ﷺ ويدافع عنه.

وللشيخ حافظ بن أحمد الحكمي[3] رحمه الله أبيات في أنواع الشفاعات ، ذكرها في منظومته «سلم الوصول إلى علم الوصول» ، يحسُن ذكرها في هذا المقام ، قال فيها:

كذا له[4] الشفاعة العظمى كما ... قد خصه الله بها تكرما

مِن بعد إذن الله لا كما يرى ... كلُ قَبوري على الله افترى

يشفعُ أولا إلى الرحمٰن في ... فصل القضاء بين أهل الموقفِ

من بعدِ أن يطلبها الناس إلى ... كل أولي العزم الهداة الفضلا

وثانيا يشفع في استفتاحِ ... دار النعيم لأولي الفلاحِ

---

١ سورة الأحزاب: ٦٤ – ٦٥ .

٢ سورة فاطر: ٣٦ .

٣ هو الشيخ العلامة حافظ بن أحمد بن علي الحكمي ، أحد علماء المملكة العربية السعودية ، وعلم من أعلام منطقة الجنوب ، طلب العلم على الشيخ عبد الله بن محمد القرعاوي رحمه الله ، صنف منظومات عدة في العقيدة والفقه والمصطلح والسيرة والفرائض والآداب ، وقد قام الملك الراحل سعود بن عبد العزيز آل سعود رحمه الله بطباعة كتبه كلها ، وله الكتاب المشهور «معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد» ، تنقل في الدعوة بين قرى منطقته ، واستفاد منه طلبة علم كُثُر ، صاروا فيما بعد علماء وقضاة ودعاة ، توفي رحمه الله عن خمس وثلاثين سنة في عام ١٣٧٧ هـ في مكة بعد أن قضى مناسك الحج على إثر ضربة شمس ، رحمه الله رحمة واسعة ، وأسكنه فسيح جناته.

باختصار من ترجمته لابنه د. أحمد بن حافظ الحكمي ، وتقع في مقدمة كتابه «معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد» ، الناشر: دار ابن الجوزي – الدمام.

وانظر ترجمته لتلميذه الشيخ زيد بن محمد المدخلي في مقدمة كتابه «الأفنان الندية شرح السبل السوية».

٤ أي للنبي ﷺ .

هذا وهاتان الشفاعتانِ قد خُصّتا به بلا نكرانِ

وثالثا يشفع في أقوامِ ماتوا على دين الهدى الإسلامِ

وأوبَقَتهم كثرةُ الآثامِ فأُدخلوا النار بذا الإجرامِ

أن يخرجوا منها إلى الجنانِ بفضل ربِّ العرش ذي الإحسانِ

وبعده يشفع كل مرسلِ وكل عبدٍ ذي صلاح وولي

ويُخرج الله من النيرانِ جميع من مات على الإيمانِ

في نَهَر الحياة يُطرحونا فَحما فيَحيَون ويَنبتونا[1]

فائدة عزيزة

قال ابن القيم رحمه الله: يبقى نوعان[2] يذكرهما كثير من الناس:

أحدهما في قوم استَوجبوا النار فيَشفع فيهم ألاَّ يدخلوها ، وهذا النوع لم أقِف إلى الآن على حديث يَدل عليه ، وأكثر الأحاديث صريحة في أن الشفاعة في أهل التوحيد من أرباب الكبائر إنما تكون بعد دخولهم النار ، وأمّا أن يُشفع فيهم قبل الدخول فلا يدخلون فلم أظفر فيه بنص.

والنوع الثاني: شفاعته ﷺ لقوم من المؤمنين في زيادة الثواب ورفعة الدرجات ، وهذا قد استدلوا عليه بدعاء النبي ﷺ لأبي سلمة وقوله: (اللهم اغفر لأبي سلمة ، وارفع درجته في المهديين)[3].

وقوله ﷺ في حديث أبي موسى: (اللهم اغفر لعُبيد أبي عامر ، اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك).[4]

انتهى كلامه.[5]

---

١ انظر هذه الأبيات وشرحها في كتابه «معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول» ، (٦٩/١-٧٠) وما بعدها ، تحقيق محمد صبحي حلاق ، الناشر: دار ابن الجوزي – الدمام.

٢ أي من أنواع الشفاعة.

٣ رواه مسلم (٩١٨).

٤ رواه البخاري (٤٣٢٣) ومسلم (٢٤٨٩).

٥ «تهذيب السنن» ، كتاب السنة ، باب في الشفاعة ، (٢٢٦٩/٥ – ٢٢٧١) ، الناشر: مكتبة المعارف – الرياض.

نص شبهة اتخاذ الواسطة والشفاعة في الدنيا

قال بعضهم: نحن مذنبون عصاة ، وبعيدون عن جناب الله ، فليس من اللائق بنا أن ندعوا الله مباشرة ، لأننا إن دعوناه مباشرة رجعنا بخُفَّي حُنَين[1] ، وإنما ندعو أناسًا صالحين ، أقرب إلى الله منا ، وأقْوَم بحقه ، ثم هم – أي هؤلاء الصالحون – يَدْعون الله أن يجيب حاجاتنا ، فيستجيب الله لهم إذا دَعَوه ، ويقبل شفاعتهم إذا شفعوا لنا لديه ، إكراما لهم ، ومراعاة لخاطرهم ، فنحن إذا احتجنا الولد أو سعة الرزق أو غير ذلك توجهنا لأولئك الصالحين بالدعاء ، ثم هم يرفعون الدعاء إلى الله ، فلماذا تمنعون هذا النوع من الدعاء ، مع أن البشر يستعملونه فيما بينهم ، كملوك الدنيا الذين يطلب الناس حاجاتهم منهم عن طريق الوسطاء من الحجاب والوزراء والمقربين ، فلماذا لا نستعمله مع الله؟

والجواب عن هذه الشبهة من ستة عشر وجها:

الوجه الأول: أن الله تعالى أمرنا بأن ندعوه مباشرة بدون اتخاذ واسطة[2] ، قال تعالى ﴿وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا﴾ ، وأخبر أن التوجه لغيره هو فِعل المشركين الذين بُعِث فيهم النبي ﷺ ، قال تعالى ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾[3] ، وقال تعالى ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون﴾[4] ، وقد تقدم تقرير ذلك بشيء من التفصيل في الفصل المتقدم.

الوجه الثاني: أن دعاء غير الله شرك أكبر مهما كانت ذريعته ، توسط أو غيره ، والشرك معلوم تحريمه بالضرورة من دين الإسلام وكافة الأديان ، وهو ناقض لدين الإسلام بالكلية ، قال تعالى لنبيه ﷺ ﴿ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين * بل الله فاعبد وكن من الشاكرين﴾.

---

[1] (رجع بخفي حُنين): مثلٌ يُضرب عند اليأس من الحاجة والرجوع بالخيبة ، وحُنين اسم رجل ، وللمثل قصة طريفة ، انظرها في «مجمع الأمثال» لأبي الفضل ، أحمد بن محمد الميداني ، (٣٧/١) ، الناشر: المكتبة العصرية – بيروت.

[2] قد يسر الله الكلام على آداب الدعاء وأسباب إجابته في كتاب مستقل بعنوان «التبصرة في بيان أن تحري إجابة دعاء الله تعالى عند القبور بدعة منكرة» ، وهو منشور في شبكة المعلومات ، يسَّر الله طبعه.

[3] سورة الزمر: ٣ .

[4] سورة يونس: ١٨ .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية[1] رحمه الله في رده على من اتخذ واسطة بينه وبين الله:

«وهذا جهل بدين الحنفاء ، فإن الحنفاء ليس بينهم وبين الله تعالى واسطة في العبادة والدعاء والاستعانة ، بل يناجون ربهم ويدعونه ويعبدونه بلا واسطة ، وكل مُصلٍّ يعبد ربه منه إليه بلا واسطة».[2]

وهذه المسألة مجمع عليها عند علماء الإسلام قاطبة ، من علماء المذاهب الأربعة وغيرهم ، فقد أجمعوا على أن دعاء غير الله شرك أكبر مخرج من ملة الإسلام ، وإجماع المسلمين حجة شرعية كما قال الرسول ﷺ : إن الله تعالى **لا يجمع أمتي على ضلالة ، ويد الله على الجماعة**.[3]

وقد حكى إجماعَهم على أن دعاء غير الله شرك أكبر مخرج من ملة الإسلام جمعٌ من العلماء ، منهم شيخ الإسلام ، أبو العباس ، أحمد بن تيمية ، رحمه الله ، حيث قال:

«سؤال الميت والغائب – نبيًا كان أو غيره – من المحرمات المنكرة **باتفاق أئمة المسلمين** ، لم يأمر الله به ولا رسوله ، ولا فعله أحد من الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان ، ولا استحسنه أحد من أئمة المسلمين ، **وهذا مما يعلم بالاضطرار من دين المسلمين**».[4]

وقال أيضا: « لم يقل أحد من علماء المسلمين أنه يستغاث بشيء من المخلوقات في كل ما يستغاث فيه بالله تعالى ، لا بنبي ولا بملَك ولا بصالح ولا غير ذلك ، بل **هذا مما يُعلم بالاضطرار من دين الإسلام أنه لا يجوز إطلاقه**».[5]

---

[1] هو الإمام العلامة البحر الفقيه ، شيخ الإسلام حقا ، أبو العباس ، تقي الدين ، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ، الحراني ثم الدمشقي ، الملقب بابن تيمية ، جدد دين الإسلام بعدما استحكمت غربته ، وأظلمت الدنيا بالبدع الكلامية وخرافات الصوفية وشركيات القبورية وإلحاد الفلاسفة والرافضة ، فجدد الدعوة للإسلام الصافي على منهاج الكتاب والسنة ، وجهر بالحق ، وناظر أهل الباطل ، وتحمل السجن في سبيل ذلك ، فكتب الله لعلمه القبول ، وسارت بمصنفاته الركبان ، وصار من بعده من علماء السنة عيالا عليه ، أما تلاميذه فصار بعضهم من أئمة الإسلام ، كابن القيم وابن كثير والذهبي وابن عبد الهادي وغيرهم ، توفي رحمه الله سنة ٧٢٨ هـ ، وقد جمع بعض المحققين أقوال من ترجم له في جامع نفيس ، ووسموه بـ «الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية خلال سبعة قرون» ، بإشراف الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله ، ونشرته دار عالم الفوائد – مكة ، فليرجع إليه من أراد الاستزادة.

[2] «الاستغاثة في الرد على البكري» ، (٢/٤٧٧-٤٧٨) باختصار.

[3] رواه الترمذي (٢١٦٧) عن ابن عمر رضي الله عنهما ، وصححه الألباني ، وكذا الحاكم في «مستدركه» (١/١١٥ ، ١١٦) ، وحكى بعد روايته للحديث إجماع أهل السنة على هذه القاعدة ، وأنها من قواعد الإسلام.

[4] «الاستغاثة في الرد على البكري» ص ٣٣١ .

[5] «مجموع الفتاوى» (١/١٠٣).

وانظر ما قاله في «الفتاوى الكبرى» (٤/٥٠٦) ، (اختيارات شيخ الإسلام) ، باب حكم المرتد ، الناشر: دار القلم – بيروت.

وقال أيضا: «من جعل الملائكة والأنبياء **وسائط** ، **يدعوهم** ، ويتوكل عليهم ، ويسألهم جلب المنافع ، ودفع المضار ، مثل أن يسألهم غفران الذنب ، وهداية القلوب ، وتفريج الكروب ، وسد الفاقات ؛ **فهو كافر بإجماع المسلمين**».[1]

ونقله عنه الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب[2] من علماء الحنابلة في كتابه «تيسير العزيز الحميد» ثم قال:

«نقله[3] عنه غير واحد مقررين له ، منهم ابن مفلح في «الفروع»[4] ، وصاحب «الإنصاف»[5] ، وصاحب «الغاية»[6] ، وصاحب «الإقناع»[7] ، وشارحه[8] ، وغيرهم ، ونقله صاحب «القواطع»[9] في كتابه عن صاحب «الفروع»».

قلت[10]: «وهو إجماع صحيح معلوم بالضرورة من الدين ، وقد نص العلماء من أهل المذاهب الأربعة وغيرهم في باب حكم المرتد على أن من أشرك بالله فهو كافر ، أي عبد مع الله غيره بنوع من أنواع العبادات ، وقد ثبت بالكتاب والسنة والاجماع أن دعاء الله عبادة له ، فيكون صرفه لغير الله شركا». انتهى كلام الشيخ سليمان رحمه الله.[11]

---

[1] «مجموع الفتاوى» (١/١٢٤).

[2] هو العلامة الفقيه المحدث الأصولي ، حفيد إمام الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ولد سنة ١٢٠٠ هـ ، نشأ في الدرعية في وسط علمي زاخر بجهابذة العلماء ، له عدة مؤلفات ، من أشهرها كتابه «تيسير العزيز الحميد» ، وهو شرح نفيس على كتاب «التوحيد» لجده الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، والكتاب على مدى ثلاث قرون ينهل منه العلماء وطلبة العلم إلى وقتنا هذا ، وهو عمدة في علم توحيد العبادة ، ومن بعده عيال عليه.
وله أيضا حاشية على كتاب «المقنع» في الفقه في ثلاث مجلدات ضخام ، وله غيرها ، توفي رحمه الله سنة ١٢٣٤ هـ وعمره ثلاث وثلاثون سنة.
انظر ترجمته موسعة في كتاب «مشاهير علماء نجد» للشيخ عبد الرحمٰن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ ، وله ترجمة في مقدمة كتابه «تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد» بقلم محققه: أسامة بن عطايا العتيبي.

[3] أي الإجماع على كفر من دعا غير الله.

[4] (٦/١٥٨) ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ، ط سنة ١٤١٨ .

[5] أي المرداوي ، (١٠/٣٢٧) ، تحقيق محمد حامد الفقي ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

[6] أي «غاية المنتهى في الجمع بين الإقناع والمنتهى» لمرعي الكرمي (٢/٤٩٨) ، تحقيق ياسر إبراهيم المزروعي ، رائد يوسف الرومي ، الناشر: دار غراس – الكويت.

[7] (٤/٢٨٥) ، لشرف الدين ، موسى بن أحمد الحجاوي المقدسي ، تحقيق د. عبد الله التركي ، الناشر: دار هجر – مصر.

[8] يعني الشيخ منصور بن يونس البهوتي في كتابه «كشاف القناع في شرح الإقناع» (٦/١٦٨) ، الناشر: دار الفكر ، بيروت ، ط ١٤٠٢ .

[9] أي أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي الشافعي ، واسم كتابه «الإعلام بقواطع الإسلام» ، وسيأتي التعريف به.

[10] لا زال الكلام للشيخ سليمان.

[11] «تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد» ، باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره ، ص ٤٢٧ .

وممن حكى أيضا إجماع العلماء على أن دعاء غير الله شرك أكبر مخرج من ملة الإسلام الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن بن حسن[١] ، فقد ذكر أن المسلمين قد أجمعوا على تكفير من ارتكب الشرك الأكبر ، وكفَر بآيات الله الله ورسله ، أو بشيء منها بعد قيام الحجة وبلوغِها المعتبر ، كمن عبد الصالحين ودعاهم مع الله ، وجعلهم أندادًا له فيما يستحقه على خلقه من العبادات والإلٰهية ، وذكر أن هذا مجمع عليه بين أهل العلم والإيمان ، وأن كل طائفة من أهل المذاهب المقلَّدة يُفردون هذه المسألة بباب عظيم يذكرون فيه حكمها وما يوجب الردة ويقتضيها ، وينصون على الشرك ، وأن ابن حجر[٢] قد أفرد هذه المسألة بكتاب سماه: «الإعلام بقواطع الإسلام»[٣].[٤]

وقال الشيخ عبد الرحمٰن بن قاسم رحمه الله: «لا نعلم نوعًا من أنواع الكفر والردة وَرَدَ فيه من النصوص **مثل ما ورد في دعاء غير الله** ، من النهي والتحذير عن فعله ، وكُفر فاعله ، والوعيد عليه بالخلود في النار ، فما المانع من تحكيم الكتاب والسنة واتباع إجماع الأمة ، وقد أُفردت هذه المسألة بالتصنيف ، **وحكى الإجماع عليها غير واحد من أهل العلم ، وذكروا أنها من ضروريات الإسلام؟**»[٥]

فصل

وللفائدة ؛ فهذا طرف من كلام بعض علماء المذاهب الأربعة في تقرير أن دعاء غير الله شرك أكبر.

---

[١] هو الشيخ عبد اللطيف بن الشيخ عبد الرحمٰن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله تعالى ، ولد سنة ١٢٢٥ هـ ، في بلدة العلم والعلماء ؛ الدرعية ، درس على يد عدد من المشايخ ، منهم والده الشيخ عبد الرحمٰن بن حسن ، وكذا ابن عمه الشيخ عبد الرحمٰن بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ، والشيخ محمد بن محمود الجزائري ، مفتي الديار الجزائرية في وقته ، وغيرهم.

وبعد تضلعه في العلم ؛ تتلمذ عليه عدد من التلاميذ ، أشهرهم الشيخ الأديب الذاب عن دين الله بشعره ونظمه ؛ سليمان بن سحمان رحمه الله تعالى.

له العديد من الكتب والرسائل ، أما الكتب فأشهرها «مصباح الظلام في الرد على من كذب على الشيخ الإمام» ، وأيضا «منهاج التأسيس في كشف شبهات داود بن جرجيس».

أما الرسائل فجمعها تلميذه الشيخ سليمان في المجلد الثالث من «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية» ، وبعضها مفرق في بعض المجلدات الأخرى ، وكذا يقع بعضها في «الدرر السنية من الأجوبة النجدية».

توفي رحمه الله سنة ١٢٩٣ هـ.

باختصار وتصرف من ترجمته في مقدمة كتابه «مصباح الظلام» ، والترجمة من إعداد الشيخ د. عبد العزيز بن عبد الله الزير حفظه الله.

[٢] أي أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي الشافعي.

[٣] الكتاب طبع مستقلا ، وطبع بتحقيق د. محمد الخميس ضمن مجموع «الجامع في ألفاظ الكفر» ، الناشر: دار إيلاف – الكويت.

[٤] «الدرر السنية» (١/٤٦٧-٤٦٨).

[٥] «السيف المسلول على عابد الرسول» ، ص ٢٤ .

كلام الحنفية

قال الشيخ محمد عابد السندي الحنفي[1] في كتابه «طوالع الأنوار شرح تنوير الأبصار مع الدر المختار» ما نصه:

«ولا يقول: (يا صاحب القبر ، يا فلان ، اقض حاجتي) ، أو: (سلها من الله) ، أو: (كن لي شفيعا عند الله) ، بل يقول: (يا من لا يشرك في حكمه أحدا ؛ اقض لي حاجتي هذه)».

وقال الشيخ صنع الله بن صنع الله الحلبي الحنفي[2] ما نصه:

«هذا وإنه قد ظهر الآن فيما بين المسلمين جماعات يدَّعون أن للأولياء تصرفات في حياتهم وبعد الممات ، ويستغاث بهم في الشدائد والبليات ، وبهم تنكشف المُهمات ، فيأتون قبورهم وينادونهم في قضاء الحاجات ، مستدلين على أن ذلك منهم كرامات!

وهذا كلام فيه تفريط وإفراط ، بل فيه الهلاك الأبدي والعذاب السَّرمدي ، لما فيه من روائح **الشرك المحقق** ، ومصادرة الكتاب العزيز المصدَّق ، **ومخالفة لعقائد الأئمة ، وما أجمعت عليه هذه الأمة** ، وفي التنزيل ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾[3]».[4]

---

[1] هو الشيخ المحدث محمد عابد بن علي السندي ثم الأنصاري ، ولد بالسند ، ثم هاجر مع جده إلى اليمن ثم قدم المدينة ، وجاور إلى أن توفي بها ، قال عنه الشوكاني: (له يد طولى في علم الطب ، ومعرفة متقنة بالنحو والصرف وفقه الحنفية وأصوله ، ومشاركة في سائر العلوم وفهم صحيح سريع) ، وقال الزركلي: (فقيه حنفي ، عالم بالحديث) ، له تصانيف عدة في الفقه والحديث ، توفي سنة ١٢٥٧ هـ ، انظر ترجمته في كتاب «البدر الطالع» للشوكاني ، و«هدية العارفين ، أسماء المؤلفين وآثار المصنفين» (٢/٣٧٠) ، لإسماعيل بن محمد أمين الباباني البغدادي.

[2] صنع الله بن صنع الله الحلبي المكي الحنفي ، واعظ فقيه ، محدث أديب ، له أرجوزة في الحديث ، وله كتاب مشهور في إبطال الغلو في الصالحين «سيف الله على من كذب على أولياء الله». توفي سنة ١١٢٠ هـ ، انظر «معجم المؤلفين» (١/٤٨٣) ، و «هدية العارفين» (١/٤٢٨).

[3] سورة النساء: ١١٥ .

[4] «سيف الله على من كذب على أولياء الله» ، باختصار ، (ص ١٥-١٦).

وبهذا قال جمع من أئمة الحنفية المتأخرين ، كالإمام أحمد السرهندي[١] ، والإمام أحمد الرومي[٢] ، والشيخ سجان بخش الهندي ، ومحمد بن علي التهانوي[٣] ، ومحمد إسماعيل الدهلوي[٤] ، والشيخ محمود بن عبد الله الآلوسي[٥] ، وغيرهم.[٦]

وقد ألف الشيخ الدكتور شمس الدين الأفغاني رحمه الله رسالة عظيمة جمع فيها أقوال علماء الأحناف في إبطال عقائد القبورية ، ومن المعلوم أن الدعاء هو أكثر فعل القبوريين عند القبور التي يعظمونها لاعتقادهم فيها ، وأسماها «جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية» ، تقع في ثلاث مجلدات ، نال فيها رسالة الدكتوراة العالمية ، أشار فيها إلى جهود علماء الحنفية في بيان مصدر عبادة القبور ونشأة القبورية وانتشارهم ، وتحقيق أن القبورية أهل شرك ووثنية ، وجهودهم – أي علماء الحنفية – في إبطال عقائد القبورية.[٧]

ثم نقل رحمه الله مقالات جمع من علماء الحنفية في التحذير من الشرك وإبطال ثلاثين ذريعة من ذرائعه التي يتمسك بها القبورية بمُجمَلهم.[٨]

---

[١] انظر ترجمته في كتاب «نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر» (٥/٤٣ – ٥٥) ، لمؤلفه عبد الحي بن فخر الدين الحسيني ، الناشر: دار المعارف العثمانية – حيدر آباد.

[٢] هو أحمد بن محمد الأقحصاري الحنفي ، ويعرف بالرومي ، من علماء الدولة العثمانية ، له تصانيف واشتغال بعلوم الشريعة ، توفي سنة ١٠٤٣ هـ ، له كتاب «حاشية على تفسير أبي السعود» ، وكذا كتاب «مجالس الأبرار ومسالك الأخيار في شرح مائة حديث من المصابيح» ، وغيرها ، انظر ترجمته موسعة في «هدية العارفين» (١/١٥٧) ، ط دار الكتب العلمية ، سنة ١٤١٣ هـ ، و «معجم المؤلفين» (٢/٢٥٢).

وكلامه في التحذير من دعاء غير الله مذكور في كتابه «مجالس الأبرار ومسالك الأخيار» ، المجلس السابع عشر والسابع والخمسين.

[٣] باحث هندي ، له كتاب «كشاف اصطلاحات الفنون» ، انظر ترجمته في كتاب «نزهة الخواطر» (٦/٢٧٨) ، و «هدية العارفين» (٢/٣٢٦) ، و «الأعلام» للزركلي (٦/٢٩٥) ، وكلامه في ذم دعاء غير الله مذكور في كتابه «كشاف اصطلاحات الفنون» (٤/١٤٦ – ١٥٣).

[٤] هو محمد بن إسماعيل بن عبد الغني الدهلوي ، محدث ، من آثاره: «إنجاح الحاجة في شرح سنن ابن ماجه» ، انظر ترجمته في كتاب «نزهة الخواطر» و «معجم المؤلفين» (٣/١٣٣) ، وكلامه في ذم دعاء غير الله مذكور في كتابه «تقوية الإيمان».

[٥] هو محمود شكري بن عبد الله بن شهاب الدين الآلوسي الحسيني ، أبو المعالي ، مؤرخ عالم بالأدب والدين ، من الدعاة إلى الإصلاح في العراق ، حمل على أهل البدع برسائل فعاداه كثيرون ، له اثنان وخمسون مصنفا ، توفي رحمه الله سنة ١٣٤٢ في بغداد.

وكلامه في ذم دعاء غير الله مذكور في تفسيره الموسوم «روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني» ، عند الآية ٧٣ من سورة الحج.

[٦] انظر أقوالهم مفصلة في الإنكار على من دعا غير الله في «المجموع المفيد في نقض القبورية ونصرة التوحيد» ، جمع د. محمد الخميس ، ص ٤١٢ – ٤١٨ ، الناشر: دار أطلس – الرياض ، وقد اكتفيت بالإحالة عليها عن نقلها مفصلة طلبا للاختصار.

[٧] انظر الصفحات ٣٥٣ – ٥٦١ .

[٨] انظر الصفحات ٥٦٣ – ٦٨٢ .

ثم ذكر رحمه الله أمثلة لغلو القبوريين في الصالحين ، وجهود علماء الحنفية في إبطاله ، فابتدأ بذكر غلوهم في النبي ﷺ ، ودعوى أنه يعلم الغيب ، وأن له تصرفا في الكون ، وأنه يسمع صوت المستغيثين ، فأبطل ذلك كله ، ثم عطف على أمثلة الغلو في غير النبي ﷺ ،كعبد القادر الجيلاني والرفاعي والبدوي وغيرهم ممن تُدَّعى له الوِلاية. [1]

وأما كلام الشافعية في باب تحريم دعاء غير الله فقد قال ابن حجر الشافعي[2] في «شرح الأربعين النووية» ما معناه معناه أن من دعا غير الله فهو كافر.[3]

وقال الشيخ أحمد بن علي المقريزي المصري الشافعي[4] رحمه الله:

«وشِرك الأمم كله نوعان: شرك في الإلٰهية وشرك في الربوبية ، فالشرك في الإلٰهية والعبادة هو الغالب على أهل الإشراك ، وهو شرك عُبَّاد الأصنام وعُبَّاد الملائكة وعُبَّاد الجن **وعُبَّاد المشايخ والصالحين الأحياء والأموات** ، الذين قالوا ﴿إنما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى﴾ ، ويشفعوا لنا عنده ، وينالُنا بسبب قربهم من الله وكرامته لهم قربٌ وكرامة ، كما هو المعهود في الدنيا من حصول الكرامة والزلفى لمن يخدم أعوان الملك وأقاربه وخاصته.

والكتب الإلٰهية كلها من أولها إلى آخرها تبطل هذا المذهب وترده وتقبح أهله ، وتنص على أنهم أعداء الله تعالى.

وجميع الرسل صلوات الله عليهم متفقون على ذلك من أولهم إلى آخرهم ، وما أهلك الله تعالى من أهلك من الأمم إلا بسبب هذا الشرك ومن أجله».[5]

وأما كلام الحنابلة في باب تحريم دعاء غير الله فقد تقدم ذكر كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في حكاية إجماع العلماء على أن دعاء غير الله شرك أكبر ، وهذا مزيد كلام له في هذا الباب:

«فكل من غلا في حي أو رجل صالح ، وجعل فيه نوعاً من الإلٰهية ، مثل أن يقول: كل رزق لا يرزقنيه الشيخ فلان ما أريده ، أو يقول إذا ذبح شاة: (باسم سيدي) ، أو يعبده بالسجود له أو لغيره ، أو يدعوه من دون الله تعالى ، مثل أن يقول: (يا سيدي فلان ، اغفر لي أو ارحمني أو انصرني أو ارزقني أو أغثني أو أجِرني ، أو توكلت

---

[1] انظر الصفحات ٦٨٣ – ٨٩٧ .

[2] هو أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي الشافعي ، فقيه مصري ، من علماء القرن العاشر ، له كتب كثيرة ، انظر ترجمته في «الأعلام» للزركلي (٢٣٤/١).

[3] نقله الشوكاني عنه في «الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد» ، ص ١٢١ ، (الناشر: دار ابن خزيمة – الرياض) ، ونقله الشيخ محمد بن عبد الوهاب عنه في كتابه «مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد» ، ص ٣٠٥ ، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الرياض.

[4] الشيخ أحمد من علماء مصر ، درس الحديث والفقه ، وانكبَّ على تدوين التاريخ ، لقبه الزركلي بمؤرخ الديار المصرية ، له أكثر من مئتي مؤلَّف ، عُرِض عليه قضاء دمشق فأبى ، توفي سنة ٨٤٥ ، انظر ترجمته في «إنباء الغِمر» ، و«البدر الطالع» للشوكاني ، و «الضوء اللامع» للسخاوي ، و «الأعلام» للزركلي» (١٧٧/١) ، و «معجم المؤلفين» (٢٠٤/١).

[5] «تجريد التوحيد المفيد» ، ص ٥٢ – ٥٣ ، تحقيق علي بن محمد العمران ، الناشر: دار عالم الفوائد – مكة.

عليك ، أو أنت حسبي ، أو أنا في حسْبك) ، أو نحو هذه الأقوال والأفعال التي هي من خصائص الربوبية التي لا تصلح إلا لله تعالى ؛ فكل هذا شرك وضلال ، يستتاب صاحبه ، فإن تاب وإلا قتل ، فإن الله إنما أرسل الرسل وأنزل الكتب لِنعبد الله وحده لا شريك له ، ولا نجعل مع الله إلٰها آخر». اهـ.[1]

وقال أيضا: «ومن قال إن ميتا من الموتى ، نفيسة أو غيرها ؛ تُجير الخائف ، وتُخلِّص المحبوس ، وهي باب الحوائج ؛ فهو ضال مشرك ، فإن الله سبحانه هو الذى يجير ولا يجار عليه ، وباب الحوائج إلى الله هو دعاؤه بصدق وإخلاص ، كما قال تعالى ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان﴾». [2]

وقال ابن القيم[3] رحمه الله في «مدارج السالكين» في معرض كلام له عن أنواع الشرك:

«ومن أنواعه ؛ طلب الحوائج من الموتى والاستغاثة بهم والتوجه إليهم ، وهذا أصل شرك العالم ، فإن الميت قد انقطع عمله وهو لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً ، فضلاً عمن استغاث به وسأله قضاء حاجته ، أو سأله أن يشفع له إلى الله فيها ، وهذا من جهله بالشافع والمشفوع له عنده كما تقدم ، فإنه لا يقدر أن يشفع له عند الله إلا بإذنه ، والله لم يجعل استغاثته وسؤاله سببا لإذنه ، وإنما السبب لإذنه كمال التوحيد ، فجاء هذا المشرك بسبب يمنع الإذن ، وهو بمنزلة من استعان في حاجة بما يمنع حصولها ، وهذه حالة كل مشرك.

والميت محتاج إلى من يدعو له ويترحم عليه ويستغفر له ، كما أوصانا النبي ﷺ إذا زرنا قبور المسلمين أن نترحم عليهم ، ونسأل لهم العافية والمغفرة ، فعكَس المشركون هذا ، وزاروهم زيارة العبادة واستقضاء الحوائج والاستغاثة بهم ، وجعلوا قبورهم أوثانا تعبد ، وسموا قصدها حجا ، واتخذوا عنده الوقفة وحلق الرأس ، فجمعوا بين الشرك بالمعبود الحق وتغيير دينه ، ومعاداة أهل التوحيد ، ونِسبة أهله إلى التنقص للأموات ، وهم قد تنقصوا الخالق بالشرك ، وأولياءه الموحدين له الذين لم يشركوا به شيئًا ، بذمهم وعيبهم ومعاداتهم ، وتنقصوا من أشركوا به غاية التنقص ، إذ ظنوا أنهم راضون منهم بهذا ، وأنهم أَمروهم به ، وأنهم يوالونهم عليه ، وهؤلاء هم أعداء الرسل

---

[1] «الرسالة السنية» ، وتسمى أيضا بـ «الوصية الكبرى» ، وتقع كاملة في «مجموع الفتاوى» (٣/٣٦٣-٤٣٠) ، والمنقول من ص ٣٩٥ .

[2] «مجموع الفتاوى» (٢٧/٤٩٠).

[3] هو محمد بن أبي بكر بن سعد الزُّرعي ثم الدمشقي ، المعروف بابن قيم الجوزية ، من علماء المائة الثامنة ، لازم شيخه ابن تيمية إلى أن مات سنة ٧٢٨ ، فكان من كبار تلامذته ، ثم حمل بعده لواء الدعوة والجهاد العلمي إلى أن مات سنة ٧٥١ ، كان واسع المعرفة ، قوي الحجة ، دقيق الاستنباط ، كثير المصنفات ، ومؤلفاته مقبولة عند جميع الناس ، حتى صار من بعده عيالا عليه ، نصر العقيدة الإسلامية نصرا مؤزرا ، ورد على المبتدعة نظما ونثرا ، لاسيما المتفلسفة والقبورية والمؤولة والمتصوفة ، رحمه الله رحمة واسعة ، فقد جدد هو وشيخه دين الله ، فكانا منعطفا في حياة الأمة الإسلامية. انظر ترجمته في «شذرات الذهب» لابن العماد و «ذيل طبقات الحنابلة» لابن رجب ، ومن أجمع من ترجم له الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد رحمه الله في كتابه «ابن قيم الجوزية ، حياته وآثاره».

والتوحيد في كل زمان ومكان ، وما أكثر المستجيبين لهم ، ولله خليله[1] إبراهيم عليه السلام حيث يقول ﴿واجنبني وبني أن نعبد الأصنام * رب إنهن أضللن كثيرا من الناس﴾.

وما نجا من شَرَكِ[2] هذا الشرك الأكبر إلا من جرَّد توحيد الله[3] ، وعادى المشركين في الله ، وتقرب بمقتهم إلى الله ، واتخذ الله وحدهُ وليَّهُ وإلهَهُ ومعبودهُ ، فجرَّد حبهُ لله ، وخوفهُ لله ، ورجاءهُ لله ، وذُلَّهُ لله ، وتوكُّلهُ على الله ، واستعانتهُ بالله ، والتجاءهُ إلى الله ، واستغاثتهُ بالله ، وأخلص قصدهُ لله ، متبعا لأمره ، متطلبا لمرضاته ، إذا سأل سأل الله ، وإذا استعان استعان بالله ، وإذا عمِل عمِل لله ، فهو لله وبالله ومع الله».[4]

وله رحمه الله في باب التحذير من تعظيم أصحاب القبور كلام طويل في كتابه النفيس «إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان» ، ذكر فيه الجذور التاريخية لتعظيم أصحاب القبور والغلو فيهم ، كما عرض لذكر المظاهر والعلاج ، رحمه الله رحمة واسعة.[5]

وقال الإمام أبو الوفاء علي بن عقيل الحنبلي رحمه الله[6]: «إنَّ من يعظم القبور ويخاطب الموتى بقضاء الحوائج ، ويقول: يا مولاي ويا سيدي عبد القادر: (افعل لي كذا) ؛ هو كافر بهذه الأوضاع[7] ، ومن دعا ميتا وطلب قضاء قضاء الحوائج فهو كافر».[8]

---

[1] أي: لله دَرُّ خليلِه.

[2] الشَّـرَكُ هو الفخ.

[3] أي جرَّده من الشرك.

[4] «مدارج السالكين» ، منزلة التوبة ، ص ٦٠٥ ، الناشر: دار طيبة – الرياض.

[5] ولكاتبه عفا الله عنه بحث بعنوان «تلاعب الشيطان بعقول القبوريين» ، جمع فيه كلام ابن القيم رحمه الله في هذه المسألة من كتابه المذكور ، ورتبه وفهرسه ، وهو منشور على صفحته في شبكة المعلومات (www.saaid.net/kutob) ، نفع الله به.

[6] هو الإمام العلامة البحر ، شيخ الحنابلة ، صاحب التصانيف ، ولد سنة ٤٣١ هـ ، له كتاب «الفنون» في أربعمائة مجلد ، اشتغل بعلم الكلام فوقع في تأويل بعض الصفات ، ثم أشهد على نفسه أنه تاب ، ثم صنف في الرد على مؤولة الصفات ، وله كلام في كتابه «الفنون» في ذم من خرج عن الشريعة من أهل الكلام والتصوف ، نقله ابن تيمية في «درء تعارض العقل والنقل» (٨/٦١ – ٦٨).

توفي رحمه الله سنة ٥١٣ هـ. انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء» (١٩/٤٤٣).

[7] الأقرب أن مقصوده بقوله «الأوضاع» أي الأفعال.

[8] نقله عنه الشيخ محمد بن سلطان المعصومي الحنفي في كتابه «حكم الله الواحد الصمد» ، ص ٤٤ ، الناشر: دار العاصمة – الرياض.

وقال أيضا: «لما صعُبت التكاليف على الجهال والطَّغَام[1] ؛ عَدَلوا[2] عن أوضاع الشرع[3] إلى تعظيم أوضاع وضعوها وضعوها ، فسهُلت عليهم إذ لم يَدخلوا بها تحت أمر غيرهم ، وهم عندي كفار بهذه الأوضاع ، مثل تعظيم القبور ، وخطاب الموتى بالحوائج ، وكَتب الرقاع فيها: (يا مولاي ، افعل لي كذا وكذا) ، أو إلقاء الخرق على الشجرة اقتداء بمن عَبَدَ اللات والعُزَّى».[4]

وقال الشيخ عبد الله أبابطين[5] رحمه الله: «ورأيت من جملة فتاوى للقاضي أبي يعلى[6] منها: أنه سُئل عمن يقول: يقول: (يا محمد ، يا علي) ، فقال: هذا لا يجوز لأنهما ميتان».[7]

وأما كلام المالكية في باب تحريم دعاء غير الله فقد قال الإمام محمد بن أحمد القرطبي المالكي رحمه الله في تفسيره الموسوم «الجامع لأحكام القرآن» في تفسير قوله تعالى ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾[8]:

قوله تعالى ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ﴾ ، أي إن تستغيثوا بهم في النوائب لا يسمعوا دعاءكم ، لأنها جمادات لا تُبصر ولا تسمع ، إذ ليس كل سامع ناطقا.

وقال قتادة: المعنى: لو سمعوا لم ينفعوكم.

وقيل: أي لو جعلنا لهم عقولا وحياة فسمِعوا دعاءكم لكانوا أطوع لله منكم ، ولما استجابوا لكم على الكفر.

﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ ، أي يجحدون أنكم عبدتموهم ، ويتبرءون منكم.

---

[1] الطغام هم أراذل الناس وأوغادهم. انظر «النهاية».

[2] عدَلوا أي حادوا.

[3] أوضاع الشرع أي تعاليمه التي شرعها الله تعالى للناس.

[4] نقله عنه ابن القيم في كتابه «إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان» ، ص ٣٦٤-٣٦٥ ، الناشر: دار ابن الجوزي – الدمام.

ونقله أيضا الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتابه «مفيد المستفيد في حكم تارك التوحيد» ، ص ٣٠١-٣٠٢ ، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الرياض.

[5] تقدمت ترجمته.

[6] هو شيخ الحنابلة ، المفتي القاضي ، محمد بن الحسين بن محمد البغدادي الحنبلي ، ابن الفراء ، كان عالم العراق في زمنه ، له كتاب «إبطال التأويلات التأويلات في أخبار الصفات» و «الرد على الجهمية» وغيرها. توفي رحمه الله سنة ٤٥٨ رحمه الله رحمة واسعة.

باختصار من «سير أعلام النبلاء» (٨٩/١٨) ، وله ترجمة في «تاريخ الإسلام» ، و«طبقات الحنابلة» لابنه محمد بن أبي يعلى الفراء رحمه الله.

[7] «تأسيس التقديس في كشف تلبيس داود بن جرجيس» ، ص ١٤٧ .

[8] سورة فاطر: ١٤ .

ثم يجوز أن يرجع هذا إلى المعبودين مما يَعقل ، كالملائكة والجن والأنبياء والشياطين ، أي يجحدون أن يكون ما فعلتموه حقا ، وأنهم أمروكم بعبادتهم ، كما أخبر عن عيسى بقوله ﴿ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق﴾[1].
ويجوز أن يندرج فيه الأصنام أيضا ، أي يحييها الله حتى تخبر أنها ليست أهلا للعبادة.
﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ ، هو الله جل وعز ، أي لا أحد أَخْبر بخلق الله من الله ، فلا ينبئك مثله في عمله. انتهى.

وقال العلامة عبد الحميد بن باديس الجزائري[2] رحمه الله – وهو من متأخري المالكية – في تفسيره لقول الله تعالى ﴿وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلٰها آخر﴾[3]:

مزيد بيان لتوحيد الرحمٰن

من دعا غير الله فقد عبده

ما يزال الذكر الحكيم يُسمي العبادة دعاء ويعبر بها عنها ، ذلك لأنه عبادة ، فعبر عن النوع ببعض أفراده ، وإنما اختير هذا الفرد ليُعَبَّر به عن النوع لأن الدعاء مخ العبادة وخلاصتها ، فإن العابد يُظهر ذله أمام عِزِّ المعبود ، وفقره أمام غناه ، وعجزه أمام قدرته ، وتمام تعظيمه له وخضوعه بين يديه ، ويعرب عن ذلك بلسانه بدعائه وندائه وطلبه منه حوائجه ، فالدعاء هو المظهر الدَّال على ذلك كله ، ولهذا كان مخ عبادته ، وقد جاء التنبيه على هذا في السنة المطهرة ، فعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : (الدعاء هو العبادة) ثم قرأ ﴿وقال ربكم ادعوني استجب لكم﴾. رواه أحمد والترمذي وأبو داود رحمهم الله والنسائي وابن ماجه.
وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : (الدعاء مخ العبادة)[1]. رواه الترمذي رضي الله عنه.

---

[1] سورة المائدة: ١٦ .

[2] هو الشيخ الداعية عبد الحميد بن مصطفى بن مكي بن باديس ، من دعاة النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري في الجزائر ، درس على عدة عدة مشايخ في الجزائر وتونس ، ثم انكب على التعليم والدعوة ومحاربة البدع لاسيما بدع الطرق الصوفية ، حتى إن الصوفية دبروا مكيدة لاغتياله فنجاه الله منها ، أسس جريدة الشهاب ، وكان له نشاط ظاهر في بعض المجلات الدينية ، وتخرج على يديه دعاة عدة ، منهم مبارك الميلي والفضيل الورتيلاني ومحمد سعيد الزاهري وأحمد حماني ومحمد الصالح بن عتيق ومحمد الصالح رمضان.
له مقالات جمعت فيما بعد فصارت كتبا ، منها «مبادئ الأصول» و«العقائد الإسلامية» و «التفسير أو مجالس التذكير» و «رجال السلف ونساؤه» و «جواب سؤال عن سوء مقال» ، وهو رد على ابن عليوة الطُّرُقي ، وقد جمعت مقالات الشيخ في الثلاثة كتب الأخيرة في ستة مجلدات ، وأصدرتها وزارة الشؤون الدينية الجزائرية.
بذل ابن باديس نفسه ووقته وجهده من أجل قضية تحرير الجزائر من احتلال الفرنسيين ، وأمضى عمره في التعليم والدعوة ، حتى عُـدَّ من أئمة الدعوة في المغرب العربي ، وافته المنية في ١١ربيع الثاني ١٣٥٨هـ ، رحمه الله رحمة واسعة.
مصدر الترجمة: «أصول الدعوة السلفية عند العلامة عبد الحميد بن باديس» للشيخ محمد حاج عيسى الجزائري.

[3] سورة الفرقان: ٦٨ .

فتطابق الأثر والنظر على أن الدعاء عبادة ، فمن دعا غير الله فقد عبده ، وإذا كان هو لا يسمي دعاءه لغير الله عبادة فالحقيقة لا ترتفع بعد تسميته لها باسمها وتسميته لها بغير اسمها ، والعبرة بتسمية الشرع التي عرَفناها من الحديثين المتقدمين لا بتسميته ...

تحذير وإرشاد

ما أكثر ما تسمع في دعاء الناس: (يارب والشيخ) (يا رب وناس ربي) .. وهذا من دعاء غيــر الله ، فإياك أيها المسلم وإياك ، وادع الله ربك وخالقك وحده وحده ، وأنف الشرك راغم.
انتهى كلامه رحمه الله.[٢]

وقال العلامة مبارك الميلي المالكي الجزائري[٣] رحمه الله تعالى – وهو من متأخري المالكية أيضا – في كتابه «رسالة الشرك ومظاهره»:

دعاء غير الله وحكمه

دعاء غير الله .. شرك صريح وكفر قبيح ، وله نوعان:
أحدهما: دعاء غير الله مع الله ، كالذي يقول: (يا ربي وشيخي ، يا ربي وجَدي ، يا الله وناسه ، يا الله يا سيدي عبد القادر) ، وسمعت كثيرا يحكون أنهم كثيرا ما يسمعون فلانا يقول: يا ربي يا سيدي يوسف اغفر لي ...
وإطلاق الشرك على هذا النوع واضح ، لأن الداعي عَطَفَ غير الله على الله بالواو ثابتة أو محذوفة ، وهي تقتضي مشاركة ما بعدها لما قبلها في الحكم ، والحكم المشترك فيه هنا هو عبادة الدعاء.
النوع الثاني: دعاء غير الله من دون الله ، كالذي يقول: .. (يا ديوان الصالحين). انتهى كلامه رحمه الله.[٤]

---

[١] حديث ضعيف ، انظر «مشكاة المصابيح» (٢٢٣١) و «ضعيف الجامع الصغير وزيادته» (٣٠٠٣) ، ومعناه صحيح بلا شك ، ويغني عنه حديث: (الدعاء هو العبادة) ، وقد تقدم تخريجه.

[٢] «مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير» ، ص ٢٩٩ – ٣٠٠ ، باختصار ، وهو من مطبوعات وزارة الشؤون الدينية – الجزائر.

[٣] هو الشيخ مبارك بن محمد الإبراهيمي الميلي ، تلقى العلم منذ صغره على جلة من المشايخ ، منهم الشيخ عبد الحميد بن باديس ، ثم صار أحد أبرز أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة ١٩٣١ ، وكان له دور دعوي بارز في الصحافة ، جاهد في سبيل الدعوة بالرغم من المضايقات التي تعرض لها أثناء الاحتلال الفرنسي للجزائر ، له عدة مؤلفات ، أشهرها «الشرك و مظاهره» ، توفي رحمه الله في عام ١٩٤٥ ميلادية.
مصدر الترجمة: مقدمة تحقيق كتاب «الشرك ومظاهره» للمتَرجم له ، تحقيق الشيخ أبي عبد الرحمٰن محمود الجزائري ، الناشر: دار الراية – الرياض.

[٤] «رسالة الشرك ومظاهره» ، ص ٢٨١ – ٢٨٢ ، باختصار ، تحقيق الشيخ أبي عبد الرحمٰن محمود الجزائري ، راجعه الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله ، الناشر: دار الراية – الرياض.

وقال أيضا:

ولقد فشا في المسلمين دعاء غير الله على شدة إنكار كِتابِهم له[1] وتحذير نبيهم ﷺ منه ، حتى صار الجهلة ومن قَرُبَ منهم يؤثرونه على دعاء الله وحده ، والاستشهاد لذلك بالحكايات عنهم واستيعابها مُمِلٌّ مُعجِز.[2]

وقال العلامة تقي الدين الهلالي المالكي[3] رحمه الله – وهو من متأخري المالكية أيضا – في كتابه «الهدية الهادية إلى الطائفة التجانية»:

فتبين لك أيها القارئ الموفق أن الاستغاثة دعاء ، والدعاء مخ العبادة ، ومن استغاث بغير الله فقد أشرك وعبد مع الله غيره ، ومن زعم أنه هو أو غيره من المخلوقين قادرٌ أن يُغيث من استغاث به ويجيب المضطر ويكشف السوء ويجعل الناس خلفاء في الأرض فقد اتخذ مع الله إلٰها آخر بنصوص القرآن والسنة ، انظر آيات النمل من قوله تعالى ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِين * قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُون * أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ والأرض وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ءإِلٰهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُون * أَمَّنْ جَعَلَ الأرض قَرَارًا وَجَعَلَ خلالها أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ءإِلٰهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُون * أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأرض ءإِلٰهٌ مَعَ اللَّهِ قليلا مَا تَذَكَّرُون * أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ءإِلٰهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُون * أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ والأرض ءإِلٰهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِين﴾.

من آية ٥٨ – ٦٤ ذكر الله تعالى في هذه الآيات أمورا خاصة به لا يقدر عليها غيره ، منها إجابة المضطر وكشف السوء وتولية المناصب والهداية في ظلمات البر والبحر وإرسال الرياح فمن نسب شيئا من هذه الأمور إلى مخلوق أنه هو الفاعل لها بغير طريق الأسباب **فقد أشرك بالله** وعبد معه غيره.

---

[1] أي القرآن العظيم.

[2] «رسالة الشرك ومظاهره» ، ص ٢٨٦ .

[3] هو العلامة المحدث واللغوي الشهير والشاعر الفحل والرحالة المغربي الشيخ السلفي الدكتور محمد التقي المعروف بمحمد تقي الدين الهلالي ، درس على جملة من المشايخ ، منهم الشيخ عبد الظاهر أبو السمح والشيخ رشيد رضا بمصر ، ثم مكث بها سنة يدعو إلى عقيدة السلف و يحارب الشرك و الإلحاد ، ثم سافر للهند فطلب الحديث على الشيخ المحدث عبد الرحمٰن بن عبد الرحيم المباركفوري صاحب «تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي» ، ودرس على غيره أيضا في العراق ، ثم تدرج في سلسلة أعمال علمية ودعوية إلى أن عمل أستاذاً بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية إلى سنة ١٩٧٤م ، ثم رجع إلى بلده المغرب ومكث يدعو فيها إلى التوحيد والسنة إلى أن توفاه الله يوم الإثنين ٢٥ شوال ١٤٠٧هـ.

له ما يربو على عشرين مؤلفا في العقيدة والفقه ، منها «القاضي العدل في حكم البناء على القبور» ، و «العلم المأثور والعلم المشهور واللواء المنشور في بدع القبور» ، فرحمه الله رحمة واسعة.

واعلم أنه يجب على كل مسلم أن يوحد الله في ربوبيته وفي عبادته وفي أسمائه وصفاته ، فهذه أنواع التوحيد الثلاثة ، من أخلَّ بها أو بشيء منها فهو كافر.[1]

وقال العلامة الشيخ المفسر محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي[2] رحمه الله – وهو من متأخري المالكية أيضا – في تفسير قوله تعالى ﴿ومن يدع مع الله إلٰها آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون﴾[3]:

وأعظم الكافرين كفراً هو من يدعو مع الله إلٰها آخر لا برهان له به ، ونفي الفلاح عنه يدل على هلاكه وأنه من أهل النار ، وقد حذر الله من دعاء إله معه في آيات كثيرة كقوله ﴿ولا تجعلوا مع الله إلٰها آخر إني لكم منه نذيرٌ مبين﴾ ، وقوله ﴿ولا تدعُ مع الله إلٰها آخر لا إله إلا هو كل شئ هالكٌ إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون﴾ ، وقوله تعالى ﴿لا تجعل مع الله إلٰها آخر فتقعد مذموماً مخذولاً﴾ ، والآيات بمثل ذلك كثيرة جداً. انتهى.

وقال أيضا رحمه الله في تفسير الآية الثانية من سورة الحجرات:

«اعلم أن من الحقوق الخاصة بالله التي هي من خصائص ربوبيته ؛ اتجاه عبده إليه إذا دهمته الكروب التي لا يقدِر على كشفِها إلا الله ، فالتجاء المضطر الذي أحاطت به الكروب ودهمته الدواهي **لا يجوز إلا لله وحده** ، لأنه من خصائص الربوبية ، فصرْف ذلك الحق لله وإخلاصه له هو عين طاعة الله ومرضاته وطاعة رسوله ﷺ ومرضاته ، وهو عين التوقير والتعظيم للنبي ﷺ ، لأن أعظم أنواع توقيره وتعظيمه هو اتباعه والاقتداء به في إخلاص التوحيد والعبادة له وحده جل وعلا.

وقد بين جل وعلا في آيات كثيرة من كتابه أن اتجاه المضطر من عبادِه إليه وحده في أوقات الشدة والكرب من خصائص ربوبيته تعالى». انتهى.[4]

وبهذا انتهى النقل عن علماء المذاهب الأربعة.

---

[1] «الهدية الهادية إلى الطائفة التجانية» ، ص ٦١ .

[2] هو الشيخ العلامة الأصولي المفسر ، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي ، من علماء القرن الرابع عشر المبرزين ، كان غزير العلم ، متوقد الذكاء ، ذو حافظة نادرة ، له نحو عشرين كتابا ، أكثرها في التفسير والفقه والعقيدة ، أشهرها ذكرا «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن» ، و «مذكرة أصول الفقه على روضة الناظر» ، وقد جمعت مؤلفاته في موسوعة علمية واحدة بعنوان «آثار الشيخ محمد الأمين الشنقيطي». توفي رحمه الله عام ١٣٩٣ هـ . باختصار من ترجمته المذكورة في مقدمة كتاب «الأضواء» ، الناشر: دار عالم الفوائد – مكة.

[3] سورة المؤمنون: ١١٧ .

[4] انظر تفسيره الموسوم «أضواء البيان».

ولغير واحد من العلماء المحققين ممن لا ينتسب إلى مذهب معين كلام واضح وصريح في تحريم دعاء غير الله ، فقد قال الإمام محمد بن علي الشوكاني[1] في كتابه «الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد»:

«اعلم أن الرزية كل الرزية ، والبلية كل البلية ؛ أمرٌ غير ما ذكرنا – من التوسل المجرد والتشفع بمن له الشفاعة – وذلك ما صار يعتقده كثير من العوام وبعض الخواص في أهل القبور ومن المعروفين بالصلاح من الأحياء ، من أنهم يقدِرون على ما لا يقدر عليه إلا الله جل جلاله ، ويفعلون ما لا يفعله إلا الله عز وجل ، حتى نطقت ألسنتهم بما انطوت عليه قلوبهم ، **فصاروا يدعونهم تارة مع الله ، وتارة استقلالا ، ويصرخون بأسمائهم** ، ويعظمونهم تعظيم من يملك الضر والنفع ، ويخضعون لهم خضوعا زائداً على خضوعهم عند وقوفهم بين يدي ربهم في الصلاة والدعاء ، **وهذا إذا لم يكن شركا فلا ندري[2] ما هو الشرك ، وإذا لم يكن كفرا فليس في الدنيا كفر**». انتهى.[3]

وأختم هذا الباب بكلام نفيس جامع لسماحة الإمام الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز[4] رحمه الله في هذه المسألة ، قال:

لا ريب أن الدعاء من أهم أنواع العبادة وأجمعها ، فوجب إخلاصه لله وحده كما قال عز وجل ﴿فَادْعُوا اللَّهَ

---

[1] هو الشيخ الفقيه الأصولي محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، اليمني ، درس على شيوخ كثر في فنون كثيرة ، وألف كتبا كثيرة منها «إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول» ، وطُبع له مجموع فتاوى بعنوان «الفتح الرباني في فتاوى الشوكاني» ، وفي التفسير له كتاب «فتح القدير» ، ورد على أرباب القول باتحاد الخالق والمخلوق في كتاب «الصوارم الحداد القاطعة لعلائق مقالات أرباب الاتحاد» ، وغيرها من الكتب والرسائل التي بلغت ١١٤ مؤلفا ، توفي رحمه الله سنة ١٢٥٠ . انظر ترجمته لنفسه في «البدر الطالع» ، وانظر «الأعلام» للزركلي (٢٩٨/٦).

[2] في المطبوع: (تدري) ، وأظنه تصحيفا.

[3] ص ٢٢ – ٢٣ ، تحقيق محمد علي الحلبي ، دار الفتح – الشارقة.

[4] هو الشيخ الإمام عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، شيخ الإسلام في وقته ، ملأ الدنيا علما وفقها ومساجد ومشاريع علمية ، تخرج على يده جم غفير من طلبة العلم ، غالب من خلفه من علماء المملكة العربية السعودية وطلابها وقضاتها عيالٌ عليه ، شغل منصب نائب رئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية عند افتتاحها ، ثم ترأسها بعد سنة ، فكانت منذ افتتاحها ولا زالت دوحة علمية ، يستفيد منها طلاب العلم الذين يأتونها من أنحاء الدنيا ، وبعضهم قد صار في مصافِّ العلماء في بلادهم ، له مجموع فتاوى يقع في ثلاثين مجلدا ، وله كتب ورسائل كثيرة ، وهو معروف بكثرة الشفاعات للناس ، ومساعدتهم لقضاء حوائجهم ، وهو معروف أيضا بالنصح لكل مسلم مهما كان مقامه ، بل حتى رؤساء الحكومات الكافرة قد بلغهم نصحه ، والكلام في آثاره العلمية والدعوية والتربوية يطول جدا.

أُلِّفت في سيرته تراجمُ عدة ، منها «عبد العزيز بن باز ، عالم فقدته الأمة» لمستشاره د. محمد بن سعد الشويعر ، وكذلك «جوانب من سيرة الإمام عبد العزيز بن باز رحمه الله» لمدير مكتبه الشيخ محمد بن موسى الموسى.

توفي رحمه الله في مستهل عام ١٤٢٠ عن تسعين عاما ، فاهتزت الدنيا لموته ، ودخل الحزن بيوت المسلمين عامة ، واجتمع للصلاة عليه الأمراء والوزراء والعلماء والقضاة وطلبة العلم والمثقفون والعامة ، وصُلّي عليه في المسجد الحرام ، وسار في جنازته ما يربو على المليون مسلم ، وشُغِلت الصحف بخبر وفاته زمنا ليس بالقليل ، أما المراثي الشعرية والنثرية التي أُلِّفت فيه فحدث ولا حرج.

مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُون﴾[1] ، وقال عز وجل ﴿وَأَنَّ المسَاجِدَ لِلَّهِ فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً﴾[2] ، وهذا يعم جميع المخلوقات من الأنبياء وغيرهم ، لأن "أحد" نَكِرَة في سياق النهي ، فتَعُم كل من سوى الله سبحانه ، وقال تعالى ﴿وَلاَ تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَنفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ﴾[3] ، وهذا خطاب للنبي ﷺ ، ومعلوم أن الله سبحانه قد عصمه من الشرك ، وإنما المراد من ذلك تحذير غيره ، ثم قال عز وجل ﴿فإن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذاً مِّنَ الظَّالِمِين﴾[4] ، فإن كان سيد ولد آدم عليه الصلاة والسلام لو دعا غير الله يكون من الظالمين فكيف بغيره؟ والظلم إذا أُطلق يراد به الشرك الأكبر كما قال الله سبحانه ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُون﴾[5] ، وقال تعالى ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيم﴾[6] .

فعُلِم بهذه الآيات وغيرها أن دعاء غير الله من الأموات والأشجار والأحجار والأصنام وغيرها شرك بالله عز وجل ينافي العبادة التي خَلَقَ الله الثقلين من أجلها ، وأرسل الرسل وأنزل الكتب لبيانها والدعوة إليها ، وهذا هو معنى لا إله إلا الله ، فإن معناها: لا معبود بحق إلا الله ، فهي تنفي العبادة عن غير الله وتثبتها لله وحده ، كما قال سبحانه ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ البَاطِل﴾[7] ، وهذا هو أصل الدين وأساس المِلَة ولا تصح العبادات إلا بعد صحة هذا الأصل كما قال تعالى ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِين﴾[8] ، وقال سبحانه ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُون﴾[9] .

ودين الإسلام مبني على أصلين عظيمين أحدهما: أن لا يُعبدَ إلا الله وحده ، والثاني ألاَّ يُعبَد إلا بشريعة نبيه ورسوله محمد ﷺ ، وهذا هو معنى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فمن دعا الأموات من الأنبياء و غيرهم أو دعا الأصنام أو الأشجار أو الأحجار أو غير ذلك من المخلوقات أو استغاث بهم أو تقرب إليهم بالذبائح و النذور أو صلى لهم أو سجد لهم ؛ فقد اتخذهم أرباباً من دون الله وجعلهم أنداداً له سبحانه.

وهذا يناقض هذا الأصل و ينافي معنى لا إله إلا الله ، كما أن من ابتدع في الدين ما لم يأذن به الله لم يحقق معنى

---

[1] سورة غافر: ١٤ .

[2] سورة الجن: ١٨ .

[3] سورة يونس: ١٠٦ .

[4] سورة يونس: ١٠٦ .

[5] سورة البقرة: ٢٥٤ .

[6] سورة لقمان: ١٣ .

[7] سورة الحج: ٦٢ .

[8] سورة الزمر: ٦٥ .

[9] سورة الأنعام: ٨٨ .

شهادة أن محمداً رسول الله ، وقد قال الله عز وجل ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً منثُورا﴾[1] ، وهذه الأعمال هي أعمال من مات على الشرك بالله عز و جل ، و هكذا الأعمال المبتدعة التي لم يأذن بها الله فإنها تكون يوم القيامة هباءً منثوراً لكونها لم توافق شرعه المطهر ، كما قال النبي ﷺ : من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد. متفق على صحته.[2]

ثم قال رحمه الله: وقد أمر الله عز وجل بدعائه سبحانه ، ووعد من يدعوه بالاستجابة ، وتوعد من استكبر عن ذلك بدخول جهنم ، كما قال عز وجل ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[3] ، أي صاغرين ذليلين ، وقد دلت الآية الكريمة على أن الدعاء عبادة ، وعلى أن من من استكبر عنه فمأواه جهنم ، فإذا كانت هذه حال من استكبر عن دعاء الله فكيف تكون حال من دعا غيره وأعرض عنه؟

وهو سبحانه القريب المجيب المالك لكل شيء والقادر على كل شيء ، كما قال سبحانه ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُم يَرْشُدُونَ﴾[4].

وقد أخبر الرسول في الحديث الصحيح أن **الدعاء هو العبادة** ، وقال لابن عمه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: **اِحْفَظِ الله يَحْفَظْكَ ، اِحْفَظِ الله تجِدْهُ تُجَاهَكَ ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ الله ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بالله.** أخرجه الترمذي وغيره.[5]

وقال ﷺ : من مات وهو يدعُو من دون الله نداً دخلَ النار.[6]

وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه سُئِل: أيُّ الذَّنبِ أعظمُ عندَ الله؟

قال: **أن تجعلَ للَّهِ نِـدًّا وهوَ خَلَقَكَ.**[7]

والند هو النظير و المثيل.

فكل من دعا غير الله أو استغاث به أو نذر له أو ذبح له أو صرف له شيئا من العبادة سوى ما تقدم فقد اتخذه ندا لله ، سواء كان نبياً أو ولياً أو ملكاً أو جنياً أو صنماً أو غير ذلك من المخلوقات.

---

[1] سورة الفرقان: ٢٣ .

[2] رواه البخاري (٢٦٩٧) ، ومسلم (١٧١٨) عن عائشة رضي الله عنها.

[3] سورة غافر: ٦٠ .

[4] سورة البقرة: ١٨٦ .

[5] تقدم تخريجه.

[6] رواه البخاري (٤٤٩٧) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

[7] رواه البخاري (٤٧٦١) ومسلم (٨٦) ، واللفظ له ، عن ابن مسعود رضي الله عنه.

أما سؤال الحي الحاضر ما يقدر عليه والاستعانة به في الأمور الحسية التي يقدر عليها فليس ذلك من الشرك ، بل ذلك من الأمور العادية الجائزة بين المسلمين ، كما قال تعالى في قصة موسى ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾[1] ، وكما قال تعالى في قصة موسى أيضا ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّب﴾[2] ، وكما يستغيث الإنسان بأصحابه في الحرب وغيرها من الأمور التي تَعرِض للناس ويحتاجون فيها إلى أن يستعين بعضهم ببعض.

وقد أمر الله نبيه ﷺ أن يبلغ الناس أنه لا يملك لأحد نفعاً أو ضراً ، فقال تعالى في سورة الجن ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلاَ أُشْرِكُ بِهِ أَحَداً * قُلْ إِنِّي لاَ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَراً وَلاَ رَشَداً﴾[3] ، وقال تعالى في سورة الأعراف ﴿قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلاَ ضَراً إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[4] .

والآيات في هذا المعنى كثيرة.

وهو ﷺ لا يدعو إلا ربه ، ولا يستغيث إلا به ، و كان في يوم بدر يستغيث بالله ويستنصره على عدوه ويُلِحُّ في ذلك ويقول: "**يا ربِّ أنجز لي ما وعدتني**" ، حتى قال الصديق الأكبر أبو بكر رضي الله عنه: "حَسبُك يا رسول الله ، فإن الله مُنجِز لك ما وعدك"[5] ، وأنزل الله سبحانه في ذلك قوله تعالى ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ المِلاَئِكَةِ مُرْدِفِينَ * وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[6] ، فذكّرهم سبحانه في هذه الآيات استغاثتهم به ، وأخبر أنه استجاب لهم بإمدادهم بالملائكة ، ثم بين سبحانه أن النصر ليس من الملائكة ، وإنما أمدهم به للتبشير بالنصر والطمأنينة ، وبين أن النصر من عنده فقال ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾[7] ، وقال عز وجل في سورة آل عمران ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[8] ، فبين في هذه الآية أنه سبحانه هو الناصر لهم يوم بدر ، فعُلم بذلك أن ما أعطاهم من السلاح والقوة ، وما أمدهم به من الملائكة ؛ كل ذلك من أسباب النصر

---

[1] سورة القصص: ١٥ .

[2] سورة القصص: ٢١ .

[3] سورة الجن: ٢٠ – ٢١ .

[4] سورة الأعراف: ١٨٨ .

[5] انظر الحديث في صحيح البخاري (٢٩١٥) وصحيح مسلم (١٧٦٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

[6] سورة الأنفال: ٩ — ١٠ .

[7] سورة آل عمران: ١٢٦ .

[8] سورة آل عمران: ١٢٣ .

والتبشير والطمأنينة ، وليس النصر منها ، بل هو من عند الله وحده.[1]
انتهى كلام الشيخ ابن باز رحمه الله.

قال مقيده عفا الله عنه: فجزى الله أهل العلم المخلصين لله خير الجزاء بما بينوا للناس أصل دينِهم وهو توحيد العبادة ، فإنهم كما قال الشيخ عبد الرحمٰن بن محمد بن قاسم في مقدمة الكتاب الذي جمعه «الدرر السنية من الفتاوى النجدية»:
وقد صنف العلماء في كل عصر ومصر ، في الأصول والفروع وغيرها مما لا يحصى ، حفظا للدين والشريعة وأقول أهل العلم ، وليكون آخر الأمة كأولها في العلم والعمل والتزام أحكام الشريعة وإلزام الناس بها ، لأن ضرورتهم إلى ذلك فوق كل ضرورة ، ولولا ذلك لجرى على ديننا ما جرى على الأديان قبله ، فإن كل عصر لا يخلو من قائل بلا علم ، ومتكلم بغير إصابة ولا فهم.[2]

الوجه الثالث[3]: أن اتخاذ العبد واسطة بينه وبين ربه هو فعل مشركي مكة الذين بعث إليهم النبي ﷺ سواء بسواء بسواء ، قال الله تعالى عنهم ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ ، أي: والذين اتخذوا من دون الله أولياء يدْعونهم ما كانت حُجتهم إلا دعوى أنها تقربهم إلى الله ، هكذا فسرها قتادة كما رواه ابن جرير وابن أبي حاتم عنه رحمهما الله في تفسير الآية الكريمة.
وقال تعالى ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾[4] ، قال ابن كثير[5] كثير[5] رحمه الله في تفسير الآية: ينكر تعالى على المشركين الذين عبدوا مع الله غيره ظانين أن تلك الآلهة تنفعهم شفاعتها عند الله ، فأخبر تعالى أنها لا تضر ولا تنفع ، ولا تملك شيئا ، ولا يقع شيء مما يزعمون فيها ولا يكون هذا أبدا ، ولهذا قال تعالى ﴿قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض﴾. انتهى.

---

[1] انظر «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (١٠٨/٢) ، الناشر: دار القاسم – الرياض.

[2] «الدرر السنية» (٢١/١).

[3] كل ما تقدم تفصيل للوجه الثاني ، وقد أطلت الكلام فيه ، ومن هنا يبدأ الكلام على الوجه الثالث من وجوه بطلان اتخاذ واسطة في الدعاء بين العبد العبد وبين ربه.

[4] سورة يونس ، الآية ١٨ .

[5] هو عماد الدين ، إسماعيل بن عمر بن كثير ، البُصروي الأصل ، الدمشقي الشافعي ، ولد في مطلع القرن الثامن ، درس على شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، وبرع في الفقه والتفسير والنحو والتاريخ ، له تصانيف مفيدة ، أشهرها كتابه «تفسير القرآن العظيم» ، وكتاب «البداية والنهاية» في التاريخ ، توفي سنة ٧٧٤ .
انظر ترجمته في «الدرر الكامنة» لابن حجر ، و «شذرات الذهب» لابن العماد ، و «البدر الطالع» للشوكاني ، رحمهم الله.

الوجه الرابع: أن الله تعالى لو كان يرضى لعباده باتخاذ وسائط بينهم وبينه لاستفاض الأمر بذلك في الكتاب والسنة ، لأن شأن الدعاء مهم بين سائر العبادات ، ثم إن النبي ﷺ قد بيَّن الوسائل الشرعية لإجابة الدعاء ، سواء المتعلقة بالأزمنة الفاضلة أو الأمكنة الفاضلة أو الأحوال الفاضلة ، ولم يرِد عنه في شيء منها اتخاذ الصالحين واسطة ، ومن المعلوم أن كتاب الله فيه تبيان لكل شيء ، والنبي ﷺ علَّم أمته كل شيء ، حتى آداب قضاء الحاجة ، ثم تعلم الصحابة منه دين الله ، كما قال أبو ذر رضي الله عنه: (لقد تركنا محمد ﷺ وما يُحرِّك طائر جناحيه في السماء إلا أذْكَرنا منه علما)[1] ، ثم حُفظ هديه وهدي صحابته في العبادة — الذي هو خير الهدي – في كتب الحديث والأثر ، ولم يرد في شيء منها الحث على اتخاذ الصالحين واسطة في الدعاء ، بل الذي نجده هو خلاف ذلك تماما ، فالكتاب والسنة ينهيان عن دعاء غير الله بتاتا تحت أي ذريعة كانت ، وجاء فيهما وصف من فعل ذلك بالكفر عياذا بالله ، وقد تقدم ذكر بعض أدلة هذا الباب في أول هذا الكتاب.[2]

الوجه الخامس: لو كان اتخاذ الوسائط بين الله وبين خلقه جائزا لفعله الصحابة رضي الله عنهم ، لأنـهم أحرص الناس على الخير ، ولفعله التابعون وأتباعهم ، أصحاب القرون الثلاثة المفضلة الأولى ، الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بالخيرية في قوله: (خير الناس قرني ، ثم الذين يلُونهم ، ثم الذين يلُونهم)[3] ، ولكن الذي نجده هو خلاف ذلك تماما ، فالصحابة رضوان الله عليهم والتابعون قد حلت بهم مصائب ، ودهمتهم نوائب ، وأصابهم القحط مرات ، ولم يرد عنهم أنهم اتخذوا وسائط يتقربون بها لتشفع لهم عند الله بكشف شيء من تلك الكروب ، لا النبي ﷺ ولا غيره من كبار الصحابة ، ومن المعلوم أن ما لم يكن في القرون الثلاثة المفضلة دينا فلا يكون بعدها دينا.

الوجه السادس: ومن أدلة بطلان اتخاذ الوسائط أن متخذيها يدعونها فقط في الرخاء ويَنسونها إذا اشتد الكرب ، وهذا دليل فطري على سقوط تلك الواسطة وبطلانها ، إذ لو كانت نافعة حقا لاستمروا في دعائها في الرخاء والشدة ، قال تعالى ﴿فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون﴾ ، ﴿قل أرأيتم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة بغتة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين * بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء **وتنسون ما تشركون**﴾.

وقد عَقِلَ هذه الحقيقة عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه فكانت سببا في إسلامه ، فقد روى ابن سعد في «الطبقات الكبرى» في ترجمة عكرمة عن ابن أبي مليكة قال: لما كان يوم الفتح ركِب عِكرمة بن أبي جهل البحر

---

[1] رواه أحمد (١٥٣/٥ ، ١٦٢) والطيالسي (٤٨١) ، وحسنه محققو «المسند».

[2] انظر في أول هذا الكتاب: فصل في الأمر بدعاء الله وحده ، والنهي عن دعاء غيره.

[3] رواه البخاري (٢٦٥٢) ومسلم (٢٥٣٣) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

هاربا ، فخبَّ بهم البحر[1] ، فجعلت الصراري – أي الملاحين – يدعون الله ويوحدونه ، فقال: ما هذا؟ قالوا: هذا مكان لا ينفع فيه إلا الله. قال: فهذا إلٰه محمد الذي يدعونا إليه فارجعوا بنا ، فرجع فأسلم.

قلت: وقد كان هذا كان فعل المشركين في الجاهلية ، يدعون الله وحده في الشدة والكرب فحسب ، وفي الرخاء يدعون غيره معه ، أما مشركو زماننا من المنتسبين للإسلام زورا – فيستغيثون بغير الله في الرخاء والشدة ، بل إن شركهم يغلُظ في حال الشدة ، ومن ذهب لأحد القبور المُعظَّمة واستمع إلى أدعية قاصديها ، وما يشكونه لأصحاب تلك القبور من الكروب والشدائد ؛ علِم صدق مقالتي ، والله الهادي.

الوجه السابع: ومن أدلة بطلان اتخاذ الوسائط أن طلب الشفاعة والتوسط في اللغة وفي الشرع يكون بأن يطلب شخص من غيره أن ينضم إليه ليتوسط له عند ثالث لقضاء حاجة ما ، أما الذين يفعله عباد القبور فخلاف ذلك تماما ، فإنهم يطلبون حاجاتهم من الواسطة نفسها ، فهذا يطلب الولد ، وذاك يطلب المدد ، وذاك يطلب الشفاء ، وذاك يطلب النصر على الأعداء ، فهم جعلوا الواسطة بمنزلة من يملك قضاء الحاجة نفسه ، وهذا في غاية البطلان الشرعي والعقلي ، ولو أنهم عرفوا معنى الشفاعة لذهب الأول إلى الثاني وطلب منه أن يدعو الله أن ييسر له قضاء حاجته ، لا أن يدعوه نفسه أن يقضي حاجته ، هذا إن كان الشفيع حيا قادرا حاضرا ، لا ميتا أو عاجزا أو غائبا.

الوجه الثامن: ومن أدلة بطلان اتخاذ الوسائط في الدعاء أنه ليس في صلاح الموتى ما يوجب اتخاذهم واسطة أصلا ، فصلاح الإنسان واستقامته وقربه من الله عائد نفعه على نفسه وليس على من اتخذه واسطة كما قال تعالى ﴿من عمل صالحا فلنفسه﴾ ، فإنه إذا كان أقرب منك وأعلى درجة فمقتضاه أن يثيبه الله تعالى ويعطيه أكثر مما يعطيك ، وليس مقتضاه أنك إذا دعوته أن الله يقضي حاجتك بواسطة دعائك إياه أعظم مما يقضيها إذا دعوت أنت الله مباشرة.[2]

كذلك ، فلو كان صلاح المرء في حياته أو بعد وفاته يعود نفعه على الآخرين بمجرد اتخاذه واسطة ؛ لبيَّن ذلك النبي ﷺ ، لأنه بلَّغ الدين ونصح الأمة.

---

[1] أي: هاج واضطرب ، انظر «النهاية» مادة: خبب.

[2] انظر ما قاله الشيخ مرعي بن يوسف الكرمي رحمه الله في كتابه «شفاء الصدور في زيارة المشاهد والقبور» ، ص ١١٧– ١١٨ ، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز – مكة.

وانظر أيضا ما قاله الشيخ عبد الرحمٰن بن قاسم رحمه الله في «السيف المسلول على عابد الرسول» ، ص ٣٢ .

الوجه التاسع: أن قياس الله على ملوك الدنيا –كما جاء في الشبهة – باطل من **ستة وجوه ؛ العلم والتدبير والغنى والملك والرحمة والقدرة** ، وهذا أوان بيان ذلك:

أما من جهة العلم ؛ فإن الملوك إنما احتاجوا إلى الوسطاء لأنهم لا يعلمون حاجات الناس إلا عن طريقهم ، ولهذا اتخذوهم وسائط ، أما الله تعالى فإنه يعلم كل شيء بدون واسطة تُطلعه على ذلك ، فهو سبحانه يعلم السر وأخفى ، لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء ، يسمع ضجيج الأصوات باختلاف لغاتهم على تنوع حاجاتهم ، لا يشغله سمعٌ عن سمعٍ ، ولا يغلط من كثرة المسائل ، ولا يمل من إلحاح الداعين ، قال تعالى ﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين﴾.

وأما من جهة التدبير ؛ فإن ملوك الدنيا لا يستطيعون تدبير أمور رعيتهم وقضاء حوائجهم إلا بأعوان يعينونهم ، ولهذا اتخذوهم وسائط ، أما الله سبحانه فإنه قيوم السماوات والأرض ، له الأمر كله ، وبيده مقاليد كل شيء ، قوي متين جبار ، ليس بحاجة إلى معين ، ولا إلى نصير ، قال تعالى ﴿وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا﴾.

وأما من جهة الغنى ؛ فإن ملوك الدنيا قد يقبل الواحد منهم شفاعة الوسطاء اضطرارًا ، مع عدم إرادته لذلك وتثاقله له ، إما لحاجته إليهم – أي الوسطاء – ، أو تطييبًا لخاطرهم ، أو خوفًا منهم أن تنقص طاعتهم له ، أو أن يغدروا به ، أو مكافأة لهم على صنيع صنعوه ، فلهذا اتخذوهم وسائط ، فيكون بذلك كارهًا أو مستثقلاً لقبول شفاعتهم ، أو مستحِييا من ردِّها ، وربما لا يقبل شفاعتهم إلا بعد عناء وعسر ، لأنهم بشر ، والبشر صفتهم البخل والشح والتّمنُّع والتّكرّه ، وإن أعطى أعطى بقَـدْر ، خشية نفاد ما عنده ، أما الله تعالى فغنيٌّ كريم ، عنده خزائن السماوات والأرض ، لا يُكْرِثُـهُ[1] شيء ، يريد نفع عباده بلا مقابل ، ورحمتهم بلا إكراه ، قال تعالى ﴿قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغني له ما في السماوات وما في الأرض﴾.

[1] يكترث أي يبالي ، والمعنى أنه سبحانه وتعالى لا يبالي بما يُفِيض على عباده من الأرزاق. انظر «مختار الصحاح» مادة «كَرَث».

وعن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما روى عن الله تبارك وتعالى ، أنه قال: يا عبادي ، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ؛ ما نقص ذلك مما عندي إلا كما يَنقُصُ المِخيَط[1] إذا أُدخل البحر.[2]

وفي الحديث: إذا دعا أحدكم فلا يقل: (اللهم اغفر لي إن شئت) ، ولكن ليَعزم المسألة ولْيُعظِّم الرغبة ، فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه.[3]

وأما من جهة الملك ؛ فإن ملوك الدنيا لهم شركاء في ملكهم من وزراء وحاشية ونحوهم ، ولا يستطيعون تسيير الأمور بدون رضاهم ، فلهذا جعلوهم وسائط بينهم وبين رعيتهم ، أما الله فلا شريك له في ملكه ، بل هو يملك الشافع وغيره ، قال تعالى ﴿ولم يكن له شريك في الملك﴾ ، فالذي يجعل بينه وبين الله واسطة قد شبه الله بخلقه من هذا الوجه ، وهذا من أبطل الباطل.

وأما من جهة الرحمة ؛ فبيان ذلك أن الملوك بحاجة إلى من يلينهم ويُعطِّفهم على رعاياهم عن طريق الوسطاء والمقربين ، فلهذا اتخذوهم وسائط ، أما الله تعالى فليس بحاجة إلى ذلك ، فهو الرحمٰن الرحيم ، أرحم من الوالدة بولدها ، وهو الذي خلق الرحمة وجعلها في قلوب عباده ، فصار هذا يُحسن إلى هذا ، وهذا يُحسن إلى هذا ، فعن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : إن لله مائة رحمة ، فمنها رحمة بها يتراحم الخلق بينهم ، وتسعة وتسعون ليوم القيامة.[4]

قال الشيخ عبد الرحمٰن بن قاسم رحمه الله مناصحًا رجلا كان يدعو غير الله:

«إذا دعوت نبياً أو غيره ، فإن كنت تظن أنه أعلم بحالك ، أو يقدِر على سؤالك ، وأرحم بك من ربك ؛ فهذا جهل وكفر وضلال ، ولا حُجة لك على ذلك لا نقلاً ولا عقلاً ، ولا يحتج أحد بما هو بعينه حجةٌ عليه ، اللهم إلا من ابتُلي بسوء الفهم وفساد التصور.

وإن كنت تعلم أن اللهَ أعلم وأقدر وأرحم ، فلِماذا عدَلت عن سؤاله إلى سؤال غيره ، وهو سبحانه القائل ﴿أدعوني أستجيب لكم﴾ ، والقائل ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان﴾؟»[5]

---

[1] المخيط هو الإبرة.

[2] رواه مسلم (٢٥٧٧).

[3] رواه البخاري (٦٣٣٩) ، ومسلم (٢٦٧٩) ، واللفظ لمسلم.

[4] رواه مسلم (٢٧٥٣) واللفظ له ، وأحمد (٤٣٩/٥) ، وروى البخاري نحوه (٦٤٦٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

[5] «السيف المسلول على عابد الرسول» ، ص ٣١ – ٣٢ ، بتصرف يسير جدا.

وبناء على ما تقدم فإن دعاء غير الله يستلزم سوء الظن بالله ، بتنقصه في صفات العلم والرحمة والتدبير والغنى والملك ، وسوء الظن بالله من كبائر الذنوب ، ومما توعد الله عليه بالعقاب الشديد ، قال تعالى ﴿الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا﴾.

قال ابن القيم رحمه الله:

«أعظم الذنوب عند الله إساءة الظن به ، فإن المسيء به الظن قد ظن به خلاف كمالِه المقدس ، وظَنّ به ما يناقض أسماءَه وصفاتَه ، ولهذا توعد الله سبحانه الظانين به ظن السوء بما لم يتوعد به غيرهم ، كما قال تعالى ﴿الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا﴾ ، وقال تعالى لمن أنكر صفة من صفاته ﴿وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين﴾[1].

وقال تعالى عن خليله إبراهيم أنه قال لقومه ﴿ماذا تعبدون * ءإفكا آلهة دون الله تريدون * فما ظنكم برب العالمين﴾ ، أي فما ظنكم أن يجازيكم به إذا لقيتموه وقد عبدتم غيره ، وماذا ظننتم به حتى عبدتم معه غيره؟ وما ظننتم بأسمائه وصفاته وربوبيته من النقص حتى أحوجكم ذلك لعبودية غيره ، فلو ظننتم به ما هو أهلُه من أنه بكل شيء عليم ، وعلى كل شيء قدير ، وأنه غني عن كل ما سواه ، وكل ما سواه فقير إليه ، وأنه قائم بالقسط على خلقه ، وأنه المنفرد بتدبير خلقه ، لا يَشرَكُه فيه غيره ، والعالِم بتفاصيل الأمور ، فلا يخفى عليه خافية من خلقه ، والكافي لهم وحده فلا يحتاج إلى معين ، والرحمٰن بذاته فلا يحتاج في رحمته إلى من يستعطفه ، وهذا بخلاف الملوك وغيرهم من الرؤساء فإنهم محتاجون إلى من يعرفهم أحوال الرعية وحوائجهم ، وإلى من يعينهم على قضاء حوائجهم ، وإلى من يسترحمهم ويستعطفهم بالشفاعة ، فاحتاجوا إلى الوسائط ضرورةً ، لحاجتهم وضعفهم وعجزهم وقصور علمهم.

فأما القادر على كل شيء ، الغني بذاته عن كل شيء ، العالم بكل شيء ، الرحمٰن الرحيم ، الذي وسعت رحمته كل شيء ؛ فإدخال وسائط بينه وبين خلقه نقص بحق ربوبيته وإلٰهيته وتوحيده ، وظنٌّ به ظن السوء ، وهذا يستحيل أن يشرَعُه لعباده ، ويمتنع في العقول والفِطر جوازه ، وقُبحه مستقر في العقول السليمة فوق كل قبيح.

---

[1] نزلت الآية السابقة في حق من شك في صفة السمع لله تعالى ، كما جاء ذلك في صحيح البخاري (٤٥٣٩) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: اجتمع عند البيت قُرشيان وثقفي ، أو ثقفيان وقُرشي ، كثيرة شحم بطونهم ، قليلة فِقه قلوبهم ، فقال أحدهم: أترون أن الله يسمع ما نقول؟ قال الاخر: يسمع إن جَهرنا ولا يَسمع إن أخفينا.

وقال الآخر: إن كان يسمع إذا جهَرنا فإنه يسمع إذا أخفينا.

فأنزل الله عز وجل ﴿وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم﴾ الآية.

قلت: وتمامها الآية التي استشهد بها ابن القيم أعلاه وهي ﴿ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعلمون * وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين﴾.

يُوضح هذا أن العابد مُعظِّم لمعبوده ، متأله خاضع ذليل له ، والرب تعالى وحده هو الذي يستحق كمال التعظيم والإجلال والتأله ، والخضوع والذل ، وهذا خالص حقه.

فما قدر الله حق قدره من عَبَد مَعه غيره ممن لا يقدر على خلق أضعف حيوان وأصغره ، وإن سلبه الذباب شيئا مما عليه لم يقدر على استنقاذه منه ، قال تعالى ﴿ما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ ، فما قدَرَ من هذا شأنه وعظمته حق قدرِه من أشرك معه في عبادته من ليس له شيء من ذلك البتة ، بل هو أعجز شيء وأضعفه ، فما قدَرَ القويَّ العزيز حقّ قدرِه من أشرك معه الضَّعيف الذليل».[1]

وأما من جهة القدرة ؛ فإن العبد محدود القدرة ، ملِكاً كان أو مملوكا ، لا يقدِر على مساعدة إلا من كان تحت يده وفي حدود الأمور المادية التي هي تحت قدرته ، أما الله فهو على كل شيء قدير ، لا يُثقِله شيء ، ولا يستعصي عليه أمر ، يُغني الفقراء ، ويُطعِم الجائعين ، ويَشفي المرضى ، ويَهَب لمن يشاء إناثا ، ويهب لمن يشاء الذكور ، ويغفر ذنوب المذنبين ، ويُعطِي بلا حساب ، يجلِب النفع فلا يرد نفعه أحد ، ويدفع الضر فلا يجلب الضر أحد ، كما قال تعالى ﴿ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم﴾[2] ، لا يَنقُص ذلك من خزائنه شيء ، وهو مع هذا يُحب من يسأله ، بخلاف ملوك الدنيا ، فإن أطعموا أطعموا بحدود ، وإن قدِروا على النفع نفعوا بحدود ، وربما منعوا نفعهم مع القدرة ، والكلام في هذا يطول ، وهو واضح بحمد الله ، والغرض منه بيان بطلان تشبيه الله بملوك الدنيا ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

الوجه العاشر: يقال لمن قال إن عنده معاصي تحول بينه وبين إجابة دعائه: إن الله سبحانه وتعالى أخبر بأنه يستجيب للعبد ولو كان عنده معاصٍ ، بل حتى لو كان كافرًا ، لأن هذا من مقتضيات رحمته العامة ، والتي تشمل المطيع والعاصي[3] ، فما الداعي لاتخاذ الواسطة إذن؟!

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : اتقوا دعوة المظلوم وإن كان كافرًا ، فإنه ليس دونها حجاب.[4]

---

[1] «الداء والدواء» ، ص ٢١١ – ٢١٧ ، باختصار.

[2] سورة فاطر: ٢ .

[3] والنوع الثاني من الرحمة هو الرحمة الخاصة ، وهذه خاصة بالمؤمنين ، وأعظم رحماته بهم إدخالهم الجنة في الآخرة ، وفي الدنيا شرح صدورهم بالإيمان وهدايتهم وكفايتهم عدوهم ونصرهم ونحو ذلك.

[4] رواه أحمد (١٥٣/٣) ، وحسنة الألباني في «صحيح الجامع» (١١٩) ، و «الصحيحة» (٧٦٧).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : دعوة المظلوم مستجابة ، وإن كان فاجرًا فجوره على نفسه.[1]

فإجابة الدعاء ليست محصورة بدعاء الرجل الصالح ، فإنه وإن كان دعاؤه أقرب للاستجابة من دعاء العاصي ، ولكن لا ينحصر فيه ، وإلا لما استجاب الله لدعاء أحد ، لأن كل بني آدم خطّاء كما أخبر بذلك النبي ﷺ بقوله: كل بني آدم خطاء ، وخير الخطائين التوابون.[2]

الوجه الحادي عشر: إن اتخاذ الواسطة يلغي العلاقة المباشرة بين العبد وربه ويقطع الصلة بينهما ، لكون فاعل ذلك قد وكّل غيره ليقوم عنه بعبادة الدعاء – بزعمه – ، فجعل بينه وبين الله حاجزًا ، وكفى بهذا خسارة ، وهذا خلاف ما قصدته الشريعة الإسلامية من تقوية العلاقة بين العبد وربه.

الوجه الثاني عشر: إن متخذ الواسطة قد حرم نفسه من خير كثير ، ألا وهو فرح الله بإقباله إليه ، وانطراحه بين يديه ، واستعاض عن هذا بالانطراح بين يدي ميتٍ ليس له من الأمر شيء ، ولا يقربه من ربه بشيء ، ومن المعلوم أن الله تعالى يفرح بإقبال عبده إليه ولو بلغت ذنوب عبدِه عَنان[3] السماء ، كما في الحديث القدسي الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه: قال النبي ﷺ : يقول الله عز وجل:

أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه إذا ذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم ، وإن تقرّب إلي بشبر تقربتُ إليه ذراعًا ، وإن تقرّب إلي ذراعًا تقربت إليه باعًا ، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة.[4]

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : لله أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدِكم كان على راحِلته بأرض فلاةٍ فانفلتت منه ، وعليها طعامه وشرابه ، فأيِس منها ، فأتى شجرةً فاضطجع في ظلها ، قد أيِس من راحِلته ، فبينا هو كذلك إذ هو بها قائمةً عنده ، فأخذ بخِطامها ، ثم قال من شِدة الفرح: (اللهم أنت عبدي وأنا ربُّك) ، أخطأ من شدة الفرح.[5]

---

[1] رواه أحمد (٣٦٧/٢) ، وحسنه الألباني في «الصحيحة» (٧٦٧).

[2] رواه الترمذي (٢٤٩٩) وابن ماجه (٤٢٥١) وغيرهما ، وحسنه الألباني.

[3] العنان هو السحاب.

[4] رواه البخاري (٧٤٠٥) ، ومسلم (٢٦٧٥).

[5] رواه مسلم (٢٧٤٦).

الوجه الثالث عشر: وفضلا عن كون دعاء غير الله شرك في العبادة ؛ فإن تلك الوسائط لا تقوم بدعاء الله كما يظنه من يدعوهم ، لأنهم إما جمادات وإما موتى ، وكِلا الصنفين لا يعلم عن الحي شيئا ، ولا يستجيب له ، ولا يخدِمه بشيء ، لا بدعاء ولا بغيره ، وقد جاء ذلك صريحا في قوله تعالى ﴿وما أنت بمسمع من في القبور﴾ ، وقال تعالى في سورة فاطر ﴿والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير * إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون **بشرككم** ولا ينبئك مثل خبير﴾ ، فسمى الله دعاءهم شركا ، وقال تعالى ﴿والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون * أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون﴾.
بل إن الميت يعتبر مضرب مثل عند الناس في عدم الاستجابة ، فواعجباً من حي سميع بصير يسأل ميتا حاجاته!
ولهذا قيل:

لقد أسمعت لو ناديت حيا ولكن لا حياة لمن تنادي

الوجه الرابع عشر: ومن وجوه بطلان اتخاذ العبد شفعاء ووسطاء بينه وبين الله تعالى تصريح القرآن بأن أولئك الشفعاء لن يشفعوا لهم يوم القيامة ، بل ستتقطع بينهم الوصائل والعلائق ويتبرؤون منهم ، قال تعالى ﴿ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم **شفعاءكم** الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء **لقد تقطع بينكم** وضل عنكم ما كنتم تزعمون﴾[1] ، وقال تعالى ﴿ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون * ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء وكانوا بعبادتهم كافرين﴾[2] ، قال ابن كثير رحمه الله في تفسير الآية: أي ما شفعت فيهم الآلهة التي كانوا يعبدونها من دون الله تعالى ، وكفروا بهم ، وخانوهم أحوج ما كانوا إليهم.

الوجه الخامس عشر: ومن وجوه بطلان اتخاذ العبد واسطة بينه وبين ربه في الدعاء **أن أولئك المدعُوين من الأنبياء والصالحين – ممن اتخذهم الناس وسائط – هم أنفسهم محتاجون لدعاء الأحياء واستغفارهم لهم** ، لأن الميت قد انقطع عمله ، كما قال عليه الصلاة والسلام: إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقةٍ جارية ، أو علمٍ ينتفع به ، أو ولدٍ صالح يدعو له.[3]
فهذا محمد ﷺ – أفضل البشر وأقربهم عند الله منزلة – طلب منا أن نصلي عليه ، حيا وميتا ، والصلاة عليه هي الدعاء له بالرحمة ، قال ﷺ : إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول **ثم صلوا علي** ، فإنه من صلى علي صلاة

---

[1] سورة الأنعام ، الآية ٩٤ .
[2] سورة الروم ، الآية ١٣ .
[3] رواه مسلم (١٦٣١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

صلى الله عليه بها عشرا ، ثم **سلوا الله لي الوسيلة** فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن **سأل لي الوسيلة** حلت له الشفاعة.[1]

كما علَّمنا النبي ﷺ بأن نُسلِّم عليه وعلى كل عبد صالح في السماء والأرض ، والسلام هو الدعاء بالسلامة ، فقد جاء في دعاء التشهد في التحيات: **السلام عليك** أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، **السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين** ... الحديث.[2]

كما علَّم النبي ﷺ أمته أن يدعوا للميت بالرحمة والمغفرة في عموم الأحوال ، وفي صلاة الجنازة ، وبعد الدفن خصوصا ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا صلى على جنازة يقول: اللهم اغفر لحينا وميتنا ، وشاهدنا وغائبنا ، وصغيرنا وكبيرنا ، وذكرنا وأنثانا ، اللهم من أحييته منا فأحيه على الإسلام ، ومن توفيته منا فتوفه على الإيمان ، اللهم لا تحرمنا أجره ، ولا تُضلنا بعده.[3]

وعن عثمان رضي الله عنه: كان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال: استغفروا لأخيكم ، وسلوا له التثبيت ، فإنه الآن يُسأل.[4]

فإذا تقرر أن الميت بحاجة لدعاء الحي ولو كان الميت هو النبي ﷺ ؛ فلا يصح إذن أن نطلب من الموتى شيئا من المصالح الدينية أو الدنيوية.

الوجه السادس عشر: أن الاعتماد على مبدأ القياس لتسويغ اتخاذ واسطة بين العبد وبين ربه باطل من وجهين:

الأول: أن مبدأ القياس لا يلجأ إليه العلماء دائما ، بل عند الضرورةً ، عند عدم وجود النص الشرعي المبيِّن لحكم مسألة ما ، فعندئذ يلجأ العلماء إلى القياس ، أما مع وجود النص فلا ، وإلا فما فائدة النصوص الشرعية إذا كان القياس العقلي مقدما عليها؟

وقد تقدم تقرير أن النصوص الشرعية متضافرةٌ في النهي عن اتخاذ الوسائط ، بل إن إفراد الله بالعبادة هو أصل الدين وأساس الملة.

الثاني: أن معارضة نصوص الكتاب والسنة بالأدلة العقلية والأقيسة الذهنية باطل من جهة أن كل قياس يخالف كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ في نصهما أو ظاهرهما ، أو يخالف إجماع ما كان عليه سلف الأمة وأئمتها ؛ فهو

---

[1] رواه مسلم (٣٨٤) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

[2] رواه البخاري (٨٣١) ومسلم (٤٠٢) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

[3] رواه أبو داود (٣٢٠١) وابن ماجه (١٤٩٨) ، وصححه الألباني.

ورواه أحمد (٣٦٨/٢) ، والترمذي (١٠٢٤) بدون زيادة: اللهم لا تحرمنا أجره ... الحديث.

[4] رواه أبو داود (٣٢٢١) عن عثمان رضي الله عنه ، وصححه الألباني.

قياس فاسد الاعتبار لا يعول عليه عند جميع علماء المسلمين وفي جميع المذاهب الفقهية ، وقياس الله على ملوك الدنيا من الأقيسة الفاسدة قطعا ، لأن الله أبطله صراحة في القرآن في قوله ﴿فلا تضربوا لله الأمثال﴾ ، وفي قوله ﴿ليس كمثله شيء﴾.

وقد شبَّه بعض العارفين حال من يعترض على الشرع بالشبه العقلية بحال من أتى إلى الرسول ﷺ وقال له: (إن الوحي الذي تلقيناه منك ، والسنة التي تدلنا عليها ؛ فيها ما توافق عليه عقولنا وفيها ما لا توافق ، فسنأخذ منك ما وافق عقولنا ونترك الباقي) ، فهل هذا مؤمن؟ قطعا لا.

وهذا إبليس – أعاذنا الله منه – عارض أمر الله له بالسجود لآدم لما اتبع رأيه الفاسد ، وقدم العقل على الأمر الشرعي ، فقال ﴿أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين﴾ ، فهلك وأهلك عياذا بالله.

وصدق ابن القيم رحمه الله إذ قال: «وأصلُ كل فتنة إنما هو من تقديم الرأي على الشرع ، والهوى على العقل».[1]

وقال ابن تيمية رحمه الله تعالى: «فعلى العبد أن يسلم للشريعة المحمدية الكاملة البيضاء الواضحة ، ويسلم أنها جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها ، وتعطيل المفاسد وتقليلها ، وإذا رأى من العبادات والتقشفات وغيرها التي يظنها حسنة ونافعة ما ليس بمشروع ؛ علِم أن ضررها راجح على نفعها ، ومفسدتها راجحة على مصلحتها ، إذ الشارع حكيم لا يهمل المصالح».[2]

قلت: فالواجب هو التسليم والاستسلام لله ، واتباع أوامره ، وعدم الاعتراض عليها بشيء من الأقيسة العقلية أو الأهواء النفسية ، قال تعالى ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يُحَكِّموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما﴾ ، وقال تعالى ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا﴾ ، وقال تعالى ﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون﴾ ، ففي هذه الآية نزه الله نفسه عما اختارته عقول البشر ، وسماه شركًا ، ووجه ذلك أن الذي يجعل عقله عمدَتُهُ فيما يختار فهذا في الحقيقة قد جعل له مرجِعًا آخر غير الشريعة ، وهو عقله ، فالواجب الحذر ، قال ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية:

«يخبر تعالى أنه المنفرد بالخلق والاختيار ، وأنه ليس له في ذلك مُنازع ولا مُعَقِّب ، ﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار﴾ ، أي ما يشاء ، فما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ، فالأمور كلها خيرها وشرها بيده ، ومرجِعها إليه».

---

[1] «إغاثة اللهفان» (١٦٧/٢) ، تحقيق الشيخ محمد حامد الفقي.

[2] «تلخيص كتاب الاستغاثة في الرد على البكري» لابن كثير رحمه الله (١٦٧/١).

وخلاصة القول أن اتخاذ العبد واسطة بينه وبين ربه ، يزعم أنها تُقربه إليه ، وتشفع له عنده ؛ أمر باطل ، وهو من أنواع الشرك بالله العظيم ، ومستلزم لسوء الظن به ، والواجب أن يدعو العبد ربه مباشرة بدون واسطة كما قال تعالى ﴿وقال ربكم ادعوني استجب لكم﴾ ، وهكذا باقي العبادات ، يتقرب بها العبد إلى ربه مباشرة.

وقد جاء التصريح القرآني بأن دعاء غير الله باطل مهما كانت مُبرراته ، وفي هذا كفاية وشفاء لمن أراد الحق وآمن بالقرآن ، وذلك في قوله تعالى في سورة الحج ﴿ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو **الباطل**﴾[1]، وقوله تعالى في سورة لقمان ﴿ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه **الباطل**﴾[2].

كما جاء التصريح القرآني بأن دعاء الله هو الحق ، كما قال تعالى ﴿له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين إلا في ضلال﴾.

[1] الآية ٦٢ .

[2] الآية ٣٠ .

الشبهة الثانية: شبهة في شفاعة النبي ﷺ لأمته في الآخرة والجواب عنها

قال بعضهم إنه يتوجَّه إلى النبي ﷺ بالدعاء ليكون ممن تناله شفاعته ﷺ في الآخرة ، والجواب على هذه الشبهة من عشرة وجوه:

الأول: أنَّ كون النبي ﷺ شفيع الناس في الآخرة لا يقتضي دعاءه للحصول على تلك الشفاعة ، فإن الدعاء عبادة ، وجميع أنواع العبادة لا يجوز صرفها إلا لله عز وجل ، قال تعالى ﴿قل إنما أدعو ربي ولا أشرك به أحدا﴾ ، فمن صرف منها شيئا لغير الله فقد أشرك ، والمشرك ليس له شفيع في الآخرة كما سيأتي بيانه.

الثاني: أن النبي ﷺ لا يملك الشفاعة أصلا حتى يصح طلبها منه ، وإنما المالك لها هو الله فحسب ، فاطلبها من الله ولا تطلبها من غيره ، قال تعالى ﴿ولا **يملك** الذين يدعون من دونه الشفاعة﴾ ، وقال تعالى ﴿أم اتخذوا من دون الله **شفعاء** قل أوَلَوْ كانوا **لا يملكون شيئا** ولا يعقلون * **بل لله الشفاعة جميعا**﴾ ، ففي الآية الأولى نفى الله ملكية أولئك المدعُوين للشفاعة ، أيا كان أولئك المدعوون ، وفي الآية الثانية أكد الرب سبحانه اختصاصه بملكية الشفاعة بثلاثة مؤكدات ؛ الأول: بل ، والثاني: لام الاستحقاق لله ، والثالث قوله: جميعا.

وقد دلت السنة أيضا على أن النبي ﷺ لا يملك شيئا يوم القيامة ، لا الشفاعة ولا غيرها ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما أنزلت هذه الآية ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ ؛ دعا رسول الله ﷺ قريشا فاجتمعوا ، فعمَّ وخصَّ[1] ، فقال: يا بَني كعب بن لؤي ، أنقذوا أنفسكم من النار.

يا بني مرة بن كعب ، أنقذوا أنفسكم من النار.

يا بني عبد شمس ، أنقذوا أنفسكم من النار.

يا بني عبد مناف ، أنقذوا أنفسكم من النار.

يا بني هاشم ، أنقذوا أنفسكم من النار.

يا بني عبد المطلب ، أنقذوا أنفسكم من النار.

يا فاطمة ، أنقذي نفسك من النار ، فإني لا أملك لكم من الله شيئا.[2]

وفي لفظ: يا عباس بن عبد المطلب ، لا أغني عنك من الله شيئا.

يا صفية عمة رسول الله ﷺ ، لا أغني عنك من الله شيئا.

---

[1] أي أنه عمَّ عشيرته بالنداء ، ثم خص بعض بطون قريش ، ثم خص بعض الأشخاص كعمه وعمته وابنته.

[2] رواه البخاري (٢٧٥٣) ومسلم (٢٠٤) واللفظ له.

يا فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، سليني من مالي ما شئت ، لا أغني عنك من الله شيئا.[1]

قال ابن تيمية رحمه الله: فلا يملك مخلوق الشفاعة بحال ، ولا يُتصَور أن يكون نبي فمن دونه مالِكًا لها ، بل هذا ممتنع ، كما يمتنع أن يكون خالقاً ورباً ، وهذا كما قال ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير﴾ ، **فنفى الملك مطلقا** ، ثم قال ﴿ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له﴾ ، فنفى نفع الشفاعة إلا لمن استثناه ، ولم يُثبت أن مخلوقاً يملك الشفاعة ، بل هو سبحانه له الملك وله الحمد ، لا شريك له في الملك ، قال تعالى ﴿تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا * الذي له ملك السماوات والأرض ولم يتخذ ولدا **ولم يكن له شريك في الملك** وخلق كل شيء فقدره تقديرا﴾.[2]

الوجه الثالث[3]: أن النبي ﷺ وغيره من الشفعاء لا يشفعون لمن شاءوا يوم القيامة ، بل فيمن تحققت فيه شروط الشفاعة ، فمن تحققت فيه قَبِل الله شفاعتهم فيه ، وهذه التي تسمى بالشفاعة المُثْبَتَة ، أي التي أثبت الله حصولها يوم القيامة ، ومن لم تنطبق عليه شروط الشفاعة فلن ينالها ، وهذه التي تسمى بالشفاعة المنفية ، أي المنتفي حصولها يوم القيامة[4] ، وشروط الشفاعة المثبتة اثنان وهما:

١ – **إذن الله للشافع أن يشفع** ، ودليل هذا الشرط قوله تعالى ﴿من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه﴾[5] ، وقال ﴿ما من شفيع إلا من بعد إذنه﴾[6] ، وقال ﴿يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمٰن ورضي له قولا﴾[7] ، وقال ﴿ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له﴾[8] ، وقال ﴿وكم من ملك في السماوات والأرض لا تغني شفاعتهم شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى﴾[9].

هكذا ، خمسة أدلة صريحة في القرآن على شرط إذن الرحمٰن للشافع أن يشفع.

---

[1] اللفظ لمسلم (٢٠٦).

[2] «مجموع الفتاوى» (١٤/٤٠٦).

[3] هذا الوجه مهم جدا ، وكاشف أساسي للمسألة.

[4] سيأتي الكلام على الشفاعة المنفية بعد صفحات.

[5] سورة مريم ، الآية ٨٧ .

[6] سورة يونس ، الآية ٣ .

[7] سورة طه ، الآية ١٠٩ .

[8] سورة سبأ ، الآية ٢٣ .

[9] سورة النجم ، الآية ٢٦ .

وقد نصَّ القرآنُ في واحدٍ وعشرينَ موضعا على نفيِ حصولِ الشفاعةِ يوم القيامةِ إلا بإذن الله سبحانه وتعالى.[1]
فدلت هذه النصوص على شرطِ الإذنِ ، وأيضا على أن النبي ﷺ لا يملك الشفاعة ، إذ لو كان يملكها لما حُبسَ أحدٌ في العذاب ما شاء الله ، بل لأخرج ﷺ أولئك المؤمنين من النار بدون إذن الرحمٰن.
قال ابن كثير رحمه الله: وهذا من عظمته وجلاله وكبريائه عز وجل ، أنه لا يتجاسر أحد على أن يشفع لأحد عنده إلا بإذنه في الشفاعة. انتهى.[2]
كما دلت الأحاديث على أن النبي ﷺ لا يشفع حتى يأذن الله له بذلك ، ومن تلك الأحاديث حديث أنس بن مالك رضي الله عنه المتقدم ، وفيه أن النبي ﷺ يستأذن في الشفاعة للمؤمنين من أهل الكبائر الذين في النار في الخروج منها ودخول الجنة ، **فيقبل الله شفاعته ، ويحُد له حدا من الناس** ، أي يُقدِّر له قدرا من الناس يُخرجهم من النار ويدخلهم الجنة ، ثم يعود عليه الصلاة والسلام إلى ربه ليشفع ، مرة بعد مرة ، أربع مرات.[3]
والشاهد من الحديث استئذان النبي ﷺ ربه في الشفاعة ، فإنه دليل على أن النبي ﷺ لا يملك الشفاعة ابتداءً ، إذ لو كان يملكها كما تُمتلك سائر الأعطيات لشَفع مباشرة بدون إذنٍ وبدون حَدٍّ ، ولأخرج أولئك المؤمنين من النار مباشرة دون استئذانٍ ، وهذا ما لم يحصل.[4]
٢ – الشرط الثاني من شروط قبول الشفاعة هو رِضا الله عن المشفوع له ، ودليل هذا الشرط قوله تعالى ﴿ولا يشفعون إلا لمن **ارتضى**﴾[5] ، وقوله تعالى ﴿يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمٰن **ورضي** له قولا﴾[6].
قال ابن كثير رحمه الله في تفسير سورة المدثر عند تفسير قوله تعالى ﴿فما تنفعهم شفاعة الشافعين﴾: «الشفاعة إنما تنجع إذا كان المحل قابلا ، فأما من وافى الله كافرا يوم القيامة فإنه له النار لا محالة خالدا فيها». انتهى.
وقد جمع الله الشرطين الأول والثاني في قوله تعالى ﴿وكم من ملك في السماوات لا تغني شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن **يأذن** الله لمن يشاء **ويرضى**﴾.

فصل في بيان الوسائل الشرعية للحصول على شفاعة النبي ﷺ في الآخرة

---

[1] انظر « المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم » ، مادة شفع.
[2] تفسير آية الكرسي من سورة البقرة.
[3] ومن الأدلة كذلك على شرط الإذن حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، والشاهد منه قوله (ثم يأذن الله في الشفاعة ، فيؤخذون ضِبارات ضِبارات) ، أي جماعات جماعات ، وقد رواه أحمد (٢٥/٣) ، وصححه محققو «المسند» (٢٩٦/١٧).
[4] وانظر «الاستغاثة في الرد على البكري» ، ص ٣٥٤ – ٣٥٥ .
[5] سورة الأنبياء ، الآية ٢٨ .
[6] سورة طه ، الآية ١٠٩ .

اعلم رحمك الله أن رضا الله عن العبد لا يكون إلا بتحقيق التوحيد الذي هو إخلاص العبادات له سبحانه ، من صلاة ودعاء وذبح ونذر وغير ذلك ، فمن حقق التوحيد دخل في شفاعة النبي ﷺ يوم القيامة ، كما قال النبي ﷺ لأبي هريرة رضي الله عنه لما سأله: من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟

فقال: أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة ؛ من قال «لا إله إلا الله» خالصا من قلبه ، أو نفسه.[1]

وفي حديث أبي هريرة المتقدم: وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة ، فهي نائلة ، إن شاء الله ، من مات من أمتي **لم يشرك بالله شيئا**.[2]

وعن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ... ، وأعطيت الشفاعة ، وهي نائلة من أمتي **من لا يشرك بالله شيئا**.[3]

فهذه الأحاديث ونحوها تفيد اشتراط إخلاص العبادات كلها لله ، من دعاء وغيره لمن أراد أن يكون ممن سُعِد بشفاعة النبي ﷺ يوم القيامة ، وبهذا يكون تحقيق التوحيد ، أما من وقع في الشرك كدعاء المخلوقين ، وطلب الشفاعة منهم أو الذبح لهم والنذر ونحو ذلك فإنه لن يشفع له أحد ولو فعل ما فعل ، وحتى لو شفع له أحد فإن شفاعته لن تقبل ، ولو كان الشافع له هو الرسول ﷺ ، لأن الشرك من موانع قبول الشفاعة ، فهذا إبراهيم عليه السلام سيشفع لأبيه آزر يوم القيامة ولكن لن يقبل الله شفاعته لأنه من المشركين ، مع أن إبراهيم من أولي العزم من الرسل وخليل الرحمٰن ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة ، وعلى وجه آزر قَتَرَةٌ[4] وغبرةٌ ، فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك لا تعصني؟

فيقول أبوه: اليوم لا أعصيك.

فيقول إبراهيم[5]: إنك وعدتني أن لا تخزيَني يوم يبعثون ، فأي خزي أخزى من أبي الأبعد[6]؟

فيقول الله تعالى: إني حرمت الجنة على الكافرين.

ثم يقال: يا إبراهيم ، ما تحت رجليك؟

---

[1] رواه البخاري (٩٩) وأحمد (٣٧٣/٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

[2] تقدم تخريجه قريبا.

[3] رواه أحمد (١٦٢/٥) والطيالسي (٤٧٤) ، وصححه محققو «المسند».

[4] القترة كما في «لسان العرب» هي الغبرة يعلوها سواد كالدخان ، وقال ابن حجر في شرح الحديث: القترة هي سواد الوجه من شدة الكرب.

[5] أي لربه.

[6] قيل في الأبعد أن إبراهيم وصف نفسه بالأبعد على طريق الفرض إذا لم تقبل شفاعته فيه ، وقيل الأبعد صفة أبيه أي إنه شديد البعد من رحمة الله ، ورجح ابن حجر القول الأول. انظر شرح الحديث في «فتح الباري».

فينظر فإذا هو بذيخٍ[1] متلطخ[2] ، فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار.[3]

وكذلك لما استغفر النبي ﷺ لأمه نهاه الله عن ذلك لأنها ماتت مشركة ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي ، واستأذنته أن أزور قبرها فأذِن لي.[4]

فاستغفار النبي ﷺ لأمه – وإن كان من أعظم أسباب المغفرة لأنه استغفار نبي – إلا أنه لم يُقبل منه ، لأن المانع كان أقوى وهو الشرك ، فالواجب الحذر.

وهذه هي التي تسمى بالشفاعة المنفية ، وهي التي عناها الله في قوله ﴿فما تنفعهم شفاعة الشافعين﴾.

قال ابن القيم رحمه الله:

«والذي في قلوب هؤلاء المشركين وسلفهم أن آلهتهم تشفع لهم عند الله ، **وهذا عين الشرك** ، وقد أنكر الله عليهم ذلك في كتابه وأبطله ، وأخبر أن الشفاعة كلها له ، وأنه لا يشفع عنده أحد إلا لمن أذن له أن يشفع فيه ، ورضي قوله وعمله ، وهم أهل التوحيد الذين لم يتخذوا من دون الله شفعاء ، فإنه سبحانه يأذن لمن شاء في الشفاعة لهم حيث لم يتخذوهم شفعاء من دونه ، فيكون أسعد الناس بشفاعة من يأذن الله له صاحب التوحيد الذي لم يتخذ شفيعا من دون الله ، ربه ومولاه.

والشفاعة التي أثبتها الله ورسوله هي الشفاعة الصادرة عن إذنه لمن وحّده ، والتي نفاها الله هي الشفاعة الشركية التي في قلوب المشركين المتخذين من دون الله شفعاء ، فيُعامَلون بنقيض قصدهم من شفعائهم ، ويفوز بها الموحدون.

وتأمل قول النبي ﷺ لأبي هريرة رضي الله عنه لما سأله: من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟

قال رسول الله ﷺ : لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منكِ لما رأيت من حرصك على الحديث ، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال «لا إله إلا الله» خالصا من قلبه – أو نفسه – .[5]

---

[1] الذِّيخ: ذكر الضِّباع الكثير الشعر. انظر «المعجم الوسيط».

[2] أي متلطخ في نتنه ، وقد نقل ابن حجر عن بعض الشراح أن الحكمة في مسخه ضبعا أن تنفر نفس إبراهيم منه ، ولئلا يبقى في النار على صورته فيكون فيه غضاضة على إبراهيم ، خليل الرحمٰن. كما ذكروا في الحكمة من مسخه ضبعا أن الضبع من أحمق الحيوان ، وآزر كان من أحمق البشر ، فقد أصر على عبادة الأصنام بعدما ظهر له من الآيات على يد ابنه ما دل على بطلان عبادتها.

[3] رواه البخاري (٣٣٥٠).

[4] رواه مسلم (٩٧٦) ، وأبو داود (٣٢٣٤) ، والنسائي (٢٠٣٣) ، وابن ماجه (١٥٧٢) ، وأحمد (٤٤١/٢).

[5] تقدم تخريجه.

كيف جعل أعظم الأسباب التي تُنال بها شفاعته **تجريد التوحيد** ، عكس ما عند المشركين ؛ أن الشفاعة تُنال باتخاذهم أولياءهم شفعاء ، وعبادتهم وموالاتهم من دون الله ، فقلَب النبي ﷺ ما في زعمهم الكاذب ، وأخبر أن سبب الشفاعة هو تجريد التوحيد ، فحينئذ يأذن الله للشافع أن يشفع.

ومِن جهل المشرك اعتقاده أن من اتخذ وليا أو شفيعا أنه يشفع له ، وينفعه عند الله ، كما يكون خواص الملوك والولاة ، تنفع شفاعتهم من والاهم ، ولم يعلموا أن الله لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه ، ولا يأذن بالشفاعة إلا لمن رضي قوله وعمله ، كما قال تعالى في الفصل الأول ﴿من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه﴾ ، وفي الفصل الثاني ﴿ولا يشفعون إلا لمن ارتضى﴾ ، وبقي فصل ثالث وهو أنه لا يرضى من القول والعمل إلا التوحيد واتباع الرسول.

فهذه ثلاثة أصول تقطع شجرة الشرك من قلب من وعاها وعقلها:

لا شفاعة إلا بإذنه ، ولا يأذن إلا لمن رضي قوله وعمله ، ولا يرضى من القول والعمل إلا توحيده واتباع رسوله».[1]

وقال ابن تيمية رحمه الله: «سبب الشفاعة توحيد الله ، وإخلاص الدين والعبادة بجميع أنواعها له ، فكل من كان أعظم إخلاصا كان أحق بالشفاعة ، كما أنه أحق بسائر أنواع الرحمة ، فإن الشفاعة مبدؤها من الله ، وعلى الله تمامها ، فلا يشفع أحد إلا بإذنه ، وهو الذي يأذن للشافع ، وهو الذي يقبل شفاعته في المشفوع له.

وإنما الشفاعة سبب من الأسباب التي بها يرحم الله من يرحم من عباده ، وأحق الناس برحمته هم أهل التوحيد والإخلاص له ، فكل من كان أكمل في تحقيق إخلاص «لا إلٰه إلا الله» علما وعقيدة وعملا وبراءة وموالاة ومعاداة ؛ كان أحق بالرحمة.

والمذنبون الذين رجحت سيئاتهم على حسناتهم فخفت موازينهم فاستحقوا النار ؛ من كان منهم من أهل «لا إلٰه إلا الله» فإن النار تصيبه بذنوبه ، ويميته الله في النار إماتة ، فتحرقه النار إلا موضع السجود ، ثم يخرجه الله من النار بالشفاعة ، ويدخله الجنة كما جاءت بذلك الأحاديث الصحيحة.

فبين أن مدار الأمر كله على تحقيق كلمة الإخلاص ، وهي «لا إلٰه إلا الله» لا على الشرك بالتعلق بالموتى وعبادتهم ، كما ظنه الجاهليون».[2]

قال مقيده عفا الله عنه: فإذا تقرر لنا أن الشفاعة كلها لله ، ولا تكون إلا من بعد إذن الله ، وأن النبي ﷺ وغيره من الشفعاء لا يشفعون حتى يأذن الله بذلك ، وأن الله لا يأذن بالشفاعة إلا لمن رضي عنهم وهم أهل التوحيد الخالص ؛ فعندئذ لا تطلب الشفاعة إلا من الله وحده لا شريك له ، فقل: اللهم لا تحرمني شفاعة نبيك يوم

---

[1] «مدارج السالكين» (١/٥٩٦ – ٥٩٨) ، باختصار.

[2] «مجموع الفتاوى» (١٤/٤١٤ – ٤١٥).

القيامة ، أو: اللهم شفِّع نبيك فيَّ ، أو: اللهم شفِّع فيَّ عبادك الصالحين وغيرهم من الشفعاء ، ونحو ذلك من الدعوات الطيبة ، التي ليس فيها تعلق بالمخلوقين.

وأما طلب الشفاعة من النبي ﷺ أو غيره فإنه دعاء له ، والدعاء عبادة ، لا يجوز صرفه لغير الله ، ومن دعا غير الله فقد أشرك ، والمشرك لن يشفع له أحد ، ولن ينفعه أحد ، ولو فعل ما فعل ، لأن الشرك من موانع قبول الشفاعة ، ومن موانع دخول الجنة.[1]

فصل

ومن الأسباب الشرعية للحصول على شفاعة النبي ﷺ في الآخرة الإكثار من الأعمال الصالحة ، لاسيما التي ورد في فضلها نوال شفاعة النبي ﷺ في الآخرة ، ومنها سؤال الله عز وجل أن يرزق نبيه ﷺ الوسيلة بعد سماع الأذان ، والوسيلة درجة عالية في الجنة ،كان النبي ﷺ يدعو الله دائما أن يبلغه إياها ، والدليل على ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ، ثم صلوا علي ، فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا ، ثم **سلوا الله لي الوسيلة** ، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن سأل لي الوسيلة **حلت له الشفاعة**.[2]

ومن الأعمال الصالحة التي تُنال بها شفاعة النبي ﷺ سُكنى المدينة والموت بها ، فعن أبي سعيد مولى المهري أنه جاء أبا سعيد الخدري رضي الله عنه ليالي الحرَّة[3] فاستشاره في الجلاء[4] من المدينة ، وشكا إليه أسعارها وكثرة عيالِه ، وأخبره أن لا صبر له على جَهد[5] المدينة ولأوائها[6] ، فقال له: ويحك ، لا آمرك بذلك ، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا يصبر أحد على لأوائها فيموت إلا كنت له **شفيعا** أو شهيدا يوم القيامة ، إذا كان مسلما.[7]

والوسائل الشرعية للحصول على شفاعة النبي ﷺ كثيرة ، وهي تدور على طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ ، والاستقامة على دينه ، وامتثال أمره واجتناب نهيه ، أما الاعتماد على وسائل غير شرعية فهذه من موانع الشفاعة.

---

[1] وانظر ما قاله العلامة الشنقيطي رحمه الله في تقرير هذه المسألة في كتابه «أضواء البيان» في تفسير سورة البقرة: ٤٨ ، ومريم: ٨٧ .
وانظر للفائدة كتابه «دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب» ، سورة يونس: ١٨ .

[2] رواه مسلم (٣٨٤) وغيره عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

[3] أي ليالي وقعة الحرة التي وقعت زمن يزيد بن معاوية.

[4] الجلاء من المدينة أي الخروج منها مفارقا لها. انظر «النهاية».

[5] الجهد بفتح الجيم هو المشقة. انظر «النهاية».

[6] اللأواء هي الشدة وضيق المعيشة. انظر «النهاية».

[7] رواه مسلم (١٣٧٤) وأحمد (٥٨/٣) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

الوجه الرابع: أن دعاء غير الله شرك أكبر مهما كانت ذريعته ، لنيل الشفاعة أو غيره ، والشرك معلوم تحريمه بالضرورة من دين الإسلام وكافة الأديان ، وهو ناقض لدين الإسلام بالكلية ، قال تعالى لنبيه ﷺ ﴿ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين * بل الله فاعبد وكن من الشاكرين﴾.

ولما كان هذا هو شأن دعاء غير الله ؛ فإن تحريم دعاء غير الله أمر مجمع عليه عند علماء الإسلام قاطبة ، وعلى رأسهم علماء المذاهب الأربعة وغيرهم[1] ، وإجماع المسلمين حجة شرعية كما قال النبي ﷺ : إن الله تعالى **لا يجمع أمتي على ضلالة ، ويد الله على الجماعة.**[2]

وقد تقدم ذكر بعض النقولات عن بعض علماء المذاهب الأربعة وغيرهم في تقرير تحريم دعاء غير الله في جواب الشبهة السابقة بما يغني عن إعادته هنا.

الوجه الخامس: يقال لمن طلب الشفاعة من الرسول ﷺ أو غيره: ليس هناك دليل واحد من كتاب الله أو من سنة رسول الله ﷺ الصحيحة أو من إجماع الأمة على جواز طلب الشفاعة من المخلوقين ، ولم يرد عن واحد من الصحابة رضي الله عنهم أنه طلب من النبي ﷺ أو غيره أن يشفع له يوم القيامة ، ولو حصل ذلك لنُقل إلينا قطعا ، لأن هذا من الأمور التي تتوافر الهمم على نقلها ، بل الذي نجده أن الأمر على خلاف ذلك ، فقد كان الصحابة رضوان الله عليهم **يسألون الله عز وجل** أن يرزقهم شفاعة النبي ﷺ ، وكان أحدهم يطلب من النبي ﷺ أن يدعوا الله لهم أن يجعله ممن تدركه شفاعته ﷺ في الآخرة ، ولم يرد عنهم **البتة** أنهم طلبوا من النبي ﷺ مباشرة شيئا من المنافع الأخروية ، لا الشفاعة ولا غيرها ، لعلمهم أنه لا يملك يوم القيامة شيئا ، كما ثبت ذلك في حديث أبي هريرة رضي الله عنه لما أنزلت ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ ، ولفهمهم الكامل والصحيح لمعنى قوله تعالى ﴿مالك يوم الدين﴾.

وغاية ما كان يفعله أحدهم أنه كان يأتي النبي ﷺ ويطلب منه أن **يدعو له** بأن يكون من أهل شفاعته ، فعن أبي موسى رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال له ولمعاذ بن جبل رضي الله عنهما: أتاني آت من ربي عز وجل ، قال: فخيرني أن يُدخل شطر أمتي الجنة وبين شفاعتي لهم ، فاخترت شفاعتي لهم ، وعلِمت أنها أوسع لهم.

فخيرني بأن يدخل ثلث أمتي الجنة وبين الشفاعة لهم ، فاخترت لهم شفاعتي ، وعلمت أنها أوسع لهم.

---

[1] قد يسر الله نقل كلام جمع من علماء المذاهب الأربعة وغيرهم في هذا الباب في كتابي «كشف الغطاء عن عيني من جعل بينه وبين الله واسطة في الدعاء» ، وهو منشور في شبكة المعلومات بهذا العنوان ، وقد نشرته دار الفرقان بالجزائر.

[2] تقدم تخريجه.

فقالا: يا رسول الله ، **ادع الله تعالى أن يجعلنا من أهل شفاعتك**.

قال: فدعا لهما.

ثم لما علم أصحاب رسول الله ﷺ بدعائه لمعاذ وأبي موسى جعلوا يأتونه ويقولون: يا رسول الله: (**ادع الله تعالى أن يجعلنا من أهل شفاعتك**) ، فيدعو لهم.

فلما أضبَّ[1] عليه القوم وكثُروا قال رسول الله ﷺ : إنها لمن مات وهو يشهد أن لا إله إلا الله.[2]

فالحاصل أن الصحابة رضوان الله عليهم – الذين هم أعلم الأمة بأمر الدين ، وأحرص الناس على الخير – ما كانوا يطلبون الشفاعة من أحد مباشرة ، لا النبي ﷺ ولا غيره ، بل كانوا يطلبون من الله أن تدركهم شفاعة النبي ﷺ ، ويطلبون من النبي ﷺ لما كان حيا حاضرا أن يدعو لهم الله تعالى بأن تدركهم شفاعته.

الوجه السادس: يقال أيضا لمن طلب الشفاعة من الرسول ﷺ : إن الذين يشفعون يوم القيامة للمؤمنين في دخول الجنة والنجاة من النار كثير وليس النبي ﷺ وحده ، فالملائكة يشفعون ، وكذلك الأنبياء السابقين ، والشهداء ، والمؤمنون الذين دخلوا الجنة ، والأطفال[3] يشفعون ، والقرآن

---

[1] يقال: أضبوا إذا تكلموا في الأمر متتابعا. انظر «النهاية في غريب الحديث».

[2] رواه أحمد (٤/٤١٥) ، وحسنه محققو «المسند» (٣٢/٣٩٤).

[3] دليله الحديث الذي رواه مسلم (٢٦٣٥) عن أبي حسان قال: قلت لأبي هريرة: إنه قد مات لي ابنان ، فما أنت مُحدِّثي عن رسول الله ﷺ بحديث تُطيب به أنفسنا عن موتانا؟

قال: قال: نعم ، صغارهم دعاميص الجنة ، يتلقى أحدهم أباه – أو قال: أبويه – فيأخذ بثوبه – أو قال: بيده – كما آخذ أنا بصنفة ثوبك هذا (أي طرفه) ، فلا يتناهى – أو قال: فلا ينتهي – حتى يدخله الله وأباه الجنة.

الدعاميص جمع دعموص ، قيل صغار أهلها ، وقال السيوطي رحمه الله: الدعموص هو الدخَّال في الأمور ، ومعناه أنهم سياحون في الجنة ، دخَّالون في منازلها ، لا يُمنعون من موضع منها.

يشفع[1] ، والصوم يشفع[2] ، فلماذا لا تدعوهم أيضا وتطلب الشفاعة منهم؟!
فإن قال أنا أطلبها منهم فقد صرح بعبادته للصالحين ، مع أنه ينكر هذا ، وإن قال إنهم لا يستحقون أن تطلب منهم الشفاعة ؛ بطل بذلك طلبه للشفاعة من النبي ﷺ ، لأنه فرَّق بين متماثلين بدون ضابط ، وهما طلب الشفاعة من النبي ﷺ وبين طلبها من الصالحين وغيرهم ، مع إقراره بأنهم كلهم يشفعون يوم القيامة.

الوجه السابع: يقال للذين يطلبون الشفاعة من الأموات – سواء النبي ﷺ أو غيره – : إن الأموات قد انقطعوا عن الحياة الدنيا تماما ، وما عادت تنطبق عليهم قوانين الحياة الدنيا البتة ، من سمع وبصر وكلام وحركة وتصرف وغير ذلك ، فلا يشعرون بمن حولهم ، ولا يسمعون نداء من ناداهم ، فكيف يصح دعاؤهم وطلب الشفاعة منهم؟
قال تعالى ﴿إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم **ولو سمعوا ما استجابوا لكم** ويوم القيامة يكفرون **بشرككم** ولا ينبئك مثل خبير﴾ ، فسمى الله دعاءهم وطلب الحاجات منهم شركا ، وقال تعالى أيضا ﴿وما أنت بمسمع من في القبور﴾ ، فهل بعد هذا الوضوح القرآني من وضوح؟ ﴿فبأي حديث بعده يؤمنون﴾.

الوجه الثامن: ومن وجوه بطلان دعاء النبي ﷺ أن النبي ﷺ طلب منا أن نصلي عليه وندعو له ، حيا وميتا ، فمن كان هذا حاله فكيف يصح أن تطلب منه الحاجات وهو في قبره ، سواء كانت شفاعة أو غيرها؟!

---

[1] دليله حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: اقرءوا القرآن ، فإنه **يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه** ، اقرءوا الزهراوين ، البقرة وسورة آل عمران ، فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان ، أو كأنهما غيايتان ، أو كأنهما فِرقان من طيرٍ صواف ، تُحاجَّان عن أصحابهما ... الحديث. رواه مسلم (٨٠٤).
الغمامتان مثنى غمامة وهي الغيمة أو السحابة.
والغياية كل شيء أظل الإنسان فوق رأسه ، كالسحابة وغيرها.
فِرقان مثنى فِرق وهو القِطعة ، يقال فِرقة غنم أي قِطعة من غنم ، وكذلك فِرقٌ من طير أي جمعٌ من طير ، وفِرقان منها أي جمعان من تلك الطيور ، ومعنى الكلام في سياق الحديث: جمعان من طيرٍ يُظِلاَّن قارىء القرآن يوم القيامة ، وليس معنى «فِرقان من طير» أي طائران ، فإن الطائران لا يُظِلاَّن صاحبهما بل الجمع من الطيور.
قوله (صواف) أي باسطات أجنحتها.
انظر المعاني المتقدمة في «النهاية» لابن الأثير.
وانظر الحديث التالي في إثبات شفاعة القرآن لأصحابه يوم القيامة.

[2] دليله حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: **الصيام والقرآن يشفعان** للعبد يوم القيامة ... الحديث.
رواه أحمد (١٧٤/٢) ، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٨٨٢).

فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، أنه سمع النبي ﷺ يقول: إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول **ثم صلوا علي** ، فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا ، ثم **سلوا الله لي الوسيلة** فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن **سأل لي الوسيلة** حلت له الشفاعة.[1]

وكذلك علمنا النبي ﷺ بأن ندعو له ولكل عبد صالح في السماء والأرض ، كما في دعاء التشهد في التحيات: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا **وعلى عباد الله الصالحين** ... الحديث.

الوجه التاسع: ومن أدلة بطلان دعاء النبي ﷺ أن جميع من كانوا يُعبدون من دون الله سَيَخذُلون من كانوا يعبدونهم يوم القيامة ويتبرؤون منهم ، سواء كانوا أنبياء أو ليسوا أنبياء ، فهذا عيسى عليه السلام سيتبرأ من النصارى الذين كانوا يعبدونه كما قال تعالى ﴿وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم ءأنت قلت للناس **اتخذوني وأمي إلـٰهين من دون الله** قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق﴾ ... إلى قوله ﴿ ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم﴾.

وقال تعالى ﴿واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا *كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا﴾[2].

وقال تعالى ﴿ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون * وإذا حشر الناس كانوا لهم **أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين**﴾.

وقال تعالى ﴿إنما اتخذتم من دون الله أوثاناً مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة **يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً** ومأواكم النار ومالكم من ناصرين﴾.

وقال تعالى ﴿ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول ءأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل * قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا * فقد كذبوكم بما تقولون فما تستطيعون صرفا ولا نصرا ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا﴾[3].

قال العلامة محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي رحمه الله في تفسير هذه الآية:

«ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أنه يَحشر الكفار يوم القيامة وما كانوا يعبدون من دونه ، أي يجمعهم جميعاً فيقول للمعبودين: ءأنتم أضللتم عبادي هؤلاء ، فزينتم لهم أن يعبدوكم من دوني ، أم هم ضلوا السبيل؟

---

[1] سبق تخريجه.

[2] سورة مريم: ٨١ – ٨٢ .

[3] سورة الفرقان: ١٧ – ١٩ .

أي كفروا وأشركوا بعبادتهم إياكم من دوني من تلقاء أنفسهم من غير أن تأمروهم بذلك ولا أن تزينوه لهم ، وأن المعبودين يقولون: سبحانك ، أي تنزيهاً لك عن الشركاء وكل ما لا يليق بجلالك وعظمتك.

﴿ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء﴾ ، أي ليس للخلائق كلهم أن يعبدوا أحدًا سواك ، لا نحن ولا هم ، فنحن ما دعوناهم إلى ذلك ، بل فعلوا ذلك من تلقاء أنفسهم من غير أمرنا ، ونحن براء منهم ومن عبادتهم.

ثم قال ﴿ولكن متعتهم وآباءهم﴾ ، أي طال عليهم العمر حتى نسوا الذكرى ، أي نسوا ما أنزلته عليهم على ألسنة رسلك من الدعوة إلى عبادتك وحدك لا شريك لك.

﴿وكانوا قومًا بورا﴾ ، قال ابن عباس: أي هلكى.

وقال الحسن البصري ومالك عن الزهري: أي لا خير فيهم». انتهى.

وقال ابن القيم رحمه الله:

«اعتماد العبد على المخلوق وتوكله عليه يوجب له الضرر من جهته هو ولا بد ، عكس ما أمَّله منه ، فلابد أن يُخذل من الجهة التي قَدَّرَ أن يُنصر منها ، ويُذم من حيث قَدّر أن يُحمد ، وهذا أيضا كما أنه ثابت بالقرآن والسنة فهو معلوم بالاستقراء والتجارب ، قال تعالى ﴿واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا *كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا﴾ ، وقال تعالى ﴿واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون * لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون﴾[1] ، أي يغضَبون لهم ويُحارِبون كما يغضب الجند ويحارِب عن أصحابه[2] ، وهم لا يستطيعون نصرهم ، بل هم كلٌّ[3] عليهم ، وقال تعالى ﴿وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء أمر ربك وما زادوهم غير تتبيب﴾[4] ، أي: غير تخسير ، وقال تعالى ﴿فلا تدع مع الله إلٰها آخر فتكون من المعذبين﴾[5] ، وقال تعالى ﴿لا تجعل مع الله إلٰها آخر فتقعد مذموما مخذولا﴾[6] ، فإن المشرك يرجو بشركِه النصر تارة ، والحمد والثناء تارة ، فأخبر سبحانه أن مقصوده ينعكس عليه ،

---

[1] سورة يٰس: ٧٤ – ٧٥ .

[2] أي في الدنيا ، فإنهم كانوا يدافعون عن آلهتهم ويغضبون لها سواء كانت أصناما أو قبورا أو غيرها.

[3] الكلُّ هو من كان عباً على غيره. انظر «المعجم الوسيط».

والمعنى أنهم في الآخرة سيكونون نقمة عليهم وبلاء إذ لم ينصرونهم كما كانوا يظنون ويحسبون.

[4] سورة هود: ١٠١ .

[5] سورة الشعراء: ٢١٣ .

[6] سورة الإسراء: ٢٢ .

ويحصل له الخذلان والذم ، فصلاح القلب وسعادته وفلاحه في عبادة الله سبحانه والاستعانة به ، وهلاكه وشقاؤه وضرره العاجل والآجل في عبادة المخلوق والاستعانة به».[1] انتهى.

قلت: وصدق الله القائل ﴿ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق﴾.

الوجه العاشر: "أن أهل السنة مجمعون أن للنبي ﷺ أنواعا من الشفاعة يشفع بها ، ولم يذكروا منها طلبها منه في قبره ، بل كلها يوم القيامة.
فينبغي تأمل هذا ، ومن خالف إجماع أهل السنة فليس منهم."[2]

[1] «إغاثة اللهفان» ، ص ٩٣ ، باختصار يسير.
[2] «هذه مفاهيمنا» ، ص ١٤٩ .

خلاصة

وخلاصة القول في مسألة الشفاعة سبعة أمور:

الأول: أن المالك للشفاعة هو الله تعالى وحده لا شريك له ، فالواجب طلبها منه وحده ، كقول: اللهم اجعلني ممن تدركهم شفاعة الشفعاء يوم القيامة – سواء النبي ﷺ أو غيره من الشفعاء.

الثاني: دعوى أن النبي ﷺ يملك الشفاعة باطل ، لأنه تشريك بين الله وبين خلقه فيما هو من خصائص الله وحده.

الثالث: أن طلب الشفاعة من غير الله — سواء كان نبيا أو وليا أو صالحا أو غير ذلك – شرك أكبر مخرج من ملة الإسلام ، وهو كطلب الرزق والنصر والعافية وغير ذلك من غير الله ، **وقد جاء التصريح القرآني بأن دعاء غير الله باطل** ، وفي هذا كفاية وشفاء لمن أراد الحق ، وذلك في قوله تعالى في سورة الحج ﴿ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو **الباطل**﴾[1] ، وقوله تعالى في سورة لقمان ﴿ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه **الباطل**﴾[2].

أما إفراد الله بالدعاء فقد وصفه الله بأنه حق ، كما في قوله تعالى ﴿له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين إلا في ضلال﴾.

الرابع: أن الشفاعة نوعان: شفاعة مثبَتة وشفاعة منفية ، فأما الشفاعة المثبتة فهي التي أثبت الله تحققها ، وتكون لأهل الإيمان بعد استيفاء شرطيها ، وهي إذن الرحمٰن ورضاه ، وأما الشفاعة المنفية فهي التي نفى الله حصولها ، وهي الشفاعة لأهل الشرك ، فهذه نفى الله وقوعها.

الخامس: أنَّ سِرَّ هذه الشفاعة صرف القلوب إلى الله وحده من قِبَلِ الشافع ومن قِبَل المشفوع له ، فانظر إلى الشفعاء لـمَّا قَبِل الله شفاعتهم بسبب توحيدِهم ، وانظر إلى المشفوع له لما أخلص عباداته كلها لله فقبل الله شفاعة الشفعاء فيه.

---

[1] الآية ٦٢ .

[2] الآية ٣٠ .

السادس: أن الحكمة من الشفاعة يوم القيامة إظهار فضل الله على المشفوع له ، وأيضا إظهار فضل الشافع لما أفرد الله بعباداته ، وإلا فإن الله قادر على أن يُدخِل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ثم يخرج من شاء منها بدون شفاعة.

السابع: ينبغي لمن أراد أن تدركه الشفاعة – أيْ شفاعة النبي ﷺ وشفاعة غيره من الشفعاء – أن يطلبها من مالكها وهو الله وحده لا شريك له ، ثم يُقبِل على طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ ، ويُكثر من الأعمال الصالحة ، ويتجنب ما نهى الله عنه ورسوله ﷺ ، ولا يعتمد على الأماني المجردة ، فالشفاعة وغيرها من المنافع الأخروية لا تُدرَك إلا بالعمل الصالح الدؤوب الخالص لله تعالى ، كما قال تعالى ﴿ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوء يُجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا﴾[1] .

وعن ربيعة بن كعب الأسلمي رضي الله عنه قال: كنت أبِيت مع رسول الله ﷺ ، فأتيتُهُ بوضوئه وحاجته ، فقال لي: سَلْ.

فقلت: أسألك مرافقتك في الجنة.

قال: أوَ غيرَ ذلك؟

قلت: هو ذاك.

قال: فأعني على نفسك بكثرة السجود.[2]

قال مقيده عفا الله عنه: والأدلة العقلية والنقلية متضافرة على بطلان دعاء غير الله سواء لطلب الشفاعة أو لغير ذلك من المقاصد كثيرة ، وإنما اخترنا هنا ما كان متصلا بموضوع طلب الشفاعة من النبي ﷺ ، ومن أراد التوسع فعليه بالرجوع لكلام أئمة التفسير عند الكلام على الآيات المتعلقة بانتفاء حصول الشفاعة يوم القيامة لمن لم يستحقها.[3]

---

[1] سورة النساء: ١٢٣ .

[2] رواه مسلم (٤٨٩).

[3] قد يسر الله جمع خمسين وجها من وجوه بطلان دعاء غير الله في كتاب مستقل بعنوان «خمسون دليلا على بطلان دعاء غير الله» ، وهو منشور في شبكة المعلومات ، يسَّر الله طبعه.

تنبيه – بيان الشرك الوارد في قصيدة «البردة»

ممن أجاز طلب الشـفاعة الأخـروية من النبي ﷺ في قبره شاعرٌ يقال له محمد بن سعد البوصيري المصري ، عاش في الفترة ما بين ٦٠٨ – ٦٩٦ هـ ، ألف قصيدة أسماها بـ «البردة» ، التجأ فيها إلى النبي ﷺ ، والتاذ به فيها من كربات يوم القيامة ، وطلب منه الشفاعة في الآخرة ، وادَّعى بأن الدنيا والآخرة ملك له ﷺ ، وأنه يعلم الغيب ، وذكر طوام عديدة ، وأقوال كفرية تقشعر لسماعها جلود الموحدين ، وهذه القصيدة كثيرا ما يرددها أهل الموالد ، والتي يسمونها بالموالد النبوية ، يظنونها تقربهم إلى الله ، وتُحيي في قلوبهم محبة النبي ﷺ ، وهي في الحقيقة لا تزيدهم من النبي ﷺ إلا بعدا ، بل هي الكفر بعينه ، لأن محتواها يناقض دين الإسلام الذي بُعِث به محمد ﷺ ، ومن أبياتها قوله:

يا أكرم الخلق[1] ما لي من ألوذُ به ... سِواك عند حلول الحادث العَمِمِ
إن لم تكن يوم المعاد آخذا بيدي ... فضلاً وإلا فقل يا زلة القدم
وإن من جُودِك الدنيا وضَرّتها ... ومن علومك علم اللوح والقلم

ثم قال:

فإن لي ذمةً منه بتسميتي محمداً ... وهو أوفى الخلق بالذمم
وانسب إلى ذاته ما شئت من شرف ... وانسب إلى قدره ما شئت من عِظم
فإن فضل رسول الله ليس له ... حدٌّ فيُعرِب عنه ناطقٌ بِفَمِ
لو ناسبت قدره آياته عظما ... أحيا اسمه حين يُدعى دارِس الرَّمَمِ

والملاحظ على هذه الأبيات من القصيدة أمور:

الأول: اعتقاده أن النبي ﷺ يملك الشفاعة ، وهذا باطل ، فإن الشفاعة ملك لله تعالى وليست ملكا للنبي ﷺ .

الثاني: دعاؤه للنبي ﷺ أن يُنيلها إياه ، وهذا باطل أيضا ، فإن دعاء غير الله شرك مخرج من ملة الإسلام ، فإن جميع العبادات لا يصح صرفها إلا لله تعالى.

[1] يقصد النبي ﷺ .

الثالث: اعتقاده أن النبي ﷺ يسمع دعاءه ، وهذا سفهٌ ، إذ كيف يسمع الميت كلام الحي؟! قال تعالى لنبيه ﴿وما أنت بسمع من في القبور﴾ ، ولو أن حيا خاطب حيا آخر وبينهما هذا الحاجز الكثيف من التراب لما استطاع سماعه فكيف يَسمعه من كان ميتا؟!

الرابع: حصرُه للُّجوء واللِّياذ يوم القيامة بغير الله ، وذلك في قوله (ما لي من ألوذ به سواك عند حدوث الحادِثِ العمِم) ، يقصد به قيام الساعة وما يتبدَّى للناس فيها من أهوال.

قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن بن حسن[1] رحمه الله:

«قول البوصيري شنيع بشع **لما تضمنه من الحصر** ، ولما فيه من اللِّياذ بغير الله في الخطب الجليل ، والحادث العمِم وهو قيام الساعة ، وقد قال تعالى ﴿قل أرأيتم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين﴾ ، فدعاء غير الله في الأمور العامة الكلية أبشع من دعاء غيره في الأمور الجزئية ، ولذلك أخبر أن عُباد الأصنام لا يدعون غيره عند إتيان العذاب[2] أو إتيان الساعة التي هي الحادث العمِم ، بخلاف البوصيري».[3]

اهـ.

قلت: والحق أن ذلك ليس إلا لله وحده لا شريك له ، فهو ملاذ العباد يوم القيامة ، فقد قال تعالى في محكم التنزيل ﴿وما أدراك ما يوم الدين * ثم ما أدرك ما يوم الدين * يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله﴾.

بل أين هذا الجاهل بكتاب الله من قوله تعالى لنبيه ﷺ ﴿قل إني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا * **قل إني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا** * إلا بلاغا من الله ورسالاته﴾ ، أي لا أجد ملجأً ألتجئ إليه وأعتمد عليه إلا الله تعالى.

وقد كان من دعائه ﷺ في آخر وتره: اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك ، وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك ، وأعوذ بك منك لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك.[4]

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا نام وضع يده على خده ثم قال: اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادَك.[5]

فالنبي ﷺ يسأل الله أن يقِيه ، والبوصيري وأمثاله يطلبون الإنقاذ من النبي ﷺ !

---

[1] تقدمت ترجمته.

[2] ومن أنواع العذاب: الريح إذا أصابتهم في البحر ونحو ذلك.

[3] قاله الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن بن حسن في «منهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات داود بن جرجيس» ، ص ٢١٢ ، بتصرف.

[4] رواه أحمد (٩٦/١) وغيره عن علي رضي الله عنه ، وصححه الألباني كما في «الإرواء» (١٧٥/٢) وكذا محققو «المسند».

[5] رواه أحمد (٢٩٠/٤) ، وصححه الألباني كما في «الصحيحة» (٥٨٤/٦) وكذا محققو «المسند».

قال العلامة محمد بن على الشوكاني رحمه الله:

«فانظر رحمك الله تعالى ما وقع من كثير من هذه الأمة من الغلو المنهي عنه المخالف لما في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، كما يقوله صاحب البردة:

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به سِواك عند حلول الحادث العمم

فانظر كيف نفى كلَّ ملاذ ما عدا عبد الله ورسوله ﷺ ، وغَفل عن ذِكر ربه وربِّ رسول الله ﷺ ، إنا لله وإنا إليه راجعون.

وهذا باب واسع ، قد تلاعب الشيطان بجماعة من أهل الإسلام حتى تَرَقَّوا إلى خطاب غير الأنبياء بمثل هذا الخطاب ، ودخلوا من الشرك في أبواب بكثير من الأسباب».

ثم قال:

«وقد وقع في «البردة» و «الهمزية»[1] شيء كثير من هذا الجنس ، ووقع أيضاً لمن تصدى لمدح نبينا محمد ﷺ ولمدح الصالحين والأئمة الهادين ما لا يأتي عليه الحصر ، ولا يتعلق بالاستكثار منه فائدةٌ ، فليس المراد إلا التنبيه والتحذير لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ﴿وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين﴾ ، ﴿ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب﴾».[2]

الخامس: ثم تطور الأمر بهذا الشاعر ، حين ادَّعى أن كل شيء ملكٌ للنبي ﷺ ، وكل العلوم فإنها من علم النبي ﷺ ، ولم يجعل لله شيئا لا في الملك ولا في العلم ، حيث قال:

فإن من جُودِك الدنيا وضَرَّتها ومن علومك علم اللوح والقلم

ضَرَّتها أي الآخرة ، لأنها تقابل الدنيا.

قال الشيخ محمد بن عثيمين[3] رحمه الله: «وهذا من أعظم الشرك ، لأنه جعل الدنيا والآخرة من جود الرسول ، ومقتضاهُ أن الله جل ذكره ليس له فيهما شيء.

---

[1] «الهمزية» قصيدة أخرى للبوصيري ، فيها غلو فاحش بالنبي ﷺ ، أوصله فيها إلى درجة الألوهية!

[2] «الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد» ، ص ٩٠ – ٩٢ ، باختصار يسير ، تحقيق أبي عبد الله الحلبي ، الناشر: دار ابن خزيمة – الرياض.

[3] هو الشيخ الأصولي الفقيه المفسر محمد بن صالح بن عثيمين ، من علماء القرن الخامس عشر الهجري ، برّز في العقيدة والفقه والتفسير ، نفع الله به الناس في زمانه نفعا عظيما ، وانتشر علمه في الآفاق ، سواء منه ما كان مسجلا على الأشرطة أو ما كان مدونا في الكتب ، له طلبة كثر ، جُمعت فتاواه ورسائله فوقعت إلى حين كتابة هذه الأسطر في ٢٩ مجلدا ، وبعد وفاته استؤجرت قناة فضائية لبث علمه ، فتضاعف انتشار علمه على ما كان في حياته ، وهذا من دلائل الإخلاص ، نحسبه كذلك والله حسيبه ، والله يؤتي فضله من يشاء.

انظر ترجمته في كتاب «ابن عثيمين الإمام الزاهد» للدكتور ناصر بن مسفر الزهراني ، الناشر: دار ابن الجوزي – الدمام.

وقال: وإن (من علومك علم اللوح والقلم) ، يعني: وليس ذلك كل علومك ، فما بقي لله علمٌ ولا تدبيرٌ – والعياذ بالله».[1] اهـ.

وقال الشيخ صالح بن فوزان الفوزان[2] حفظه الله:

«فهذا غلوٌّ – والعياذ بالله – أفضى إلى الكفر والشِّرْك ، حتى لم يترُك لله شيئاً ، كلّ شيء جعله للرسول ﷺ ، الدنيا والآخرة للرسول ، علم اللوح والقلم للرسول ، لا ينقذ من العذاب يوم القيامة إلا الرسول ، إذاً ما بقي لله عز وجل؟»[3].اهـ.

قلت: وأين هؤلاء الجهلة من قول الله تعالى ﴿وإن لنا للآخرة والأولى﴾ ، وقوله ﴿قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب﴾ ، والبوصيري لم يجعل الدنيا والآخرة شِركة بين الله وبين رسوله ، بل جعلها خالصة للرسول ﷺ !

هذا والله هو الرد والتكذيب لكلام الله تعالى ، عياذا بالله من ذلك.

وقال العلامة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني[4] رحمه الله:

ومع ذلك فإننا لا نزال نسمع بعضهم يترنم بقول القائل مخاطبًا النبي ﷺ :

فإن من جودك الدنيا وضَرَّتها ... ومن علومك علم اللوح والقلم

---

[1] «القول المفيد على كتاب التوحيد» (٢١٨/١) ، الناشر: دار ابن الجوزي – الدمام.

[2] هو الشيخ الفقيه الذاب عن دين الله ، العالم في العقيدة والفقه ، المقدم في علوم الشريعة ، طالما دافع عن العقيدة الإسلامية ورد على أهل البدع ، جمعت ردوده فوقعت في ثلاث مجلدات ، له مؤلفات كثيرة في فنون متنوعة ، أوصى بالرجوع إليه الشيخان الجليلان عبد العزيز بن باز ومحمد بن عثيمين قبيل وفاتهما ، حفظه الله ذخرا للإسلام والمسلمين.

[3] «إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد» (٣١٢/٢) ، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت.

[4] هو الشيخ العلامة المحدث ، محمد ناصر الدين بن نوح نجاتي ، الألباني أصلا ، السوري منشأً ، من المجددين لدين الله تعالى في القرن الرابع عشر الهجري وأوائل القرن الذي بعده ، خدم تراث المسلمين في الحديث والعقيدة والفقه في مجال تحقيق المخطوطات وتخريج الأحاديث وتمييز صحيحها من ضعيفها ، حتى صار كثير ممن بعده عيالا عليه ، وعُدَّ منعطفا حادا في تاريخ خدمة السنة النبوية ، ترك رحمه الله كمًّا ضخما من التراث العلمي أوصله أحد الباحثين إلى ٢٣١ كتابا ، ما بين تأليف وتحقيق وتخريج وتعليق.

وللشيخ رحمه الله جهد مبارك في الرد على أهل البدع والتصوف وعُبَّاد القبور ، وأتباع المناهج الدعوية المحدثة ، وكثير من التيارات المنحرفة عن الكتاب والسنة وكشف شبهاتهم في بلاد الشام وغيرها من البلاد.

توفي رحمه الله في رجب عام ١٤٢٠ عن سبع وثمانين سنة ، وكانت وفاته بعد وفاة قرينه سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز بأشهر يسيرة ، فثلم الإسلام ثلمة عظيمة ، وحزن المسلمون على فقدهما حزنا جما.

يُنظر للتوسع في الاطلاع على حياة الشيخ وسيرته العلمية:

١. «الإمام الألباني رحمه الله ، دروس ومواقف وعبر» ، د. عبد العزيز بن محمد السدحان ، الناشر: دار التوحيد – الرياض.

٢. «حياة الألباني وآثاره وثناء العلماء عليه» ، محمد بن إبراهيم الشيباني ، الناشر: مكتبة السداوي – مصر.

فهذا شرك في بعض صفاته تعالى ، فإن الله – عز وجل – كما أنه واحد في ربوبيته وألوهيته ، فكذلك هو واحد في صفاته ، لا يشاركه في شيء منها أحد من مخلوقاته ، مهما سَمَت منزلته ، وعلت رتبته ، فهذا نبينا محمد ﷺ سيد البشر يسمع جارية تقول في غنائها البريء:

وفينا نبي يعلم ما في غد

فيقول لها ﷺ :"دعي هذا وقولي الذي كنت تقولين". أخرجه البخاري وغيره.

فأين قول هذه الجارية مما يردده بعض المسلمين منذ مئات السنين:

ومن علومك علم اللوح والقلم

فهو عندهم ليس يعلم فقط ما في غد ، بل يعلم ما كان وما سيكون مما سطره القلم في اللوح المحفوظ! بل هو بعض علمه!! سبحانك هذا بهتان عظيم وإثم مبين.

ومن كان له اطلاع على كتب الصوفية والتي يسمونها بـ «الحقائق» وكتب الموالد ونحوها يرى من هذا القبيل العجب العجاب.[1]

سادسا: ثم أتبع البوصيري قائلا:

فإن لي ذمة منه بتسميتي محمدا وهو أوفى الخلق بالذمم

فمحمد البوصيري يقول إنه في ذمة النبي ﷺ وجِوارِه لمجرد موافقة اسمه لاسم النبي ﷺ ، وهذا يقتضي أن كل من سُمِّي محمداً فهو في ذمته ﷺ ، وهذا كذِب على الله وعلى رسوله ﷺ ، فليس بين النبي ﷺ وبين من اسمه محمد ذمة إلا بالطاعة والعمل الصالح ، لا بمجرد الاشتراك في الاسم ، أو الأسماء ولا القبائل ، ولا شرف النسب ، ولا كون إنسان من بيت النبوة ، كل هذا لا ينفع إلا مع العمل الصالح والاستقامة على دين الله عز وجل.

سابعا: قول البوصيري:

لو ناسَبت قدره آياته عظما أحيا اسمه حين يُدعى دارِس الرمم[2]

---

[1] كتاب «جلباب المرأة المسلمة» ، ص ٢٠١ ، ط ١ ، الناشر: المكتبة الإسلامية – عمان.

وانظر للفائدة ما قاله في «صفة صلاة النبي ﷺ » (الأصل) ، (٨٨٢/٣).

[2] الاندراس هو الاندثار ، والرَمَمُ هو جدث الإنسان وبقاياه إذا مات وبَلِي وتلاشى في الأرض ، وعليه فمعنى قوله (دارس الرمم) أي ما تبقى من جثة الميت المندرسة في الأرض.

ففي هذا البيت استدرك البوصيري على الله جل وعلا ، فقال إن الآيات التي بُعِث بها محمد ﷺ لا تناسب قدره ﷺ ، ولو أنها ناسبت قدره لقامت الموتى من قبورهم بمجرد ذكر اسمه (محمد) ، وهذه مبالغة لا تحتاج إلى تعليق!

والخلاصة أن الله وحده هو الذي يستحق أن يُلاذ ويستجار به ، وهو الذي أوجد الدنيا والآخرة ، وهما من جوده ، لا من جود أحد سواه ، وهو العالم بالغيب وحده ، أحاط علمه بكل شيء ، لا يصلح أن يكون المخلوق – وإن علت درجته كالأنبياء والملائكة – مساوياً ومماثلاً لله تعالى في صفة من صفاته ، أو فعل من أفعاله ، تعالى الله عن ذلك علوا عظيما ، فالعاقــل ينبغي له أن يتأمل هذا ، ولا يغتر بزخرف القول فيهلك.

وقد أنكر جمع من أهل العلم على البوصيري قصيدته ، منهم الشيخ محمد بن عبد الوهاب[1] رحمه

[1] الشيخ محمد من المجددين لما اندرس من معالم دين الإسلام في شبه الجزيرة العربية في القرن الثاني عشر الهجري ، أحيا الله به الدين إلى يومنا هذا ، ونفع به وبمؤلفاته ، كلامه في العقيدة مبثوث في كتبه ، وقد جمع كلامه في العقيدة د. صالح العبود في رسالة علمية بعنوان «عقيدة محمد بن عبد الوهاب السلفية» ، ولد الشيخ محمد سنة ١١١٥ هـ وتوفي سنة ١٢٠٦ هـ ، وكل من جاء بعده من علماء الجزيرة العربية عيالٌ عليه إلى يومنا هذا.

الله في «تفسير سورة الفاتحة» ، والشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب[١] في كتابه «تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد»[٢] ، وكذا العلامة المجدد عبد الرحمٰن بن حسن[٣] في كتابه «فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد»[٤] ، وكذا العلامة عبد الله بن عبد الرحمٰن أبابطين[٥] في كتابه «الرد على البردة»[٦] ، والعلامة محمود

[١] هو العلامة الفقيه المحدث الأصولي ، حفيد إمام الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ولد سنة ١٢٠٠ هـ ، نشأ في الدرعية في وسط علمي زاخر بجهابذة العلماء ، له عدة مؤلفات ، من أشهرها كتابه «تيسير العزيز الحميد» ، وهو شرح نفيس على كتاب «التوحيد» لجده الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، والكتاب على مدى ثلاث قرون ينهل منه العلماء وطلبة العلم إلى وقتنا هذا ، وهو عمدة في علم توحيد العبادة ، ومن بعده عيال عليه.

وله أيضا حاشية على كتاب «المقنع» في الفقه في ثلاث مجلدات ضخام ، وله غيرها ، توفي رحمه الله سنة ١٢٣٤ هـ وعمره ثلاث وثلاثون سنة.

انظر ترجمته موسعة في كتاب «مشاهير علماء نجد» للشيخ عبد الرحمٰن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ ، وله ترجمة في مقدمة كتابه «تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد» بقلم محققه: أسامة بن عطايا العتيبي.

[٢] انظر باب: من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره.

[٣] هو الشيخ عبد الرحمٰن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله تعالى ، ولد سنة ١١٩٦ هـ في الدرعية ، نشأ في بيت جده الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ودرس عليه وعلى أعمامه التوحيد والحديث والفقه ، كما درس الحديث على بعض المشايخ في مصر ، كالشيخ حسن القويسيني ، والشيخ عبد الرحمٰن الجبرتي ، والشيخ عبد الله باسودان ، وكذا قرأ على مفتي الجزائر الشيخ محمد بن محمود الجزائري الحنفي الأثري ، وقد أجازه هؤلاء المشايخ بجميع مروياتهم.

كما درس الشيخ عبد الرحمٰن على مشايخ آخرين في مصر في النحو والقراءات وغيرها.

وقد تتلمذ على الشيخ عبد الرحمٰن جم غفير من الطلبة ، أبرزهم ابنه الشيخ عبد اللطيف.

وللشيخ عبد الرحمٰن عدة مصنفات ، أشهرها كتابه «فتح المجيد» ، وهو تهذيب لكتاب ابن عمه ، الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ، «تيسير العزيز الحميد بشرح كتاب التوحيد» ، وله أيضا «قرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين» ، وهو حاشية على كتاب التوحيد.

كما ألف الشيخ عبد الرحمٰن رسائل كثيرة ، وهي مبثوثة في «الدرر السنية من الأجوبة النجدية» ، وكذا في «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية».

توفي رحمه الله عام ١٢٨٥ هـ بعد أن أبلى بلاء حسنا في نصرة الإسلام ، ودعوة الناس إلى التوحيد الخالص ، ودحض البدع والشركيات في نجد وغيرها.

انظر ترجمته في مقدمة كتاب «فتح المجيد» بتحقيق أشرف بن عبد المقصود ، والترجمة لحفيده ، الشيخ إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمٰن بن حسن ، رحمهم الله.

[٤] انظر باب: ما جاء أن سبب كفر بني آدم وترك دينهم هو الغلو في الصالحين.

[٥] تقدم التعريف به.

[٦] هو مطبوع بهذا العنوان كملحق برسالة: «الشيخ العلامة عبد الله بن عبد الرحمٰن أبابطين ، حياته وآثاره وجهوده في نشر عقيدة السلف ، مع تحقيق رسالته: الرد على البردة» ، المؤلف ومحقق الرسالة: علي بن محمد العجلان ، الناشر: دار الصميعي – الرياض.

شكري الألوسي[1] في كتابه «غاية الأماني في الرد على النبهاني»[2] ، والشيخ عبد الرحمٰن بن محمد بن قاسم[3] في كتابه «السيف المسلول على عابد الرسول» ، والشيخ د. عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف حفظه الله في مقال له[4] ، وغيرهم[5] ، رحم الله أمواتهم وحفظ أحياءهم.

ومما ينبغي أن يُعلم أن قائل هذه القصيدة ليس إلا شاعر ، وليس من أهل الفقه أو العلم ، وأيضا فقد كان يمدح ذوي السلطان ، فمدَح المماليك مدحاً فيه غلو عظيم ، وهجا العرب هجاء مُرًّا ، انظر مقدمة «ديوان البوصيري» تحقيق محمد سيد كيلاني ، ص ٥- ١١ .[6]

قال مقيده عفا الله عنه: وصدق الله ﴿والشعراء يتبعهم الغاوون * ألم تر أنهم في كل واد يهيمون * وأنهم يقولون ما لا يفعلون﴾.

وهذه القصيدة – مع الأسف – تطبع بشكل جميل وحرف عريض ، وتوزع ، وتقرأ ، ويُعتني بها أكثر مما يعتنى بكتاب الله عز وجل ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.[7]

ومما ينبغي أن يُعلم أن البوصيري وأمثاله قد دخل الشيطان عليهم من ثلاثة أبواب:

الأول: ظنهم أن الشفاعة يوم القيامة ملك للنبي ﷺ ، يُدخِل فيها من شاء من أمته ، وهذا غلط ، بل هي فيمن تحققت فيه شروط الشفاعة.

الثاني: أنه أظهر لهم هذا الشرك العظيم في قالب محبة النبي ﷺ وتعظيمه.

---

[1] هو أبو المعالي ، محمود شكري بن السيد عبد الله الألوسي البغدادي ، له عدة مؤلفات في الذب عن عقيدة التوحيد الصافية ، منها «غاية الأماني في الرد على النبهاني» ، و «فصل الخطاب في شرح مسائل الجاهلية للإمام محمد بن عبد الوهاب» ، و «صب العذاب على من سب الأصحاب» و «كنز السعادة في شرح كلمتي الشهادة» ، وغيرها من الكتب.

وهو حفيد أبي الثناء محمود الألوسي ، المتوفى عام ١٢٧٠ ، صاحب التفسير المعروف «روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني».

توفي أبو المعالي رحمه الله سنة ١٣٤٢ هـ.

[2] (٤٢٣/٢) ، وهو من منشورات مكتبة الرشد بالرياض ، بتحقيق الداني بن منير آل زهوي.

[3] تقدمت ترجمته.

[4] مقال الشيخ عبد العزيز يقع في آخر كتاب «حقوق النبي ﷺ بين الإجلال والإخلال» ، الناشر: المنتدى الإسلامي – لندن ، وهو بعنوان «قوادح عقدية في بردة البوصيري».

[5] هناك بحث عام في آخر كتاب «حقوق النبي ﷺ بين الإجلال والإخلال» في بيان الانحرافات الواقعة في قصائد المديح النبوي للشيخ سليمان بن عبد العزيز الفريجي بعنوان «مظاهر الغلو في قصائد المديح النبوي» ، فليراجعه من أراد الاستزادة.

[6] نقلا من حاشية الأستاذ عبد الله السهلي على «الاستغاثة في الرد على البكري» لابن تيمية ، (٣٠٩/١) ، ط ١ ، الناشر: مدار الوطن – الرياض.

[7] قاله الشيخ صالح الفوزان في «إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد» (٢٠٢/١).

الثالث: الغلو في الأنبياء والصالحين الذي نهى عنه النبي ﷺ بقوله: لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم ، فإنما أنا عبدٌ ، فقولوا: عبدالله ورسوله.[1]

ومما ينبغي أن يُعلم أيضا أن مدح النبي ﷺ بما فيه من الصفات أمر طيب ، ويؤجر عليه الإنسان ، كمدحه بأنه أفضل الخلق ، وأنه سيد المرسلين ، وسيد الناس أجمعين ، كما جاء في أشعار الصحابة الذين مدحوه رضي الله عنهم ، كشعر حسان بن ثابت ، وكعب بن زهير ، وكعب بن مالك ، وعبد الله بن رواحة ، فهذه أشعار نزيهة طيبة ، قد سمعها النبي ﷺ وأقرَّها ، وليس فيها شيءٌ من الغلو ، وإنما فيها ذِكر أوصافه ﷺ .[2]

قال الشيخ عبد الرحمٰن بن قاسم رحمه الله:

وقد مدح النبي ﷺ شعراء العرب الفصحاء ولم يقرَب أحد منهم حول هذا الحمى الذي هو لله وحده ، بل مدحوه بالنبوة ، وبما خصه الله به من الفضائل والأخلاق الحميدة ، مثل حسان وكعب بن مالك وغيرهما ، فلم يورِد هذا المعترض[3] من ذلك شيئاً ، وعدَل إلى شعر المُوَلَّدين[4] الملحِدين ، لِما تضمنه من الشرك برب العالمين ، المنافي لما لما بعث الله به سيد المرسلين.[5]

ومن القصائد التي تتضمن دعاء المخلوقين وطلب الشفاعة منهم قصيدة البرعي[6] وفيها:

يا سيدي يا رسول الله يا أملي	يا موئلي يا ملاذي يوم يلقاني
هبني بجاهك ما قدمت من زلل	جودا ورجِّح بفضل منك ميزاني
واسمع دعائي واكشف ما يساورني	من الخطوب ونفِّس كل أحزاني
فأنت أقرب من تُرجى عواطفه	عندي وإن بعُدت داري وأوطاني
إني دعوتك من نيابتي «بُـرع»[7]	وأنت أسمع من يدعوه ذو شان

---

[1] رواه البخاري (٣٤٤٥) واللفظ له ، وأحمد (٢٣/١) ، والدارمي (٢٧٨٧).

[2] بتصرف من «إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد» (٣١٢/٢).

[3] أي البوصيري.

[4] مولَّدون جمع مولَّد ، وهو المُحدَث من كل شيء ، وتطلق على صنفين من الناس ؛ العربي غير المحض ، ومن وُلِد عند العرب ونشأ مع أولادهم. انظر انظر «المعجم الوسيط».

والمولدون من الشعراء غير العرب يوجد في شعر بعضهم الخرافات في العقيدة بحكم البيئة التي انتقلوا منها.

[5] «السيف المسلول على عابد الرسول» ، ص ١٦٦ – ١٦٧ .

[6] هو عبد الرحيم بن أحمد البرعي اليمني ، شاعر متصوف ، من دعاة الشرك بالله ، توفي عام ٨٠٣ هـ. انظر «الأعلام» للزركلي (٣٤٣/٣).

[7] قوله (نيابتي) أي بلدي ، و «بُـرَع» هي بلدته التي هو منها.

فامنع جنابي وأكرمني وصِل نسبي برحمة وكرامات وغفران

وهذا الكلام كسابقه ، مُتخمٌ بالشرك بالنبي ﷺ ، ودعائه واللجوء له ، نعوذ بالله من الإعراض عن الله الديَّان ، والوقوع في الشرك والخسران.

تنبيه هام

يشتهر ترديد قصائد المديح الشركية – «البردة» وغيرها – فيما يعرف بالموالد النبوية ، والتي من المعروف تضمنها لمنكرات عدة غير التغني بتلك القصائد ، منها اعتقاد الحاضرين أن النبي ﷺ يحضر المولد إما بجسده – كما يدعيه بعضهم – أو بروحه ، كما يدعيه البعض الآخر منهم.

والموالد تتضمن أيضا الرقص الصوفي ، وضرب الدفوف ، والتزمير بالمزامير ، واختلاط الرجال بالنساء ، والذكر البدعي ، وليس هذا بغريب ، فالانحراف تتسع دائرته شيئا فشيئا.

وأهل البدع قلبوا دين الله ، فجعلوا المنكر معروفا والمعروف منكرا ، وقلدهم في ذلك جهلة الناس وضعاف النفوس والعقول من العامة والدهماء.

وللفائدة ؛ فقد جمع أحد الباحثين بعض فتاوى أهل العلم في حكم الاحتفال بالمولد النبوي فوقعت في مجلدين ، فليرجع إليها من أراد الاستفادة.[1]

[1] اسم الكتاب المشار إليه هو «رسائل في حكم الاحتفال بالمولد النبوي» ، وهو من منشورات دار العاصمة – الرياض.

الشبهة الثالثة: شبهة التوسل والرد عليها

يقول بعض من يدعو الصالحين من أصحاب القبور وغيرهم:

(نحن نقصد بدعاء أصحاب القبور التوسل بهم لإجابة الدعاء لكونهم صالحين ، مع اعتقادنا بأن الله هو الفاعل والمؤثر في الكون والمدبر له).

وربما احتجوا لجواز التوسل بأصحاب القبور بقوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة﴾[1] .

الجواب: هذا الاحتجاج باطل من ثلاثة وجوه:

الأول: أن دعاء الصالحين ليس بوسيلة شرعية أصلا لحصول المقصود ، بل هو الشرك بعينه ، ولا يغني دعاؤهم عن الداعي شيئا ، بل إن دعاءهم يُطوِّح بالداعي خارج دائرة الإسلام ، ولذا جاءت الشريعة بالنهي عنه ، فإنه من المعلوم أن الدعاء عبادة ، وكل ما ثبت في الشرع أنه عبادة فصرفه لغير الله شرك مناقض لدين الإسلام.

الثاني: أن الآية الكريمة لا تدل على أن دعاء الصالحين وسيلة لإجابة الدعاء ، وإنما فيها الحث على اتخاذ الوسائل للتقرب إلى الله ، والوسائل إذا أطلقت فالمقصود منها الوسائل التي جاء ذكرها في الشريعة ، وليس في الآية ذكر أو إيماء لمسألة التقرب للمخلوقين بدعاء ولا بغيره ، وهذه أقوال المفسرين في تفسير الوسيلة:

قال الإمام ابن جرير رحمه الله:

«يعني جل ثناؤه بذلك: يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله فيما أخبرهم ووعد من الثواب وأوعد من العقاب اتقوا الله ، يقول أجيبوا الله فيما أمركم ونهاكم بالطاعة له في ذلك ، وحققوا إيمانكم وتصديقكم ربكم ونبيكم بالصالح من أعمالكم ، ﴿وابتغوا إليه الوسيلة﴾ ؛ يقول: واطلبوا القربة إليه بالعمل بما يرضيه». انتهى.

ثم روى بسنده عن عطاء والسدي ومجاهد وقتادة والحسن وعبد الله بن كثير وابن زيد تفسيرهم لها بالتقرب إلى الله بالعمل الصالح.

وقال الإمام ابن كثير رحمه الله:

«يقول تعالى آمرا عباده المؤمنين بتقواه ، وهي إذا قرنت بطاعته كان المراد بها الانكفاف عن المحارم وترك المنهيات ، وقد قال بعدها ﴿وابتغوا إليه الوسيلة﴾ ، قال سفيان الثوري عن طلحة عن عطاء عن ابن عباس: أي القربة.

---

[1] سورة المائدة: ٣٥ .

وكذا قال مجاهد وأبو وائل والحسن وقتادة وعبد الله بن كثير والسدي وابن زيد وغير واحد.

وقال قتادة: أي تقربوا إليه بطاعته والعمل بما يرضيه.

وهذا الذي قاله هؤلاء الأئمة **لا خلاف بين المفسرين فيه**».[1]

وقال العلامة محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي رحمه الله:

«اعلم أن جمهور العلماء على أن المراد بالوسيلة هنا هو القربة إلى الله تعالى ، بامتثال أوامره واجتناب نواهيه ، على وِفقِ ما جاء به محمد ﷺ ، بإخلاصٍ في ذلك لله تعالى ، لأن هذا وحده هو الطريق الموصلة إلى رضا الله تعالى ، ونيل ما عنده من خير الدنيا والآخرة.

وأصل الوسيلة الطريق التي تُقَرِّبُ إلى الشيء وتُوصل إليه ، **وهي العمل الصالح بإجماع العلماء** ، لأنه لا وسيلة إلى الله تعالى إلا باتباع رسوله ﷺ ، وعلى هذا فالآيات المبيِّنة للمراد من الوسيلة كثيرة جدا ، كقوله تعالى ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ ، وقوله ﴿قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول﴾ ، إلى غير ذلك من الآيات».

ثم قال:

«التحقيق في معنى الوسيلة هو ما ذهب إليه عامة العلماء ، من أنها التقرب إلى الله تعالى بالإخلاص له في العبادة على وِفقِ ما جاء به الرسول ﷺ .

وبهذا التحقيق تعلم أن ما يزعمه كثير من ملاحدة أتباع الجهال المدَّعين للتصوف من أن المراد بالوسيلة في الآية ؛ الشيخ الذي يكون له واسطة بينه وبين ربه ؛ أنه تخبط في الجهل والعمى ، وضلال مبين ، وتلاعب بكتاب الله تعالى ، واتخاذ الوسائط من دون الله من أصول كفر الكفار ، كما صرح به تعالى في قوله عنهم ﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ ، وقوله ﴿ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون﴾.

فيجب على كل مكلف أن يعلم أن الطريق الموصلة إلى رضا الله وجنته ورحمته هي اتباع رسوله ﷺ ، ومن حاد عن ذلك فقد ضل سواء السبيل ، ﴿ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به﴾ الآية.

وهذا الذي فسَّرنا به الوسيلة هنا هو معناها أيضا في قوله تعالى ﴿أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب﴾ الآية». [2] اهـ.

---

[1] انتهى من تفسير ابن كثير ، باختصار يسير.

[2] باختصار من «أضواء البيان» ، تفسير سورة المائدة ، الآية ٣٥ .

وبناء على ما تقدم فإن تسمية دعاء غير الله توسلا أو توسطا أو تشفعا أو غير ذلك من التسميات خطأ ، لأن التوسل في القرآن هو التقرب إلى الله بما شرعه من الطاعات والقربات.

الثالث: أن اعتقاد أن الله هو الفاعل والمؤثر والمدبر للكون لا يغني شيئا إذا كان العبد يتوجه لغير الله بدعاء أو غيره ، فإن المشركين كانوا ولا زالوا يقرون بأن الله هو الفاعل والمدبر للكون ، وهو المعروف بتوحيد الربوبية ، وهم مع هذا يَدْعون غيره ، فَحَكَمَ الله عليهم بالكفر ، لأن الإقرار بربوبية الله على خلقه إذا لم يكن مقترنا بإفراده بجميع العبادات – من دعاء وغيره – فإن صاحبه يكون مشركا حتى يُفرد الله بربوبيته وبعباداته كلها.

وبناء على ما تقدم ؛ فإن تسمية دعاء غير الله توسلا تسمية خاطئة ، والتسمية الصحيحة أنه شرك بالله ، وأما تسميته توسلا فليس بشيء ، ولا يغير شيئا في حقيقة الفعل ، لأن العبرة بالحقائق لا بالمسميات ، وقد حكم الله على المشركين بأنهم مشركون ، مع أنهم كانوا يتقربون لمعبوداتهم بأنواع القربات ويُسمُّون فعلهم تشفعا وتوسلا ، فقاتلهم الرسول ﷺ ، ولم يبالِ بالأسماء التي سَمَّوا بها آلهتهم أو سمَّوا بها فعلهم عندها ، فالأمر كما قال تعالى على لسان يوسف عليه السلام ﴿إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان﴾ ، وكما قال هود لقومه ﴿قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب أتجادلونني في أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان﴾.

فصل في ذكر بعض التقريرات العلمية لمسألة أن العبرة بالحقائق لا المسميات

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله:

إن المشركين الأولين كانوا يقصدون من لفظ الإلٰهية ما يقصده أهل زماننا بلفظ «السيد» ، فـ «السيد» عند أكثر المشركين في هذه الأزمان هو الذي يُدعى ويُستغاث به في الشدائد ويُرجى للنوازل ، ويُحلف باسمه ، ويُنحر له على وجه التعظيم والقربة ، وبعضهم يطلق على ذلك اسم «الولي» ، كما هو اصطلاح أهل مصر ، وبعضهم يسمي هذا المعنى «السر» ، فيقول: فلان فيه «سر» ، ومن أهل «السر» ، وهذا مشهور معروف ، والاصطلاحات تُحدَث ، واللغات تختلف ، والفقهاء أطلقوا الأحكام المترتبة على المعاني والمقاصد وإن اختلفت الأسماء وتغيرت اللغات.[1]

وقال الإمام محمد بن إسماعيل الصنعاني[2] رحمه الله:

---

[1] انظر «الدرر السنية» (١/٧٠ ، ٢/٤١).

[2] هو محمد بن إسماعيل الكحلاني ثم الصنعاني المعروف بالأمير ، المنتهي نسبه بأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، الإمام الكبير المجتهد المطلق صاحب التصانيف ، ولد سنة ١٠٩٩ هـ ، برع في جميع العلوم وفاق الأقران وتفرد برئاسة العلم في صنعاء ، له مصنفات جليلة منها «تطهير الاعتقاد من

والنذر بالمال على الميت ونحوه ، والنحر على القبر ، **والتوسل به** ، وطلب الحاجات منه ؛ هو بعينه الذي كانت تفعله الجاهلية ، وإنما كانوا يفعلونه لما يسمونه وثنا وصنما ، وفَعله القبوريون لما يسمونه وليا وقبرا ومشهدا.

والأسماء لا أثر لها ، ولا يُعتبر إلا المعاني ، ضرورة لغوية وعقلية وشرعية ، فإن مَن شَرِبَ الخمر وسماها ماءً ما شرب إلا خمرا ، وعِقابُه عقاب شارب الخمر ، **ولعله يزيد عقابه ، للتدليس والكذب في التسمية.**

وقد ثبت في الأحاديث أنه يأتي قوم يشربون الخمر ، يسمونها بغير اسمها ، وصدق ﷺ ، فإنه قد أَتى طوائف من الفَسقة يشربون الخمر ويسمونها نبيذا.

وأول من سمى ما فيه غضب الله وعصيانه بالأسماء المحبوبة عند السامعين: إبليس لعنه الله ، فإنه قال لأبي البشر آدم عليه السلام ﴿يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى﴾ ، فسمى الشجرة التي نهى الله تعالى آدم عن قُربانها شجرة الخلد ، جذبا لطبعه إليها ، وهزا لنشاطه إلى قربانها ، وتدليسا عليه بالاسم الذي اخترعه لها.[1]

وقال الإمام محمد بن علي الشوكاني رحمه الله: ومن المفاسد البالغة إلى حدٍّ يَرقى بصاحبه إلى وراء حائط الإسلام ، ويلقيه على أم رأسه من أعلى مكان من الدين ؛ أن كثيرا منهم يأتي بأحسن ما يملكه من الأنعام ، وأجود ما يحوزه من المواشي ، فينحره عند ذلك القبر ، متقربا به إليه ، راجيا ما يُضمر حصوله له منه ، فيُهِلُّ به لغير الله ، ويتعبد به لوثن من الأوثان ، إذ أنه لا فرق بين النحائر لأحجارٍ منصوبةٍ يسمونها وثنا ، وبين قبرٍ لميتٍ يسمونه قبرا ، **ومجرد الاختلاف في التسمية لا يغني من الحق شيئا ، ولا يؤثر تحليلا ولا تحريما** ، فإن مَن أطلق على الخمر غير اسمها وشربها كان حكمه حكم من شربها وهو يسميها باسمها ، بلا خلاف بين المسلمين أجمعين.[2]

وقال أيضا: الشرك هو أن يَفعل[3] لغير الله شيئا يختص به سبحانه ، سواءً أُطْلِق على ذلك الغير ما كان تطلقه عليه الجاهلية ، أو أُطلق عليه اسما آخر ، فلا اعتبار بالاسم فقط ، ومن لم يعرف هذا فهو جاهل ، لا يستحق أن يُخاطبَ بما يُخاطبُ به أهل العلم.[4]

أدران الإلحاد» ، و «الإنصاف في حقيقة الأولياء وما لهم من الكرامات والألطاف» ، و«مسألة في الذبائح على القبور وغيرها» ، و«سبل السلام» اختصره من «البدر التمام» للمغربي ، و «العدة» وهي حاشية على «شرح العمدة» لابن دقيق العيد ، وبالجملة فهو من الأئمة المجددين لمعالم الدين. توفي رحمه الله سنة ١١٨٢ هـ. انتهى باختصار وزيادة من «البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع» للإمام محمد بن علي الشوكاني رحمه الله.

[1] «تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد» ، ص ٢٤ – ٢٥ ، تعليق الشيخ إسماعيل الأنصاري ، الناشر: مكتبة الفيحاء – دمشق.

[2] «شرح الصدور في تحريم رفع القبور» ، ص ٣٤ ، تحقيق محمد صبحي بن حلاق ، الناشر: دار الهجرة – اليمن.

[3] أي العبد.

[4] «الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد» ، ص ٧٠ ، الناشر: دار ابن خزيمة – الرياض.

وقال الشيخ عبد الله أبابطين رحمه الله في جواب هذه الشبهة:

التسمية لا حكم لها ، ولا تتغير حقيقة الشيء بتغير الاسم ، كما جاء عنه ﷺ أنه يأتي ناس من أمتي يُسمُّون الخمر بغير اسمها ، وكذا من سمى الزنا نكاحاً ، فالتسمية لا تزيل الاسم ولا الحكم ، ومن عامل معاملة ربوية فهو مرابي وإن لم يسمه ربا ، فكذا من ارتكب شيئاً من الأمور الشركية فهو مشرك وإن سمى ذلك توسلاً وتشفعاً ونحوه.

والشيطان لما علِم أن النفوس تنفر من تسمية ما يفعله المشركون تألُّهًا ؛ أخرجه في قالب آخر تقبله النفوس.[1]

وقال الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي رحمه الله في تفسير قوله تعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾[2]:

وفي قوله ﴿يتخذ﴾ دليل على أنه ليس لله ند ، وإنما المشركون جعلوا بعض المخلوقات أندادا له تسمية مجردة ولفظا فارغا من المعنى ، كما قال تعالى ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لا يَعْلَمُ فِي الأَرْضِ أَمْ بِظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ﴾ ، ﴿إِن هِيَ إِلا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنزلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ﴾.

فالمخلوق ليس ندا لله لأن الله هو الخالق وغيره مخلوق ، والرب الرازق ومن عداه مرزوق ، والله هو الغني وأنتم الفقراء ، وهو الكامل من كل الوجوه والعبيد ناقصون من جميع الوجوه ، والله هو النافع الضار والمخلوق ليس له من النفع والضر والأمر شيء ، فعُلِم علما يقينا بطلان قول من اتخذ من دون الله آلهة وأندادا ، سواء كان ملَكا أو نبيا أو صالحا أو صنما أو غير ذلك ، وأن الله هو المستحق للمحبة الكاملة والذل التام ، فلهذا مدح الله المؤمنين بقوله ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّه﴾ أي: من أهل الأنداد لأندادهم ، لأنهم أخلصوا محبتهم له ، وهؤلاء أشركوا بها ، ولأنهم أحبوا من يستحق المحبة على الحقيقة ، الذي محبته هي عين صلاح العبد وسعادته وفوزه ، والمشركون أحبوا من لا يستحق من الحب شيئا ، ومحبته عين شقاء العبد وفساده وتشتت أمره. اهـ .[3]

وخلاصة القول أن من صرف لغير الله شيئاً من أنواع العبادة المتقدم تعريفها ، كالحب والتعظيم والخوف والرجاء والدعاء والتوكل والذبح والنذر وغير ذلك ؛ فقد عبد ذلك الغير ، واتخذه إلها ، وأشركه مع الله في خالص حقه ، **وإن فرَّ من تسمية فعله ذلك تألهاً وعبادة وشركاء** ، ومعلوم عند كل عاقل أن حقائق الأشياء لا تتغير بتغيير أسمائها ،

---

[1] «تأسيس التقديس في كشف تلبيس داود بن جرجيس» ، ص ٩٤ .

[2] سورة البقرة: ١٦٥ .

[3] وكلام أهل السنة متطابق في تقرير هذه المسألة ، انظر ما قاله الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي رحمه الله في كتابه «أضواء البيان» في تفسير قوله تعالى من سورة النساء ﴿وإن يدعون إلا شيطانا مريدا﴾.

فلو سُمي الزنا والربا والخمر بغير أسمائها لم يخرجها تغيير الاسم عن كونها زنا وربا وخمراً ، فمن المعلوم أن الشرك إنما حُرِّم لقبحه في نفسه ، وكونه متضمناً مسبة الرب وتنقصه وتشبيهه بالمخلوقين ، فلا تزول هذه المفاسد بتغيير أسمائها ، كتسميته توسلاً وتشفعًا وتعظيمًا للصالحين وتوقيرًا لهم ونحو ذلك ، فالمشرك مشرك شاء أم أبى ، وقد أخبر النبي ﷺ أن طائفة من أمته يستحلون الربا باسم البيع ، ويستحلون الخمر باسم آخر غير اسمها ، وذمَّهم على ذلك ، فلو كان الحكم دائراً مع الاسم لا مع العلة لم يستحق الذم ، **وهذا من أعظم مكائد الشيطان لبني آدم قديماً وحديثاً** ، أخرج لهم الشرك في قالَب تعظيم الصالحين وتوقيرهم ، وغيَّر اسمه بتسميته إياه توسلاً وتشفعًا ونحو ذلك ، والله الهادي إلى سواء السبيل.

فالحاصل أن دعاء غير الله شرك أكبر مهما كانت ذريعته ، ومن أراد الوسيلة الشرعية لإجابة دُعائه فعليه بأسباب إجابة الدعاء الواردة في الكتاب والسنة[1] ، وبهذا تم الجواب عن شبهة تسمية دعاء غير الله توسلا ، وبيان بطلان ذلك ، والحمد لله.

[1] قد يسر الله جمع ما تيسر جمعه في باب أسباب إجابة الدعاء الشرعية ، وضمنتُها كتابي «التبصرة في بيان أن تحري إجابة دعاء الله تعالى عند القبور بدعة منكرة» ، وهو منشور في صفحتي الخاصة www.saaid.net/kutob ، يسر الله طباعته.

الشبهة الرابعة: دعوى أن عُبَّاد القبور ليسوا كفارا ، لكونهم يشهدون أن لا إله إلا الله

يقول بعض من يدعو الأنبياء والصالحين: إن المشركين الذين بعث إليهم النبي ﷺ ما كانوا يشهدون أن «لا إله إلا الله» ، وكانوا يُكَذِّبون رسول الله ﷺ ، ويُنكرون البعث ، ويكذبون بالقرآن ، ويقولون إنه سحر وكهانة ، فهذا سبب كفرهم وقتال النبي ﷺ لهم ، أما الذين يدعون أصحاب القبور ويتوجهون لهم فيقولون «لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله» ، ويصلون ويصومون ويزكون ويحجون ، فلم تُكَفِّرونهم؟

والجواب أن هذا الكلام باطل من ثلاثة وجوه:

أولا: أن مجرد التلفظ بـ «لا إله إلا الله» بدون تحقيق شروطها لا يُغني شيئا ، ومن شروط «لا إله إلا الله» ترك عبادة ما سواه ، أيا كانت تلك العبادة ، دعاءً أو ذبحًا أو نذرًا أو غير ذلك.

والمشركون الذين بُعِثَ فيهم النبي ﷺ كانوا يعلمون ما تقتضيه «لا إله إلا الله» من إفراد الله بالعبادة وترك عبادة ما سواه ، ولذا أبوا أن يقولوها إباءً شديدا ، فمن قارن بين الفريقين بتجرد وإنصاف يجد أن المشركين الأولين تساووا في فعل الكفر ، فالجميع يدعون غير الله ، وما اختلفوا إلا بمجرد النطق ، فالمشركون الأولون لا يتلفظون بالشهادة ويدعون غير الله ، وعُبَّاد القبور يتلفظون بالشهادة ويدعون غير الله ، فكذَّب فعلُهم قولَهم ، فإنهم يقولون «لا إله إلا الله» مع كونهم اتخذوا إلٰها مع الله يدعونه ويرجونه ، وهذا مناط تكفيرهم.

وقد جاء التأكيد من النبي ﷺ مرارًا على وجوب القيام بمقتضى شهادة أن «لا إله إلا الله»[1] ، بترك عبادة ما يُعبَد من دون الله ، سواء كانت تلك العبادة متمثلة بدعاء أصحاب القبور أو غير ذلك من العبادات ، فعن أبي مالك عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من قال «لا إله إلا الله» ، وكفر بما يعبد من دون الله ؛ حرم ماله ودمه ، وحسابه على الله عزَّ وجل.[2]

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله معلقًا على هذا الحديث:

وهذا من أعظم ما يُبيِّن معنى «لا إله إلا الله» ، فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصما للدم والمال ، بل ولا معرفة معناها مع لفظها ، بل ولا الإقرار بذلك ، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له ؛ بل لا يحرم ماله ودمه حتى **يضيف**

---

[1] قد يسر الله القيام بشرح لشروط كلمة التوحيد ، ونشرته دار الفرقان بالجزائر ، وهو منشور في صفحتي الخاصة www.saaid.net/kutob .

[2] رواه مسلم (٢٣) عن أبي مالك عن أبيه ، وأبو مالك هو سعد بن طارق الأشجعي ، ثقة ، وأبوه هو طارق بن أشيم الأشجعي ، صحابي.

إلى ذلك الكفر بما يُعبَد من دون الله ، فإن شك أو توقف لم يَحرُم ماله ولا دمه ، فيالها من مسألةٍ ما أعظمها وأجلها ، وياله من بيانٍ ما أوضحه ، وحجةٍ ما أقطعها للمنازع.[1]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ بارزا يوما للناس فأتاه جبريل فقال: ما الإيمان؟

قال: الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه وبلقائه ورسله وتؤمن بالبعث.

قال: ما الإسلام؟

قال: الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به شيئا ، وتقيم الصلاة ، وتؤدي الزكاة المفروضة ، وتصوم رمضان.[2]

وعن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن رجلا قال: يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة.

فقال رسول الله ﷺ : تعبد الله ولا تشرك به شيئا ، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصل الرحم.[3]

وعنه رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال: من جاء يعبد الله ولا يشرك به شيئا ، ويقيم الصلاة ، (ويصوم رمضان)[4] ، ويؤتي الزكاة ، ويجتنب الكبائر ، كان له الجنة ... الحديث.[5]

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنت مع النبي ﷺ في سفر ، فأصبحتُ يوما قريبا منه ونحن نسير فقلت: يا رسول الله: أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار.

قال: لقد سألتني عن عظيم ، وإنه ليسير على من يسره الله عليه ، تعبد الله ولا تشرك به شيئا ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت.[6]

تقريرات علمية في تحقيق كلمة «لا إله إلا الله»

قال الشيخ سليمان بن سحمان[7] رحمه الله:

---

[1] «كتاب التوحيد» ، باب تفسير التوحيد وشهادة «أن لا إله إلا الله».

[2] رواه البخاري (٥٠) ، ومسلم (٩) ، والنسائي (٥٠٠٧) ، وابن ماجه (٦٤).

[3] رواه البخاري (١٣٩٦) ، والنسائي (٤٦٧) واللفظ له.

[4] ما بين القوسين ليست في سنن النسائي ، ولكن رواها غيره ممن روى الحديث ، انظر «صحيح الجامع» (٦١٨٥).

[5] رواه النسائي (٤٠٢٠) ، وصححه الألباني.

[6] رواه الترمذي (٢٦١٦) ، وصححه الألباني.

[7] هو الشيخ سليمان بن سحمان بن مصلح من آل عامر من قبيلة خثعم ، ولد في قرية السُّقا من بلدان أبها ، درس على الشيخ عبد الرحمٰن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب ، ودرس كذلك على ابنه عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن بن حسن ، ولازمهما عشر سنوات ، ودرس كذلك على الشيخ حمد بن عتيق سبعة عشر سنة ، كما درس على الشيخ حمد بن فارس ، ألف كتبا كثيرة تقرب من الأربعين كتابا ، وله أشعار كثيرة ، فقد كان أديبا بارعا ، وشاعرا خرِّيتا

إن كفار العرب يعلمون أنهم إذا قالوا «لا إله إلا الله» فقد نفوا جميع المعبودات من دون الله ، وأثبتوا العبادة لله وحده لا شريك له دون سواه ، فأبوا عن النطق بـ «لا إله إلا الله» ، وعتوا عتواً كبيراً ، وأبى الظالمون إلا كفورًا ، فجحدوا «لا إله إلا الله» لفظاً ومعنى ، ولذلك لما قال لهم رسول الله ﷺ : (قولوا لا إله إلا الله) ؛ قالوا ﴿أجعل الآلهة إلهًا واحدا إن هذا لشيء عجاب﴾ ، وقال تعالى عنهم ﴿إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون * ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون﴾.

وهذا بخلاف من يقولونها وهم مع ذلك يعبدون مع الله غيره ممن يشركونه في عبادته ، بالدعاء والخوف والحب والرجاء والتوكل والاستغاثة والاستعانة والذبح والنذور والالتجاء وطلب الشفاعة منهم ، إلى غير ذلك من أنواع العبادة ، فمن صرف لغير الله شيئاً من أنواع العبادة فقد عبد ذلك الغير ، واتخذه إلها ، وأشركه مع الله في خالص حقه ، سواء اعتقد التأثير والتدبير والإيجاد والإعدام والنفع والضرر ممن يدعوه أو يرجوه ، أو لم يعتقد ، وإن فرَّ من تسمية فعله ذلك تألُّهاً وعبادة وشركاً.[1]

ونقل الشيخ إسحاق[2] عن جده الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهما الله قوله:

والكفر نوعان: مطلق ومقيد ، فالمطلق هو الكفر بجميع ما جاء به الرسول ، والمقيد أن يكفر ببعض ما جاء به الرسول ، حتى إن بعض العلماء كفَّر من أنكر فرعاً مجمعاً عليه ، كتوريث الجد أو الأخت ، وإن صلى وصام ، **فكيف بمن يدعو الصالحين ويصرف لهم خالص العبادة ولُبَّها؟**

، سخر لسانه للدفاع عن عقيدة أهل السنة ، له دواوين في الدفاع عن الإسلام ، رد على قريب من خمسين ضالا بشعره ، فكان بحقٍّ «حسَّان السنة» في زمانه.

توفي رحمه الله سنة ١٣٤٩ هجري ، وله من العمر ثمانين عاما.

ذُكِر أنه لما خرجت روحه شموا من جسده رائحة مسك طيبة لم يعهدوا مثلها.

انظر ترجمته في «تذكرة أولي النهى والعرفان بأيام الله الواحد الديان» ، حوادث سنة ١٣٤٩ هجري ، للشيخ إبراهيم بن عبيد آل عبد المحسن رحمه الله ، وكذا كتاب «ابن سحمان ، تاريخ حياته ، وعلمه ، وتحقيق شعره» ، لمحمد بن حمد العقيل ، الناشر: مكتبة الرشد – الرياض.

[1] «الصواعق المرسلة الشهابية على الشبه الداحضة الشامية» ، ص ٣١٣ – ٣١٤ ، بتصرف يسير ، الناشر: دار العاصمة – الرياض.

[2] هو الشيخ إسحاق بن عبد الرحمٰن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب ، من أئمة الدعوة النجدية ، عاش في القرن الثالث عشر وأوائل الرابع عشر الهجريين ، له كتاب «الجوابات السمعية على الأسئلة الروافية» ، له ترجمة مقتضبة في كتاب «مشاهير علماء نجد وغيرهم» للشيخ عبد الرحمٰن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ ، توفي سنة ١٣١٩ هـ رحمه الله تعالى.

وهذا مذكور في المختصرات من كتب المذاهب الأربعة ، بل كفَّروا ببعض الألفاظ التي تجري على ألسن بعض الجهال ، وإن صلى وصام من جرت على لسانه.[1]

فالحاصل أن تحقيق معنى «لا إله إلا الله» لا يتأتَّى إلا بنفي وإثبات ، نفي جميع ما يُعبد من دون الله ، وإثبات عبادة الله وحده لا شريك له ، وقد كان النبي ﷺ يبين للناس دائما معنى الإسلام بذكر الأمرين: عبادة الله واجتناب الشرك ، والله أعلم.

الوجه الثاني: ومما يدل على كفر عباد القبور مع كونهم ينتسبون للإسلام ويقولون «لا إله إلا الله ، محمدا رسول الله» ؛ أن مانعي الزكاة في عهد أبي بكر رضي الله عنه كانوا يقولونها ، ومع هذا أجمع الصحابة على قتالهم ، لأن جحود وجوب الزكاة – التي هي الركن الثالث – من المُكفِّرات وإن كان الجاحد يقول «لا إله إلا الله» ، والشاهد من هذا: كيف لو رأى الصحابة من يجحد ما تقتضيه كلمة «لا إله إلا الله» ، التي هي الركن الأول والأساس في الإسلام ، من وجوب إفراد الله بجميع العبادات ، الدعاء وغيره ، بأن صَرفه لغير الله؟ أليسوا سيقاتلونه أيضا من باب أولى؟!

وكذلك السَّبئية[2] الذين ظهروا في عهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه الذين حرَّقهم في النار ، كانوا يدَّعون الإسلام ، ويقولون «لا إله إلا الله ، محمدا رسول الله» ، ولكنهم اعتقدوا في علي رضي الله عنه كما يعتقد كثير من الناس الآن في البدوي وشمسان وتاج وأمثاله ، فزعموا أنه يستحق أن يُعبد ويدعى مع الله ، فحرَّقهم علي رضي الله عنه بعد أن أجمع الصحابة على كفرهم وردتهم عن الإسلام ، ولم يمنعه من قتلهم كونهم يقولون «لا إله إلا الله ، محمدا رسول الله» ، وقيامهم بشرائع الإسلام الأخرى لكونهم جحدوا ما تقتضيه كلمة التوحيد «لا إله إلا الله» من وجوب إفراد الله بجميع العبادات من دعاء وغيره.

الوجه الثالث: أن إنكار مشركي مكة للبعث ، وإنكار نبوة المصطفى ﷺ ، وغير ذلك من المسائل التي أنكروها ، لم تكن بمفردها أسباب الحكم عليهم بالكفر ، كما ظنه صاحب الشبهة ، بل كانت من جملة المكفرات التي وقعوا فيها ، ومن أعظم ما أنكروه ووقفوا ضده وحاربوا النبي ﷺ وجحدوا نبوته من أجله مسألة أن الله سبحانه هو وحده المستحق للعبادة دون ما سواه ، فهذا أشهر مُكَفِّر وقعوا فيه هم ومن قبلهم من الأمم ، كما قال الله عنهم ﴿أجعل الآلهة إلها واحدا﴾.

---

[1] «الدرر السنية من الأجوبة النجدية» (١/٥٢٣ – ٥٢٤).

[2] سُمُّوا بذلك نسبة لرأسهم عبد الله بن سبأ اليهودي ، فنُسِبوا إليه.

وهذا الأمر الذي جحدوه هو نفسه الأمر الذي جحده عباد القبور في زماننا ممن ينتسبون لدين الإسلام ، فهم يتوجهون لأصحاب القبور بألوان من العبادات ، من دعاء وذبح ونذر وغيره ، وينكرون على من أنكر عليهم ذلك وأمَرهم بالتوجه لله وحده وترك من سواه.

خلاصة

وخلاصة القول خمسة أمور:

١. أن ضابط الإسلام ليس مجرد قول «لا إله إلا الله» فحسب ، بل الضابط هو قولها والعمل بمقتضاها والاستمرار عليها وعدم الإتيان بما يناقضها ، فإن أتى بما يناقضها عالما ذاكرا قاصدا كَفَرَ عياذا بالله ، وصار كمن أحدث بعدما توضأ ، لأنه نقض شرطًا من شروط صحة «لا إله إلا الله» ، وإذا انتفى الشرط انتفى المشروط.

٢. على المؤمن ألا يغتر بعمله من صلاة وصيام وحج وغير ذلك إن كان يصرف شيئا من العبادات لغير الله ، فإنَّ صَرْفَ عبادة واحدة لغير الله ولو مرةً واحدة مؤدٍّ للوقوع في الشرك لا محالة ، ومِن ثمَّ حبوط جميع الأعمال.

٣. على المؤمن أن يخاف من الوقوع في الشرك ، والدعاء بالثبات على التوحيد ، كما كان إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، الذي كان يدعو ربه ويقول ﴿واجنبني وبني أن نعبد الأصنام﴾.
وكان الرسول ﷺ يكثر أن يقول: يا مقلب القلوب ، ثبت قلبي على دينك.[١]

٤. أن العلم بتحريم الشرك أمر معلوم من الدين بالضرورة ، وهو أشد ضرورة من العلم بتحريم الزنا والسرقة وشرب الخمر والربا ونحو ذلك.

٥. من ظن أن مجرد قول «لا إله إلا الله» لا يضر معه الشرك في العبادة ، كدعاء غير الله ؛ فهذا من أجهل الناس بمعنى «لا إله إلا الله» ، فقد قالها المنافقون كعبد الله بن أبي سلول ، ومع ذلك فإنه في الدرك الأسفل من النار ، لأنه قالها بلسانه ولم يعتقدها بقلبه وإن عَمِل بمقتضاها ظاهرا ، فمجرد القول باللسان لا ينفع ، لأن الإيمان قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالأركان.
وهكذا الذي يدعو البدوي أو الحسين أو ابن علوان أو العيدروس أو عبد القادر الجيلاني أو علي بن أبي طالب رضي الله عنه أو النبيَّ محمدًا ﷺ أو غيرهم ، ويطلب منهم المدد ويستغيث بهم وينذر لهم ؛ فهذا لا ينفعه قول «لا إله إلا الله» ولو قالها ألف مرة ، إلا أن يتوب من هذا ، ويجعل دعاءه لله وحده ؛ فعندئذ يتوب الله على من تاب ، لأن التوحيد يمحو ما قبله من الذنوب.

---

[١] رواه الترمذي (٢١٤٠) ، وأحمد (١١٢/٣) ، وهو في «صحيح الجامع» (٧٨٦٤).

وبهذا انتهى الجواب عن شبهة من قال: إن الذين يدعون أصحاب القبور يقولون: «لا إله إلا الله» فلماذا تُكَفِّرونهم؟!

الشبهة الخامسة: دعوى أن الشرك محصور بعبادة الأصنام

قال بعضهم: إن الشرك هو عبادة الأصنام فحسب ، أما دعاء الأنبياء والصالحين فليس بشرك!

والجواب: أن هذا القول باطل من خمسة وجوه:

الأول: أن الشِّرك في اللغة هو جعل الشيء شراكة بين اثنين ، فعلى هذا فمن دعا الله تارة وغيره تارة ؛ فقد جعل ذلك الغير شريكا مع الله ، شاء أم أبى.

قال الإمام محمد بن علي الشوكاني رحمه الله رادًّا على هذه الشبهة:

الشرك هو أن يَفعل لغير الله شيئًا يختص به سبحانه ، سواءً أُطلق على ذلك الغير ما كان تطلقه عليه الجاهلية ، أو أُطلق عليه اسما آخر ، فلا اعتبار بالاسم فقط ، ومن لم يعرف هذا فهو جاهل ، لا يستحق أن يخاطب بما يخاطب به أهل العلم.[1]

الوجه الثاني من وجوه بطلان شبهة من قال (**إن الشرك هو عبادة الأصنام فحسب**) ؛ أن الله صرح في القرآن بأن دعاء غيره شرك وكفر وضلال ، أيا كان ذلك المدعو ، والواجب على من قرأ ذلك أن يؤمن به ويصدقه وإلا كان كافرا بالقرآن عياذا بالله ، قال تعالى ﴿إن **تدعوهم** لا يسمعوا دعائكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون **بشرككم** ولا ينبئك مثل خبير﴾.

وقال تعالى ﴿ومن **أضل** ممن **يدعو** من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة﴾.

وقال تعالى ﴿وإذا ركبوا في الفلك **دعوا** الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم **يشركون**﴾.

وقال تعالى ﴿قل إنما **أدعو** ربي ولا **أشرك** به أحدا﴾.

وقد سمى الله من دعا غيره كافرا كما في قوله تعالى ﴿ومن **يدع** مع الله إلها آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح **الكافرون**﴾.

وقال تعالى ﴿حتى إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم قالوا أين ما كنتم **تدعون** من دون الله قالوا ضلوا عنا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا **كافرين**﴾.

فدلت هذه الآيات وغيرها على أن دعاء غير الله شرك ، أيا كان ذلك المدعو ، صنما أو ميتا أو غير ذلك.

---

[1] «الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد» ، ص ٧٠ .

الثالث: يقال لمن خصَّصَ الشرك بعبادة الأصنام: لو أن رجلا دعا الله وحده وأنزل به حاجته وسأله تضرعا وخفية ؛ فهل هذا موحد أم مشرك؟

فسيقول حتما: بل هو موحد.

فعندئذ قل له: لو أن هذا الرجل دعا نبيا أو رجلا صالحا وأنزل به حاجته فهل هذا موحد أم مشرك؟ فسيقول حتما: مشرك.

فعندئذ قل له: هذا هو المطلوب.

الوجه الرابع: يقال لمن زعم أن الشرك مخصوص بعبادة الأصنام وأن الالتجاء للصالحين ليس بشرك: كيف كانت عبادة الأصنام في الجاهلية؟

فسيقول: بدعائها والذبح لها.

فقل له: هذا هو فعلكم مع الأنبياء والصالحين ، أم أن دعاء الأصنام والذبح لها شرك ، ودعاء الصالحين والأنبياء والذبح لهم ليس بشرك؟!

الوجه الخامس والأخير: يقال لمن خصص الشرك بعبادة الأصنام: إن الكفار الذين بُعث فيهم النبي ﷺ ما كانوا كلهم يعبدون الأصنام ، بل كان منهم من يعبد الأنبياء ، ومنهم من كان يعبد الصالحين ، ومنهم من كان يعبد الملائكة ، ومنهم من كان يعبد الجن والشمس والقمر والنجوم والأشجار والأحجار ، فكَفَّرَهم رسول الله ﷺ كلهم ودعاهم إلى الإسلام ، فدل هذا على أن الشرك ليس محصورا بعبادة الأصنام فحسب ، بل الشرك هو عبادة غير الله ، أيا كان ذلك المعبود.

والدليل على أن من المشركين من كان يعبد الملائكة قوله تعالى ﴿ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون * قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون﴾.

والدليل على أن من الكفار من كان يعبد الجن قوله تعالى ﴿وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا﴾.

والدليل على أن من المشركين من كان يعبد الشمس والقمر قوله تعالى ﴿ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون﴾.

والدليل على أن من المشركين من كان يعبد النجوم قوله تعالى ﴿وأنه هو رب الشعرى﴾ ، قال الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي رحمه الله في تفسير هذه الآية:

«وهو النجم المعروف بالشِّعرى العبور المسماة بالمرزم ، وخصها الله بالذكر وإن كان هو رب كل شيء لأن هذا النجم مما عُبد في الجاهلية ، فأخبر تعالى أن جنس ما يعبد المشركون مربوب مدبر مخلوق ، فكيف يتخذ مع الله آلهة؟»[١]

والدليل على أن من المشركين من كان يعبد الأحجار والأشجار والصالحين قوله تعالى ﴿أفرأيتم اللات والعُزَّى * ومناة الثالثة الأخرى﴾ ، واللاَّتُّ قُرِئت بتشديد التاء ، وهو رجل كان يلُتُّ السويق[٢] للحجاج ، فلما مات عكفوا على قبره وغلو فيه حتى عبدوه وسموه اللات ، ذكره ابن جرير في تفسير الآية.

وقُرِئت اللاتُ بضم التاء وتخفيفها ، وهو بيت كان بـ «نخلة»[٣] ، وكانت تعبده قريش ، ذكره ابن جرير أيضا ورجحه رحمه الله.[٤]

أما العُزَّى فقيل شجيرات ، وقيل حجرٌ أبيض ، وقيل بيتٌ ، وكان صنما لقريش ومضر وكنانة ، وكان في «بطن نخلة» من ديار ثقيف ، وقد أرسل النبي ﷺ إليه خالد بن الوليد يوم فتح مكة فهدمه.[٥]

وأما مناةٌ فصنم بـ «المشلل» من ناحية «قديد» ، كان الأوس والخزرج يعظمونه في الجاهلية.[٦]

قال البيضاوي[٧] الشافعي رحمه الله: ومناة صخرة كانت لهذيل وخزاعة أو لثقيف ، وهي فِعلةٌ مِن مَناهُ إذا قطعه ، فإنهم كانوا يذبحون عندها القرابين ، ومنه «مِنى».[٨]

فحاصل الكلام هو دلالة القرآن على أن المشركين كانوا يعبدون الأشجار والأحجار والصالحين.

---

[١] «تيسير الكريم الرحمٰن في تفسير كلام المنان» ، تفسير سورة النجم.

[٢] السويقُ طعام يصنع من مدقوق الحنطة والشعير ، سمي بذلك لانسياقه في الحَلق ، واللَّتُّ هو الخلطُ بالماء أو السمن. انظر «المعجم الوسيط» و«تفسير غريب ما في الصحيحين» للحميدي.

[٣] «نخلة» موضع بين مكة والطائف.

[٤] انظر «تفسير الطبري» ، تفسير سورة النجم ، آية ١٩ .

[٥] انظر «سيرة ابن هشام» ، مسير خالد بن الوليد لهدم العزى ، و «الطبقات الكبرى» ، سرية خالد بن الوليد إلى العزى.

[٦] انظر «الطبقات الكبرى» ، سرية سعد بن زيد الأشهلي إلى مناة.

[٧] هو عبد الله بن عمر بن محمد بن علي ، أبو الخير ، ناصر الدين ، البيضاوي ، كان إماما علامة عارفا بالفقه والتفسير والأصلين والعربية ، نظارا صالحا متعبدا زاهدا شافعيا. انظر «طبقات المفسرين» للداوودي ، ص ١٧٣ ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

[٨] انظر «تفسير البيضاوي» ، تفسير سورة النجم ، آية ١٩ .

والدليل على أن من الكفار من كان يعبد الأنبياء قوله تعالى عن النصارى ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم﴾.

والدليل على أن من الكفار من كان يعبد الصالحين قوله تعالى ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا * أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذورا﴾[1].

وقد اختلفت أقاويل أهل التفسير في المقصودين بقوله ﴿قل ادعوا الذين زعمتم﴾ ، فذكر ابن جرير رحمه الله في تفسير الآية أن من المفسرين من قال إنهم الملائكة والمسيح وعزير ، كابن عباس رضي الله عنه ، وزاد في رواية: الشمس والقمر.

ومنهم من قال إنهم الجن ، كابن مسعود رضي الله عنه وقتادة.

ومنهم من خصهم بالملائكة كابن زيد.

وسواء هذا أو ذاك ، فمن قواعد التفسير أن العبرة بعموم اللفظ وليس بخصوص السبب ، فكل ما عُبد من دون الله فهو داخل في الآية ، سواء كان جمادا أو ملَكا أو بشرا ، نبيا كان أو غير نبي.

وقال شيخ الإسلام رحمه الله في الكلام على قوله تعالى ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دونه﴾ ، الآيتين ، لما ذكر أن من مفسري السلف من قال إنهم الملائكة ، ومنهم من قال إنهم من الإنس ، ومنهم من قال إنهم الجن ؛ قال:

«الآية هنا قُصِد بها التعميم لكل ما يُدعى من دون الله ، فكل من دعا ميتا أو غائبا من الأنبياء والصالحين سواء كان بلفظ الاستغاثة أو غيرها فقد تناولته هذه الآية كما تتناول من دعا الملائكة والجن ، ومعلوم أن هؤلاء يكونون وسائط فيما يُقَدِّره الله بأفعالهم[2] ، ومع هذا فقد نهى عن دعائهم ، وبين أنهم لا يملكون كشف الضر عن الداعين ولا تحويله تحويله ، لا يرفعونه بالكلية ولا يحولونه من موضع إلى موضع ، أو من حال إلى حال ، كتغيير صفته أو قدْره ، ولهذا قال ﴿ولا تحويلا﴾ ، فذكر نكرة[3] تعم أنواع التحويل».[4]

---

[1] سورة الإسراء ، الآيتين: ٥٦ – ٥٧ .

[2] أي أن للملائكة وظائف يقومون بها كما أمرهم الله بذلك ، فهم يفعلون ما يؤمرون كما جاء في القرآن ، ومن هذا المنطلق يعتبرون وسائط.

[3] أي: ذكر كلمة (تحويلا) منكَّرةً ، لتفيد العموم.

[4] «مجموع الفتاوى» (٢٢٦/١٥).

وقال الشيخ عبد الله أبابطين[1] رحمه الله معلقا على كلام ابن تيمية:

«وهذا ظاهر ، لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، والذين هم سبب النزول[2] غائبون ، وغائبهم أقرب من غائب الإنس كعُزير ومريم». [3] اهـ.

وقال الشيخ عبد الرحمٰن بن حسن[4] رحمه الله معلقا على قوله تعالى ﴿والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يُخلقون * أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون﴾:

«وليست هذه الآية في الأصنام كما يزعمه من لم يتدبر ، لأن (الذين) لا يُخبَرُ به إلا عن العقلاء ، ولأن الأصنام من الأخشاب والأحجار لا يحِلَّها الموت ، فإنها لم تحِلَّها الحياة حتى يحِلَّها الموت ، ولأنها لا تُبعث يوم القيامة بعثَ الإنسان ليجزى بما كسبت يداه ، ولا يُعقل منها شعور بهذا البعث حتى ينفيها الله عنها ، وقد قال تعالى ﴿وما يشعرون أيان يبعثون﴾ ، فهذه الآية فيمن يموت ويبعث كما لا يخفى على من تدبرها.

وتأمل قوله تعالى ﴿وما يشعرون أيان يبعثون﴾ ، وهذا إنما يُستعمل فيمن يعقل ، كما لا يخفى على من له معرفة باللغة العربية ، فالحمد لله على ظهور الحجة وبيان المحجة». [5]

---

[1] تقدم التعريف بالشيخ عبد الله في جزء التأصيلات من أول الكتاب.

[2] وهم الملائكة والجن.

[3] «تأسيس التقديس في كشف تلبيس داود بن جرجيس» ، ص ١٢٧ – ١٢٨ .

[4] تقدمت ترجمته.

[5] «كشف ما ألقاه إبليس من البهرج والتلبيس على قلب داود بن جرجيس» ، ص ٢٤ ، نقلا من كتاب «هذه مفاهيمنا» ، للشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ ، ص ٤٧ .

الشبهة السادسة: شبهة التجربة

قال بعضهم: إن دعاء الصالحين من دون الله أو مع الله سبب لإجابة الدعاء ، لكون التجربة قد أثبتت ذلك ، فإن بعض الناس قد أجيب دعاؤه لما دعا الصالحين!

والجواب على هذه الشبهة من ستة وجوه:

الوجه الأول: أن الكتاب والسنة لم يتركا خيرا إلا ودلا عليه ، ولا شرا إلا ونهيا عنه ، وقد خلق الله الأسباب الطيبة وأمر بتعاطيها ، وخلق الأسباب المضرة ونهى عن تعاطيها ، فالأدوية مثلا ؛ جعلها الله أسبابا للشفاء من الأمراض ، كما قال تعالى في العسل ﴿يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس﴾ ، كما جعل الله القرآن والعلم سببا للهداية ، قال تعالى ﴿ذلك الكتاب لا ريب **فيه هدى** للمتقين﴾ ، وهكذا غيرها من الأسباب الواردة في الكتاب والسنة لتحصيل الأمور ، أما دعاء الصالحين فلم يرد في الكتاب والسنة ما يدل على كونه سبب لإجابة الدعاء ، ولو كان سببا لورد الأمر به لزاما ، لأنه مما يَحتاج إليه الناس على الدوام ، كيف وقد جاء نص الشرع صريحا على بطلان اتخاذه سببا ، بل هو سبب للدخول في الشرك ، والخلود في نار جهنم عياذا بالله ، قال تعالى ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ البَاطِلُ﴾[1] .

وقال ﷺ : منْ مات وهو يدعُو من دون الله نداً دخلَ النار.[2]

الوجه الثاني: أن الله قد نص في كتابه على أنه لا يستجيب الدعاء إلا الله وحده ، فعلى هذا فلا يجوز أن يَعتقد أحد أنه جرب دعاء غير الله فاستجاب ذلك المدعو لدعاءه ، لأن هذا يستلزم تكذيب القرآن ، فقد جاء النص القرآني على أن الموتى لا يستجيبون للأحياء بشيء ، ومن لم يصدق بخبر القرآن فهو كافر ، فأي تجربة تنقض تقرير القرآن؟ قال تعالى ﴿والذين يدعون من دونه **لا يستجيبون لهم بشيء** إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه **وما دعاء الكافرين إلا في ضلال**﴾ ، وقال تعالى ﴿وما يستوي الأحياء ولا الأموات إن الله يسمع من يشاء **وما أنت بمسمع من في القبور**﴾ ، وقال تعالى ﴿**إن تدعوهم لا يسمعوا دعائكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم**﴾ ، وقال تعالى متحديا لهم ﴿إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم **فادعوهم فليستجيبوا لكم** إن كنتم صادقين﴾.

---

[1] سورة الحج: ٦٢ .

[2] رواه البخاري (٤٤٩٧).

فإن قيل: فما الحكمة في استجابة الله لدعاء ذلك المشرك مع أن الداعي لم يدع الله ابتداء؟

فالجواب: أن إجابة الله لدعاء ذاك الداعي كانت لحكمة بالغة ، وهي استدراج ذلك الداعي ليزداد في ضلاله عقوبة له على إعراضه عن دعاء الله ابتداءً ، وهذا الاستدراج من الله لأولئك الداعين مُشاهد ، فإنك ترى بعضهم يطلب من صاحب قبر أن يرزقه الولد ، فيرزقه الله الولد ، فيظن ذلك المشرك أن صاحب القبر هو الذي آتاه الولد ، أو كان سببا في ذلك ، فيزداد إيمانا به ، وتعلقه به ، وما يدري أن هذا من مكر الله به ، عقوبة له على إعراضه عن دعاء ربه ، وهذه سنة الله في عباده كما قال تعالى ﴿فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم﴾.

الوجه الثالث: أن الدعاء عبادة ، والعبادات لا تثبت بالتجربة أصلا ، بل بالدليل من كتاب الله أو من سنة رسوله ﷺ ، فمن أثبتَ صورةَ دعاءٍ بتجربةٍ لـم ترد في الشريعة فدعاؤه بدعي وليس بشرعي ، وعمله مردود عليه ، كما قال ﷺ : من أحدث في أمرنا هذا[1] ما ليس منه فهو رد.[2]

وفي رواية: من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد.[3]

قال العلامة الشوكاني رحمه الله:

«السُّنَّة لا تثبت بمجرد التجربة ، ولا يَخرج الفاعل للشيء معتقدا أنه سنة عن كونه مبتدعا ، **وقبول الدعاء لا يدل على أن سبب القبول ثابت عن رسول** ﷺ ، فقد يجيب الله الدعاء من غير التوسل بسبب وهو أرحم الراحمين ، **وقد تكون الاستجابة استدراجا**».[4]

وقال الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله:

«العبادات لا تؤخذ من التجارب ، سيما ما كان منها في أمر غيبي ، فلا يجوز الميل إلى تصحيحه[5] بالتجربة ، كيف وقد تمسك به بعضهم في جواز الاستغاثة بالموتى عند الشدائد ، وهو شِركٌ خالص ، والله المستعان». اهـ.[6]

---

[1] المقصود بالأمر هو الدين.

[2] رواه البخاري (٢٦٩٧) ، ومسلم (١٧١٨) عن عائشة رضي الله عنها.

[3] رواه مسلم (١٧١٨).

[4] «تحفة الذاكرين» ، ص ١٤٠ .

[5] يعني تصحيح حديث: «إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة فليناد: (يا عباد الله احبسوا علي ، يا عباد الله احبسوا علي) ، فإن لله في الأرض حاضرا سيحبسه عليكم» ، وسيأتي الكلام على هذا الحديث في ثنايا الجواب عن الشبهة الثامنة من هذا الكتاب إن شاء الله.

[6] «السلسلة الضعيفة» (١٠٩/٢).

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: العبادات لا تقاس براحة النفس ، أي لا تثبت بهذا ، فإنَّ الإنسان قد يرتاح لأمور بدعية شركية قد تخرجه من الإسلام وهو يرتاح لها لأن الله يقول ﴿أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء﴾ .. ينبغي للإنسان إذا تذوق عملا من الأعمال وارتاح له نفسيا أن يعرض هذا العمل على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، فإن كان موافقا لها فليحمد الله ، وإن كان غير موافق فإن عليه أن يعالج قلبه لأن في قلبه مرضا حيث يرتاح لما ليس بمشروع. انتهى مختصرا من «فتاوى نور على الدرب».

فالحاصل أن الدعاء وغيره من العبادات لا تثبت بالتجارب والأقيسة والعقول والأذواق ، بل بالنص الصريح من كتاب الله أو من سنة رسوله ﷺ الثابتة عنه ، فما وافقهما وجب الأخذ به ، وما خالفهما وجب نبذه والبراءة منه.

الوجه الرابع: أن بعض الناس قد يدعو بأدعية محرمة باتفاق المسلمين ويحصل له المقصود ، أليس هذا دليلا واضحا على بطلان الاحتجاج بالتجربة على جواز دعاء غير الله ، ومن ذلك أن هناك من يدعو الكواكب ويستجيب الله دعاءهم ، وبعض الناس يدعون الأوثان والكنائس والتماثيل التي في الكنائس ويحصل لهم غرضهم ، وهذا من استدراج الله لهم ليزدادوا إثما على إثمهم جزاء لهم على إعراضهم ابتداء.

قال ابن تيمية رحمه الله: ومن هذا الباب من قد يدعو دعاء يعتدي فيه ، إما بطلبِ ما لا يصلُح ، أو بالدعاء الذي فيه معصية الله ، شركٌ أو غيره ، فإذا حصل بعض غرضه ظن أن ذلك دليل على أن عمله صالح ، بمنزلة من أُملي له وأُمِدَّ بالمال والبنين ، يظن أن ذلك مسارعة له في الخيرات ، قال تعالى ﴿أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين * نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون﴾ ، وقال تعالى ﴿فلما نسوا ما ذُكِّروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون﴾ ، وقال تعالى ﴿ولا يحسبن الذين كفروا أن ما نملي لهم خير لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثما ولهم عذاب مهين﴾ ، والإملاء إطالة العمر وما في ضمنه من رزق ونصر ، وقال تعالى ﴿فذرني ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لا يعلمون * وأملي لهم إن كيدي متين﴾».[1] انتهى كلامه رحمه الله.

وقلت: وكذلك جميع المحرمات من شرب الخمر والفواحش والظلم قد يحصل باستعمالها بعض المنافع ، ومع هذا فهي غير جائزة في الشريعة ، فكذلك دعاء غير الله ، قد يُستجاب لفاعله مع أنه شرك أكبر لا يرضاه الله سبحانه وتعالى ، فهذا أصلٌ يجب اعتباره ، وهو أنَّ تَرَتُّبَ بعض المصالح على فعلٍ ما لا يدل على جواز فِعله شرعا.

وقال أيضا رحمه الله:

---

[1] «اقتضاء الصراط المستقيم» (٢/٧٩٠-٧٩١).

«ليس كل ما كان سبباً كونياً يجوز تعاطيه ، فإنَّ قتل المسافر قد يكون سبباً لأخذ ماله وكلاهما محرم ، والدخول في دين النصارى قد يكون سبباً لما يعطُونه وهو محرم ، وشهادة الزور قد تكون سبباً لما يؤخذ من المشهود له وهو حرام ، والكثير من الفواحش والظلم قد يكون سبباً لنيل مطالب وهو محرم ، والسحر والكهانة سبب في بعض المطالب وهو محرم ، **وكذلك الشرك – مثل دعوة الكواكب والشياطين وعبادة البشر – قد يكون سبباً لبعض المطالب وهو محرم** ، فإن الله تعالى حرَّم من الأسباب ما كانت مفسدته راجحة على مصلحته ، **وإن كان يحصل به بعض الأغراض أحياناً** ، وهذا المقام مما يظهر به ضلال هؤلاء المشركين خَلقاً وأمراً ، فإنهم مطالَبون بالأدلة الشرعية على أن الله شرع لخلقه أن يسألوا ميتاً أو غائباً ، أو يستغيثوا به ، سواء كان ذلك عند قبره أو لم يكن عند قبره ، وهم لا يقدرون على ذلك.

بل نقول: سؤال الميت والغائب – نبياً كان أو غيره – من المحرمات المنكرة **باتفاق أئمة المسلمين** ، لم يأمر الله به ولا رسوله ، ولا فعله أحد من الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان ، ولا استحسنه أحد من أئمة المسلمين ، **وهذا مما يُعلم بالاضطرار من دين المسلمين** ، فإن أحداً منهم ما كان يقول إذا نزلت به تِرةٌ[1] أو عرضت له حاجة لميت: (يا سيدي فلان أنا في حسبُك) ، أو (اقض حاجتي) ، كما يقول بعض هؤلاء المشركين لمن يدعونهم من الموتى والغائبين ، ولا أحداً من الصحابة استغاث بالنبي ﷺ بعد موته ، ولا بغيره من الأنبياء ، لا عند قبورهم ولا إذا بَعُدوا عنها ، وقد كانوا يقفون تلك المواقف العظام في مقابلة المشركين في القتال ، ويشتد البأس بهم ويظنون الظنون ، ومع هذا لم يستغث أحد منهم بِنبِيٍّ ولا غيره من المخلوقين ، بل ولا أقسموا بمخلوق على الله أصلاً ، ولا كانوا يقصدون الدعاء عند قبور الأنبياء ، ولا الصلاة عندها».[2]

الوجه الخامس: يقال لمن احتج بالتجربة على جواز دعاء غير الله: إن الوهم النفسي قد يؤثر في مثل هذه الحالات ، كأن يظن الإنسان أن دواء علته في دواء ما ، فإذا تناوله انفرجت أسارير نفسه واطمئنت ، بينما هذا الذي تناوله ليس بدواء أصلا ، بل هو شيء عادي كان يتوهمه دواء.

---

[1] تِرةٌ أي نقصٌ.

[2] «الاستغاثة في الرد على البكري» ، ص ٣٣٠ – ٣٣٢ .

فكذلك دعاء غير الله ، يفعله بعض الناس لأجل الشفاء مثلا من مرض قد ألـمَّ به بسبب تأثيرٍ شيطانيٍّ عليه ، فإذا دعا ميتا – مثلا – انكشف عنه التأثير الشيطاني فيرتاح ، فيظن أن ذاك الميت قد استجاب دعاءه ، بينما هو لم يكن مريضا أصلا ، وإنما الشيطان يوهمه بذلك.

وقد روى الطبراني عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه رأى في عنق امرأة من أهله سَيرًا فيه تمائم ، فمدَّه مدًّا شديدا حتى قطع السَّير ، وقال: (إن آل عبد الله لأغنياء عن الشرك) ، ثم قال: إن التِّولة[1] والتمائم[2] والرُّقى[3] لشرك.

فقالت امرأةٌ: إن أحدنا ليشتكي رأسها فيسترقي ، فإذا استرقت ظُنَّ أن ذلكَ قد نفعها.

فقال عبد الله: إن الشيطان يأتي أحدكم فيخُشُّ[4] في رأسها ، فإذا اسْتَرْقَت خَنَسَ[5] ، فإذا لم تسترق نخس[6] ، فلو أن إحداكن تدعو بماء فتنضحه في رأسها ووجهها ثم تقول: بسم الله الرحمٰن الرحيم ، ثم تقرأ ﴿قل هو الله أحد﴾ ، و ﴿قل أعوذ برب الفلق﴾ ، و ﴿قل أعوذ برب الناس﴾ ؛ نفعها ذلك إن شاء الله.[7]

يستفاد من هذا الأثر عن ابن مسعود بيان دور الشيطان في إحداث نخسٍ ونحوه في جسم الإنسان ليظن أن ما يتعاطاه من أدوية شركية في مكان النخس أنه سبب للشفاء.

قال الشيخ محمد عارف خوقير المكي[8] رحمه الله:

«وهنا نكتة طبية ؛ وهي أن الوهم أكبر عامل في الإنسان ، وهو عند ظنه بنفسه ، فمتى تخيل المريض أن شفاءه يكون في الشيء الفلاني ؛ انصرفت نفسه إليه وانفتحت مسامُّهُ لتلقيه بأدنى مناسبة ، وانبعث دمه في جسمه لذلك ، وربما كان الوهم قاضيا على الصحيح كما هو مشاهد في أيام الوباء».[9]

---

[1] التولة هي ما يُحبب المرأة إلى زوجها من السحر وغيره. انظر «النهاية».

[2] التمائم جمع تميمة ، وهي خرزات كانت العرب تعلقها على أولادهم يتقون بها العين في زعمهم ، فأبطلها الإسلام ، لأن فيها تعلقا بغير الله ، واعتقاد أن لها تأثيرا كونيا. انظر «النهاية».

[3] الرقى تنقسم إلى نوعين ، رقى شرعية بقراءة القرآن والأدعية النبوية ، ورقى شركية ، وهي ما كان بطلاسم وأمور غريبة لا يعرفها الواقف عليها.

[4] الخش هو الطعن. انظر «لسان العرب».

[5] خنس أي انقبض وتأخر وضعف تأثيره. انظر «النهاية»

[6] النخس هو الغرز بعود ونحوه ، والمقصود هنا هو غرز الشيطان في عين زوجة ابن مسعود ، ليوهمها أن بها مرضا في عينها.

[7] «المعجم الكبير» (١٧٤/٩) ، وانظر «الصحيحة» (٢٩٧٢).

[8] الشيخ محمد من علماء الحجاز ، دافع عن التوحيد في بلاد الحجاز أيام الدولة العثمانية ، وردَّ على بعض من أثار بعض الشبهات المتعلقة بالتوسل والاستغاثة ، من أحاديث موضوعة وحكايات ومنامات وغيرها ، توفي سنة ١٣٤٩ هجري ، رحمه الله رحمة واسعة.

[9] «فصل المقال في توسل الجهال» ، ص ١١٩ .

وتأمل أيها القارئ الكريم هذه القصة العجيبة التي ذكرها ابن تيمية رحمه الله ، حيث قال:

«كان بالبلد جماعة كثيرون ، يَظنون بالعُبيديين أنهم أولياء الله صالحون ، فلما ذكرت لهم أن هؤلاء كانوا منافقين زنادقة ، وخيارُ من فيهم الرافضة ؛ جعلوا يتعجبون ويقولون: نحن نذهب بالفَرَسِ التي بها «مَغْـل»[1] إلى قبورهم فتُشفى فتُشفى عند قبورهم.

فقلت لهم: هذا من أعظم الأدلة على كفرهم ، وطلبتُ طائفة من سُيَّاس[2] الخيل ، فقلت: أنتم بالشام ومصر إذا أصاب الخيل «المغل» أين تذهبون بها؟

فقالوا: في الشام يُذهب بها إلى قبور اليهود والنصارى ، وإذا كنا في أرض الشمال يُذهب بها إلى القبور التي ببلاد الإسماعيلية[3] ، وأما في مصر فيذهب بها إلى دَيرٍ[4] هناك للنصارى ، ونذهب بها إلى قبور هؤلاء الأشراف ، وهم يظنون يظنون أن العبيديين شرفاء ، لِما أظهروا أنهم من أهل البيت.

فقلت: هل يذهبون بها إلى قبور صالحي المسلمين ، مثل قبر الليث بن سعد والشافعي وابن القاسم وغير هؤلاء؟

فقالوا: لا.

فقلت لأولئك: اسمعوا ، إنما يَذهبون بها إلى قبور الكفار والمنافقين ، وبينت لهم سبب ذلك ، قلت: (**لأن هؤلاء يعذبون في قبورهم ، والبهائم يسمعون أصواتهم ، كما ثبت في ذلك الحديث الصحيح ، فإذا سمِعت ذلك فزِعت ، فبسبب الرعب الذي حصل لها ؛ تنحل بطونها فتُروِّث ، فإن الفزع يقتضي الإسهال**) ، **فيَعجبون من ذلك** ، وهذا المعنى كثيرا ما كنت أذكره للناس ، ولا أعلم أن أحدا قاله ، ثم وجدته قد ذكره بعض العلماء».[5]

الوجه السادس: يقال لمن احتج بالتجربة على جواز دعاء غير الله: إن من أعظم مكائد الشياطين لمن دعا صاحب القبر أن يخبره ذلك الشيطان عن مكان ضالته ، لأنه إن فعل ذلك أجابه شيطان عن مكانها ، فيظن الداعي أن ذلك المقبور هو الذي أجابه ، فيؤمن بصحة دعاء ذلك المقبور ، وما علِم المسكين أن الشياطين قد أعطاها الله قدرة

---

[1] مَغَلَت الدابة أي أكلت التراب مع البقل ، فأخذها وجع في بطنها. انظر «المعجم الوسيط».

[2] هم الذين يقومون عليها ويُرَوِّضونها ، من ساس يسوس سَوسًا. ينظر «لسان العرب».

[3] الإسماعيلية فرقة باطنية ضالة ، متفرعة من فرق الشيعة ، يراجع كتاب «دراسات منهجية لبعض فرق الرافضة والباطنية» ، للدكتور عبد القادر بن محمد عطا صوفي ، الناشر: دار أضواء السلف – الرياض.

[4] دَير النصارى هو خان النصارى ، وهو الفندق والمتجر والحانوت. انظر «المعجم الوسيط» و «لسان العرب».

[5] «الاستغاثة في الرد على البكري» ، (٢/٥٠٠ – ٥٠٣) ، باختصار يسير.

عظيمة على التنقل بسرعة والبحث في الأرض ، فإذا طلب الداعي من صاحب القبر أن يدله على مكان ضالة – مثلا – جال ذلك الشيطان في الأرض ، فإذا عرف مكان الضالة أخبره بها ، فظن أن الذي أخبر بمكان الضالة هو صاحب ذلك القبر ، بل وتيقن أن **دعاءه صحيحٌ** ، ، فيستمر على ذلك ويزداد تعلقه به ، ويجيئه كلما احتاج إلى شيء ، وهكذا ، لأن صاحب الحاجة أعمى ، لا يهمه إلا قضاء حاجته.

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: «وأعرف من يستغيث برجال أحياء ، فيتصورون له ويدفعون عنه ما كان يحذر ، ويحصل له ما كان يطلب ، والأحياء الذين استغاث بهم لا يشعرون بشيء من ذلك ، وإنما هي شياطين تمثلت على صورِهم لتُضِلَّ ذلك الداعي المشرك ، كما كانت الإنس تستعيذ بالجن ، فكانت رؤساء الجن تُعيذهم من سفهائهم لفرحهم باستعاذة الإنس[1] ، قال تعالى ﴿وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا﴾.

والذين يسجدون للشمس والقمر والكواكب ويدعونها تتنزل عليهم أرواح من الجن ، وتقضي لهم كثيرا من حوائجهم ، ويسمونها روحانية ذلك الكوكب ، **وهو شيطان**.

ومن الشياطين من يطير بصاحبه من الإنس في الهواء وينقله إلى بيت المقدس ، ومن جبل الصالحين إلى مكان بعيد ، ويرقى به في الهواء ويضعه على رأس السِّنان[2]، ويدخل به النار فيمنعه حرها.

فالسعادة والنجاة في الاعتصام بالكتاب والسنة ، واتِّباع ما شُرع كما شُرع ، **والدعاء من أجلِّ العبادات ، فينبغي للإنسان أن يلزم الأدعية المشروعة** ، فإن هذا هو الصراط المستقيم ، والله تعالى يوفقنا وسائر إخواننا المؤمنين».[3]

وقال أيضا: «وأعرف من ذلك وقائع كثيرة ، في أقوام استغاثوا بي وبغيري في حال غيبتنا عنهم ، فرأوني أو ذاك الآخر الذي استغاثوا به قد جئنا في الهواء ورُفِعنا عنهم ، ولما حدثوني بذلك بينت لهم أن ذلك إنما هو شيطان تصوَّر بصورتي وصورة غيري من الشيوخ الذين استغاثوا بهم ليظنوا أن ذلك كرامات للشيخ ، **فتقوى عزائمهم في الاستغاثة بالشيوخ الغائبين والميتين ، وهذا من أكبر الأسباب التي بها أشرك المشركون وعبدة الأوثان**».[4]

وقال أيضا رحمه الله في معرض كلامه عن تلبيس الشياطين على بني آدم:

---

[1] أي استعاذة الإنس بالجن.

[2] أي السيف.

[3] «تلخيص كتاب الاستغاثة في الرد على البكري» (١٦٩/١ – ١٧٠).

[4] «قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة» ، ص ٣٠١ .

«فإن الشياطين قد تخاطبهم وتُعينهم على أشياء وقد يعتقدون أنهم يعبدون الملائكة وإن كانوا في الحقيقة إنما يعبدون الجن ، فإن الجن هم الذين يعينونهم ويرضون بشركهم ، قال تعالى ﴿ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون * قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون﴾ ، والملائكة لا تعينهم على الشرك لا في المحيا ولا في الممات ، ولا يرضون بذلك ، ولكن الشياطين قد تعينهم وتتصور لهم في صور الآدميين فيرونهم بأعينهم ويقول أحدهم: أنا إبراهيم ، أنا المسيح ، أنا محمد ، أنا الخضر ، أنا أبو بكر ، أنا عمر ، أنا عثمان ، أنا علي ، أنا الشيخ فلان.

وقد يقول بعضهم عن بعض: هذا هو النبي فلان ، أو هذا هو الخضر ، ويكون أولئك كلُّهم جِنًّا يشهد بعضهم لبعض ، والجن كالإنس فمنهم الكافر ومنهم الفاسق ومنهم العاصي ، وفيهم العابد الجاهل ، ومنهم من يُحِب شيخا فيتزيَّا[1] في صورته ، ويقول (أنا فلان) ويكون ذلك في بريةٍ ومكانٍ قَفْرٍ ، فيُطعِمُ ذلك الشخص طعاما ويسقيه شرابا أو يدله على الطريق أو يخبره ببعض الأمور الواقعة الغائبة ، فيظن ذلك الرجل أن نفس الشيخ الميت أو الحي فعل ذلك ، وقد يقول: (هذا سِرُّ الشيخ وهذه رقيقته وهذه حقيقته) ، أو: (هذا ملَكٌ جاء على صورته) ، وإنما يكون ذلك جنيا ، فإن الملائكة لا تعين على الشرك والإفك والإثم والعدوان».[2]

وقال رحمه الله أيضا: «ولا ريب أن الأوثان يحصل عندها من الشياطين وخطابهم وتصرفهم ما هو من أسباب ضلال بني آدم ، **وجَعْلِ القبور أوثانا هو أول الشرك** ، ولهذا يحصل عند القبور لبعض الناس من خطابٍ يسمعه وشخصٍ يراه وتصرفٍ عجيبٍ ما يظن أنه من الميت ، وقد يكون من الجن والشياطين ، مثل أن يرى القبر قد انشق وخرج منه الميت وكلمه وعانقه ، **وهذا يُرى عند قبور الأنبياء وغيرهم وإنما هو شيطان ، فإن الشيطان يتصور بصور الإنس ويدَّعي أحدهم أنه النبي فلان أو الشيخ فلان ، ويكون كاذبا في ذلك**».[3]

قلت: وقد ثبت أن الشياطين تَحِلُّ في الأصنام التي تُعبد من دون الله وتُخاطب من يعبدونها من الإنس لتغويهم ، فقد روى أبو يعلى بسنده عن أبي الطفيل قال: لما فتح رسول الله ﷺ مكة بعث خالد بن الوليد إلى «نخلةٍ»[4] ،

---

[1] أي: ينتحل زِيَّهُ وصورته ، ومن المعلوم أن الشياطين قد أعطاها الله قدرة على التصوُّر بغير صورتها.

[2] «مجموع الفتاوى» (١/١٥٧-١٥٨).

[3] «مجموع الفتاوى» (١/١٦٨).

[4] «نخلة» موضع بين مكة والطائف.

وكانت بها «العُزَّى»[1] ، فأتاها خالد بن الوليد وكانت على تِلال السَّمُرات[2] ، فقطع السَّمُرات ، وهدم البيت الذي كان عليها ، ثم أتى النبي ﷺ فأخبره فقال: ارجع فإنك لم تصنع (شيئا) [3].

فرجع خالد ، فلما نظَرَت إليه السَّدنة – وهم حجَّابُها – أمعَنوا[4] في الجبل وهم يقولون: «يا عُزَّى خبِّليه ، يا عُزَّى عَوِّريه[5] ، وإلا فموتي بِرَغْمٍ[6]».

قال: فأتاها خالد ، فإذا امرأة عُريانةٌ ناشِرةٌ[7] شَعرها ، تحثو التراب على رأسِها ، فعمَّمها بالسيف[8] حتى قتلها ، ثم رجع إلى النبي ﷺ فأخبره فقال: «تلك العُزَّى».[9]

فالشاهد من هذا أن الجنية كانت تسكن العزى.

ويكفي في هذا ما رواه عبد الله بن أحمد في زوائده على مسند أبيه[10] عن أبي بن كعب في تفسير قوله تعالى ﴿إن يدعون من دونه إلا إناثا﴾ قال: مع كل صنم جنية.

قال ابن أبي حاتم: ورُوِي عن الحسن نحو ذلك.[11]

فصل هام

بَيَّن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله الطريقة الصحيحة لمن أراد أن يمتحن أولئك الشياطين الذين يخاطبون الناس من جوار المقابر وغيرها من الأماكن لِيُعلم هل هي شياطين أم لا ، قال رحمه الله:

---

[1] «العُزَّى» هي الصنم المعروف ، وهي شجرة عليها بناء كانت قريش تعظمها وتعبدها ،كما قال أبو سفيان يوم أحُد: «لنا العزَّى ولا عزَّى لكم» ، وقد جاء ذكر هذا الصنم في سورة النجم في قوله تعالى ﴿أفرءيتم اللات والعزَّى﴾.

[2] السَّمُرات جمع سَمُرة وهي نوع من الشجر ، وقوله «تِلال السمرات» أي الروابي التي تقع عليها السمرات. انظر «لسان العرب» ، مادة «التل».

[3] ما بين القوسين جاء في رواية النسائي.

[4] أمعَنوا في الجبل أي توغَّلوا فيه. انظر «النهاية».

[5] التعْوِير هو الرد ، أي رُدّيه عن حاجته. انظر «لسان العرب» مادة «عور».

[6] الرَّغم هو الهوان والذل ، أي موتي ذليلة. انظر «لسان العرب» مادة «رغم».

[7] ناشرةٌ شعرها أي مُرسِلتُهُ ، وهو ضِد جمعِه أو تجدِيله.

[8] أي علاها بالسيف.

[9] رواه أبو يعلى في «مسنده» (٩٠٢) ، والنسائي في «الكبرى» (١١٤٨٣) ، واللفظ لأبي يعلى ، وصحح إسناده محققه حسين سليم أسد.

[10] (١٣٥/٥) ، وحسن إسناده محققو «المسند».

[11] انظر «تفسير ابن أبي حاتم» (١٠٦٧/٤) لآية النساء: ١١٧.

«والمؤمن العظيم يعلم أنه شيطان ويتبين ذلك بأمور:

(أحدها) أن يقرأ آية الكرسي بصدق ، فإذا قرأها تغيب ذلك الشخص أو ساخ في الأرض أو احتجب ، ولو كان رجلا صالحا أو ملَكا أو جنيا مؤمنا لم تضره آية الكرسي وإنما تضر الشياطين ، كما ثبت في الصحيح من حديث أبي هريرة لما قال له الجني: اقرأ آية الكرسي إذا أويت إلى فِراشك ، فإنه لا يزال عليك من الله حافِظٌ ، ولا يقرَبَكَ شيطان حتى تصبح.

فقال النبي ﷺ : صدقك وهو كذوب.[1]

ومنها أن يستعيذ بالله من الشياطين ، ومنها أن يستعيذ بالعِوَذِ الشرعية ، فإن الشياطين كانت تعرض للأنبياء في حياتهم وتريد أن تؤذيهم وتفسد عبادتهم ، وثبت في الصحيحين عن أبي هريرة أنه قال: قال رسول الله ﷺ :

«إن عفريتا من الجن جعل يفتِكُ[2] عليَّ البارحة ليقطَع عليَّ الصلاة ، وإن الله أمكنني منه فذعَتُّه[3] ، فلقد هممتُ أن أربطهُ إلى جنبِ سارية[4] من سواري المسجد حتى تُصبحوا تنظرون إليه أجمعون – أو كلكم – ، ثم ذكرت قول أخي سليمان ﴿رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي﴾ ، فرده الله تعالى خاسئا».[5]

فإذا كانت الشياطين تأتي الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لتؤذيهم وتفسد عبادتهم فيدفعهم الله تعالى بما يؤيد به الأنبياء من الدعاء والذكر والعبادة ، ومن الجهاد باليد ؛ فكيف من هو دون الأنبياء؟

فالنبي ﷺ قمع شياطين الإنس والجن بما أيده الله تعالى من أنواع العلوم والأعمال ، ومن أعظمها الصلاة والجهاد ، وأكثر أحاديث النبي ﷺ في الصلاة والجهاد ، فمن كان متبعا للأنبياء نصره الله سبحانه بما نصر به الأنبياء.

وأما من ابتدع دينا لم يشرَعوه فترك ما أمروا به من عبادة الله وحده لا شريك له ، واتباع نبيه فيما شرعه لأمته ، وابتدع الغلو في الأنبياء والصالحين والشرك بهم ؛ **فإن هذا تتلاعب به الشياطين** ، قال تعالى ﴿إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون * إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون﴾ ، وقال تعالى ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين﴾.

---

[1] رواه البخاري (٢٣١١).

[2] يفتِكُ عليَّ أي يُغيرُ عليَّ وأنا غافل. انظر «النهاية».

[3] أي خنقته.

[4] سارية أي عمود.

[5] رواه البخاري (٤٦١) (١٢١٠) ، ومسلم (٥٤١) واللفظ له ، وغيرهما.

ومنها أن يدعو الرائي بذلك ربَّه تبارك وتعالى ليُبيِّن له الحال.[1]

ومنها أن يقول لذلك الشخص: ءأنت فلان؟ ويُقسم عليه بالأقسام المعظَّمة ويقرأ عليه قوارع[2] القرآن ، إلى غير ذلك من الأسباب التي تضر الشياطين».[3] انتهى كلامه رحمه الله.

فالمبصر حالُهُ كحال ذلك المؤمن الذي خرج للدجال ، مبصرا سِرَّ خوارقه ، عارفا حقيقة أمره ، موقنا بوعد ربه وخبر نبيه ﷺ ، ليس في ريبة من شيء قد أتى به رسوله ﷺ ، فيخرج له الدجال ، حتى إذا بدا له الدجال قال للناس: يا أيها الناس ، هذا الدجال الذي ذكر رسول الله ﷺ ، فيأمر الدجال به فيُشْبَح ، أي يُمدُّ في الشمس على الرمضاء ليعذب ، فيقول: (خذوه وشُجُّوه[4]) ، فيوسَعُ ظهرهُ وبطنهُ ضربا ، ثم يقول الدجال: أَوَما تؤمن بي؟

فيقول: أنت المسيح الكذاب.

فيأمر به فيؤشر بالمئشار[5] من مِفرقه حتى يُفرِّق بين رجليه ، ثم يمشي الدجال بين القطعتين ، ثم يقول له: (قُم) ، فيستوي قائما ، ثم يقول له: أتؤمن بي؟

فيقول: ما ازددت فيك إلا بصيرة ، ثم يقول: يا أيها الناس ، إنه لا يَفعل بعدي بأحد من الناس.

فيأخذه الدجال ليذبحه ، فيجعل ما بين رقبته إلى تُرقُوَته[6] نحاسًا فلا يستطيع إليه سبيلا ، فيأخذ بيديه ورجليه فيقذف فيقذف به ، فيحسب الناس أنما قذفه إلى النار ، وإنما ألقي في الجنة.

فقال رسول الله ﷺ : هذا أعظم الناس شهادة عند رب العالمين.[7]

---

[1] أي يدعو الله أن يبين له حقيقة الحال.

[2] أي الآيات التي تهلك الشيطان وتدهاه وتُضعفه ،كآية الكرسي والمعوذات ونحوها. انظر «النهاية».

[3] «مجموع الفتاوى» (١/١٦٨-١٧١).

[4] الشَّج هو الضرب بشيء ليجرحه ويشقه. انظر «النهاية».

[5] المئشار هو المنشار ، وأشَّر أي نشر. انظر «النهاية».

[6] التُّرقوة هي العظم الذي بين ثغرة النحر إلى العاتق ، والعاتق هو موضع الرداء من المنكب. انظر «النهاية» و «مختار الصحاح».

[7] رواه البخاري في «صحيحه» (١٨٨٢) ومسلم (٢٩٣٨) ، واللفظ له ، وقد نقلت هذه الفائدة العلمية من كتاب «مجانبة أهل الثبور ، المصلين في المشاهد وعند القبور» ، للشيخ عبد العزيز بن فيصل الراجحي.

الشبهة السابعة: شبهة تقليد العلماء

قال بعض الناس: إن بعض العلماء لا ينكرون على من يَدعون غير الله ، بل ربما حَثُّوا على ذلك ودعوا إليه ، أليس هذا مسوغا لجواز دعاء غير الله؟!

والجواب أن هذا ليس بمسوِّغ إطلاقا ، وبيان ذلك من خمسة وجوه[1] :

الوجه الأول: أن الله افترض علينا طاعته وطاعة رسوله ﷺ ، ولم يجعل لغيرهما طاعة مستقلة إلا فيما وافق الشرع ، قال تعالى ﴿اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون﴾ ، وقال تعالى ﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا﴾ ، فهذا دليل قاطع على أنه يجب رد ما تنازع فيه الناس من أمور الدين – أصوله وفروعه – إلى الله ورسوله ، لا إلى غير الله ورسوله ، فمن أحال على غيرهما فقد ضادَّ الله في أمره.

وتأمل قوله تعالى ﴿إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ ، فهذا شرط ينتفي المشروط بانتفائه ، أي أن من حكَّم غير الله ورسوله في موارد النزاع ؛ كان خارجاً عن مقتضى الإيمان بالله واليوم الآخر.

وقد اتفق السلف والخلف على أن الرد إلى الله هو الرد إلى كتابه ، والرد إلى الرسول هو الرد إلى سنته بعد وفاته.

ثم قال تعالى ﴿ذلك خير وأحسن تأويلاً﴾ ، أي هذا الرد الذي أمرتكم به إلى الله والرسول خيرٌ لكم في معاشكم ومعادكم ، وهو سعادتكم في الدارين ، وخير لكم وأحسن عاقبةً ، وسبب السعادة عاجلاً وآجلاً.

وهذه قاعدة عظيمة مهمة يحتاج إليها كل أحد ، وطالب العلم إليها أحوج ، فإنه في غالب الأحوال يرى الطالبُ علماءَ بلده يفتون الناس بأمور مخالفة للشريعة ، إما جهلا بالأدلة ، أو تقليدا لمن قبلهم ، أو يرى نصوص أهل مذهبه قد خالفت نصوص غيرهم من أهل المذاهب ، أو غير ذلك من الأسباب ، فعندئذ يجب عليه أن يعرض نصوص مذهبه ونصوص غيرهم من أهل المذاهب على ما جاء عن الله ورسوله ، فما وافقها قبِله ، وما خالفها رده على قائله كائناً من كان ، فيجعل ما جاء عن الله ورسوله هو المعيار ، ويدور معه حيث دار ، وكثير من الناس أو أكثرهم نكَّس

---

[1] للأمانة العلمية ونسبة العلم لأهله ؛ فقد استفدت للإجابة عن هذه الشبهة من كتاب «النبذة الشريفة النفيسة في الرد على القبوريين» ، ص ١٤٢ – ١٤٤ ، للشيخ حمد بن ناصر آل معمر رحمه الله ، وأضفت عليها ما يسر الله إضافته ، والكتاب قد قام بتحقيقه الشيخ عبد السلام بن برجس آل عبد الكريم رحمه الله ، الناشر: دار العاصمة – الرياض.

والشيخ حمد من أبرز تلاميذ إمام الدعوة النجدية الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهما الله تعالى ، وستأتي ترجمته في ثنايا الجواب عن الشبهة الثامنة.

هذا الحكم على رأسه ، وجعل الحكم للكتب التي صنفها المتأخرون ، ﴿فتقطعوا أمرهم بينهم زبراً كل حزب بما لديهم فرحون﴾.

وقد جاء عن أئمة المذاهب الأربعة وغيرهم ما يدل على وجوب الرجوع إلى الكتاب والسنة ، وتحريم تقديم أقوال أهل العلم عليهما كائنا مَن كانوا ، وهذه طائفة من أقوالهم ، وقد نقلت عامتها مع تخاريجها من مقدمة كتاب «صفة صلاة النبي ﷺ »[1] للشيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله.

أبو حنيفة النعمان رحمه الله

قال رحمه الله: إذا صح الحديث فهو مذهبي.[2]

وقال: لا يحل لأحد أن يأخذ بقولنا ما لم يعلم من أين أخذناه.[3]

وفي رواية: حرام على من لم يعرف دليلي أن يُفتي بكلامي.

وزاد في رواية: فإننا بشر ، نقول القول اليوم ، ونرجع عنه غدًا.

وفي رواية أخرى: ويحك يا يعقوب[4] ، لا تكتب كل ما تسمع مني ، فإني قد أرى الرأي اليوم وأتركه غداً ، وأرى الرأي غدًا وأتركه بعد غد.

علق الألباني رحمه الله بقوله: وذلك لأن الإمام كثيراً ما يبني قوله على القياس ، فيبدو له قياس أقوى ، أو يبلغه حديث عن النبي ﷺ فيأخذ به ويترك قوله السابق.

وقال: إذا قلت قولاً يخالف كتاب الله تعالى وخبر الرسول ﷺ ؛ فاتركوا قولي.[5]

مالك بن أنس رحمه الله

وأما الإمام مالك بن أنس رحمه الله فقال:

---

[1] ط سنة ١٤٢٤ هـ ، الناشر: مكتبة المعارف – الرياض.

[2] «حاشية ابن عابدين» (٦٣/١) ، كما في «صفة الصلاة».

[3] «حاشية ابن عابدين» على البحر الرائق (٢٩٣/٦) ، كما في «صفة الصلاة».

[4] هو أبو يوسف ، من أجل أصحاب أبي حنيفة.

[5] ذكره الفلاني في «الإيقاظ» (ص ٥٠) ، المطبعة المنيرية كما في «صفة الصلاة».

إنما أنا بشر ، أخطئ وأصيب ، فانظروا في رأيي ، فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوه ، وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه.[١]

وقال: ليس أحد بعد النبي ﷺ إلا ويؤخذ من قوله ويترك ، إلا النبي ﷺ .[٢]

محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله

قال رحمه الله: ما من أحد إلا وتذهب عليه سنة لرسول الله ﷺ وتعزُب[٣] عنه ، فمهما قلت من قول أو أصَّلتُ من أصلٍ فيه عن رسول الله ﷺ خلافَ ما قلتُ ؛ فالقول ما قال رسول الله ﷺ ، وهو قولي.[٤]

وقال: أجمع المسلمون على أن من استبان له سنة عن رسول الله ﷺ ؛ لم يحل له أن يدعها لقول أحد.[٥]

وقال: إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله ﷺ ؛ فقولوا بسنة رسول الله ﷺ ، ودعوا ما قلت.[٦]

وفي رواية: فاتَّبعوها ، ولا تلتفتوا إلى قول أحد.[٧]

وقال: إذا صح الحديث فهو مذهبي.[٨]

وقال: كل مسألة تكلمت فيها ، صح الخبر فيها عن النبي ﷺ عند أهل النقل بخلاف ما قلت ؛ فأنا راجع عنها في حياتي وبعد موتي.[٩]

---

[١] رواه عنه ابن عبد البر في «الجامع» (٦٢٢/١).

[٢] قال الألباني في حاشيته على الأثر المذكور في مقدمة «صفة الصلاة»: نسبة هذا إلى مالك هو المشهور عند المتأخرين ، وصححه عنه ابن عبد الهادي في «إرشاد السالك» (٢٢٧/١). اهـ.

قلت: وقد نقله الذهبي عنه في السير وهو مشهور عنه ، ولفظه: كل أحدٍ يؤخذ من قوله ويترك إلا صاحب هذا القبر ﷺ .

كما رواه ابن عبد البر في «جامعه» من عدة طرق عن مجاهد (١١٨/٢-١١٩) ، ورواه أيضا عن الحكم بن عتيبة (١١٨/٢).

[٣] أي تغِيبُ عنه.

[٤] رواه البيهقي بسنده إلى الربيع بن سليمان قال: سمعت الشافعي يقول: فذكره. انظر «مناقب الشافعي» (٤٧٤/١ – ٤٧٥) (الناشر: مكتبة التراث – القاهرة).

[٥] ذكره الفلاني في «الإيقاظ» (ص ٦٨) كما في «صفة الصلاة».

[٦] رواه البيهقي في «المدخل إلى السنن الكبرى» (٢٢٤/١) ، والخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (٣٨٩/١).

[٧] رواه أبو نعيم في «الحلية» (١١٤/٩).

[٨] ذكره الفلاني في «الإيقاظ» (ص ١٠٧) كما في «صفة الصلاة».

[٩] رواه الهروي في «ذم الكلام وأهله» (٣٨٩) ، الناشر: مكتبة العلوم والحكم – المدينة.

وقال: اشهدوا أني إذا صح عندي الحديث عن رسول الله ﷺ فلم آخذ به فإن عقلي قد ذهب.[١]
وقال: كلما قلت ، وكان عن النبي ﷺ خلاف قولي مما يصح ؛ فحديث النبي ﷺ أولى ، ولا تقلدوني.[٢]
وقال: كل حديث عن النبي ﷺ فهو قولي ، وإن لم تسمعوه مني.[٣]
وقال أيضا: إذا صح عن رسول الله ﷺ حديث ، وقلت قولا ؛ فأنا راجع عن قولي ، قائل بذلك.[٤]

أحمد بن حنبل رحمه الله

قال رحمه الله: لا تقلدني ، ولا تقلد مالكًا ولا الشافعي ولا الأوزاعي ولا الثوري ، وخذ من حيث أخذوا.[٥]
وفي رواية: لا تقلد في دينك أحداً من هؤلاء ، ما جاء عن النبي ﷺ وأصحابه فخذ به ، ثم التابعين بعدُ الرجل فيه مُخَيَّر[٦].
وقال مرَّةً: الاتباع أن يتبع الرجل ما جاء به النبي ﷺ وعن الصحابة ، ثم هو مِن بعد التابعين مخير.[٧]
وقال: رأي الأوزاعي ورأي مالك ورأي سفيان كله رأي ، وهو عندي سواء ، وإنما الحجة في الآثار.[٨]
وقال: من رد حديث رسول الله ﷺ فهو على شفا هلكة.[٩]

الوجه الثاني: ومن وجوه رد مقولة «إن دعاء غير الله منتشر في بلادنا ولا ينكره علماؤنا» ؛ أن العالم ليس بمعصوم ، فربما زلت قدمه ، فأفتى بجواز ذلك ، بسبب شبهة أو بحكم العادة أو غيرها من الأسباب ، وقد روى البيهقي عن ابن

---

[١] رواه أبو نعيم في «الحلية» (١١٣/٩) ، وبنحوه رواه البيهقي في «المدخل» (٢٢٥/١) ، والخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (٣٨٨/١-٣٨٩).
[٢] رواه أبو نعيم في «الحلية» (١١٣/٩).
[٣] رواه ابن أبي حاتم في «آداب الشافعي» ، ص ٩٣ – ٩٤ ، كما في «صفة الصلاة».
[٤] رواه الهروي في «ذم الكلام وأهله» رقم (٣٩١) ، الناشر: مكتبة العلوم والحكم – المدينة.
[٥] ذكره الفلاني في كتابه «الإيقاظ» (ص ١١٣) كما في «صفة الصلاة».
[٦] أي في المسائل الاجتهادية التي لم يرد فيها نص في الكتاب والسنة ، ولم يفتِ فيها الصحابة رضي الله عنهم ، فعندئذ يصح الرجوع إلى فتاوى التابعين.
[٧] ذكرهما أبو داود في «مسائل الإمام أحمد» ، باب في الرأي ، الناشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة.
[٨] رواه ابن عبد البر في «الجامع» (٢٤٢/٢).
[٩] روى ذلك ابن الجوزي عنه في كتابه «مناقب أحمد» ، الباب الثاني والعشرون في ذكر تعظيمه لأهل السنة والنقل ، ص ٢٤٩ ، تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي ، الناشر: دار هجر للنشر والتوزيع.
وقد عقد ابن الجوزي في الكتاب المذكور بابا ذكر فيه أقوالا للإمام أحمد في الحث على التمسك بالسنة والأثر ، فليراجعه من أراد الاستزادة.

عمر قال: قال رسول الله ﷺ : إن أشد ما أتخوف على أمتي ثلاث: زلة عالم ، وجدال منافق بالقرآن ، ودنيا تقطع أعناق الرجال ، فاتهموها على أنفسكم.[1]

ومن المعلوم أن المخُوف في زلة العالم تقليده فيها ، إذ لولا ذلك لم يُخف من زلة العالم على غيره ، فإذا عرُف أنها زلة فليس له أن يُتبع فيها باتفاق العلماء ، فإنه اتباع للخطأ على عمد.

وقال عمر رضي الله عنه: يُفسد الزمان ثلاثة: أئمة مضلون ، وجدال منافق بالقرآن والقرآن حق ، وزلة عالم.[2]

فإذا ثبت أن العالم يزل ويخطئ ؛ لم يجز لأحد أن يفتي ويدين الله بقول لا يُعرف وجهه ، فكيف إذا عارض بقوله أو فعله قول رسول الله ﷺ أو فعله؟!

الوجه الثالث: أنه من المستقر المعلوم أن أعلم الناس بما أمر به رسول الله ﷺ وما نهى عنه هم أصحابه رضي الله عنهم ، فهم أعلم الناس بسنته ، وأطوعهم لأمره ، وهم الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه ، ورضِي عمن اتبعهم بإحسان ، ومعلوم أن عندهم من قبور الصحابة الذين ماتوا في حياة رسول الله ﷺ وبعد وفاته ما لا يحصى ، ومع هذا لم يتوجهوا لها بالدعاء ، وهذه سنة رسول الله ﷺ في القبور وسنة خلفائه الراشدين ، فليأت بأثر واحد عنهم يقرر ذلك ، فإن لم يجد فعليه بلزوم ما ساروا عليه ، كما قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «من كان منكم متأسيا فليتأس بأصحاب محمد ﷺ ، فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوبًا ، وأعمقها علمًا ، وأقلها تكلفًا ، وأقومها هديًا ، وأحسنها حالاً ، قوم اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه ﷺ ، فاعرفوا لهم فضلهم ، واتبعوهم في آثارهم ، **فإنهم كانوا على الهَدي المستقيم**.[3]

الوجه الرابع: أن العلماء الأربعة لم يرد عنهم تجويز ذلك البتة ، وهم أئمة العلم على رأس المائة الثالثة ، مع أنهم اختلفوا في مسائل فقهية كثيرة ، أما مسألة دعاء أصحاب القبور فلم يرد عنهم تجويز ذلك ولا مجرد الاختلاف فيه ، ولو حصل ذلك لنُقِل عنهم قطعا ، بل على العكس من ذلك فإن كتبهم وكتب أتباعهم من علماء المذاهب مشحونة

---

[1] خرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٣١١) ، (١٠٣١٣) ، وقد أعله الدراقطني مرفوعا ، ورجحه موقوفا كما في «العلل المتناهية» لابن الجوزي ، ص ١٣٩ .

[2] رواه البيهقي في «المدخل إلى السنن الكبرى» (٨٣٣).

[3] رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١٨١٠).

بالأمر بدعاء الله وحده ، وتكفير من عَبد غير الله ، ووصفه بالمرتد عن دين الله[1] ، وعلى هذا فلا يقول عن الدعاء (إن العلماء لم ينكروه) إلا من قَصُر في العلم باعُه ، وقلَّ نظره واطلاعه.

ولو قُدِّرَ جدلا أن بعض العلماء أقروا دعاء غير الله ولم ينكروه ؛ لم يكن قولهم ولا فعلهم حجة كما تقدم تقرير ذلك ، بل لله الحجة البالغة ، وكلٌّ يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ ، فما وافق هديه فهو مقبول ، وما خالفه فهو مردود ، كما قال النبي ﷺ : من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد.[2]

الوجه الخامس: أن هناك من ينتسب إلى العلم ولكنه من علماء السوء ، من الذين يُجَوِّزون الشرك بالله ، إما لفساد اعتقادهم ، أو لتعصبهم لما عليه أهل بلدهم وحسدهم لأهل التوحيد ، فهؤلاء لا يوصفون بالعلماء أصلا وإن وصفهم عامة الناس بذلك ، فإن العامة ليس عندهم ميزان لتمييز الحق من الباطل ، وبعض علماء السوء يخدع الناس ، فينسب نفسه لأهل البيت ويلبس عمامة العلم ويُحسن الكلام في بعض الأمور الدينية ، فيغتر به بعض عوام الناس ويقلدونه حيثما سار ، ولا يَعرِضون كلامه على الكتاب والسنة ، بل ربما طوَّعوا الكتاب والسنة لتتفق مع كلامه عياذا بالله ، فأمثال هؤلاء يجب الحذر منهم ، وفي الحديث عن ثوبان رضي الله عنه ، قال رسول الله ﷺ : «إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين».[3]

فالواجب الحذر ، فإن العلماء الربانيين إذا قلوا في البلاد اتخذ الناس رؤوسا جهالاً ، فيفتون بغير علم فيَضلون ويُضلون ، مصداقا لقول النبي ﷺ : «إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد ، ولكن يَقبض العلم بقبض العلماء ، حتى إذا لم يُبقِ عالما اتخذ الناس رؤوسا جهالا ، فسُئلوا فأفتوا بغير علم ، فضَلوا وأضلوا».[4]

---

[1] تقدم في أول هذا الكتاب ذكر أقوال طائفة من أقوال علماء المذاهب الأربعة وغيرهم في تقرير ذلك ، وكتب أهل العلم كثيرة في هذا الباب ، وانظر للتوسع فهرس المراجع المتعلقة بذلك في آخر هذا الكتاب ، وانظر أيضا كتابي «خمسون دليلا على بطلان دعاء غير الله» ، وهو منشور في شبكة المعلومات ، يسر الله طبعه.

[2] سبق تخريجه.

[3] رواه أبو داود (٤٢٥٢) ، والترمذي (٢٢٢٩) ، وأحمد (٢٧٨/٥) عن ثوبان رضي الله عنه ، وصححه الألباني.

[4] رواه البخاري (١٠٠) ومسلم (٢٦٧٣) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

فصل في التنبيه من علماء السوء

وعلماء السوء يُعتبرون من أهم روافد الفكر القبوري ، وكم عانى الإسلام من علماء السوء على مر العصور والدهور ، إذ لهم أضرار كبيرة ، منها تحليل ما حرم الله من الشركيات والبدعيات والمعاصي ، يصاحب ذلك الطعن في علماء الحق الذين يبينون باطلهم ويكشفون عوارهم.

ومن علماء السوء المنتشرين في العصر الحاضر المدعو عليٌّ الجفري اليمني ، ود. أحمد الكبيسي ، وكذا محمد علوي المالكي ، فهؤلاء يُجَوِّزون أنواعا من الشرك كدعاء غير الله ، عياذا بالله.[1]

أما علماء الشيعة فحدِّث عن الإنحراف العقائدي ولا حرج ، فلا يخلو أصل من أصول الدين إلا وخالفوا أهل السنة فيه ، وهم الوجه المقابل لسنة المصطفى ﷺ ، وواقعهم أنهم يؤلِّهون غير الله من أصحاب القبور وغيرهم ، لاسيما من كان من ذرية علي وفاطمة رضي الله عنهما ، ويصرفون لهم حق الله الخالص ، كالدعاء والذبح والنذر وغيرها ، وهذا بلاشك ولا ريب ناقض لدين الإسلام ، مُدخِلٌ في الشرك ، موجِبٌ للخلود في النار ، عياذا بالله تعالى.

---

[1] وكلامهم محفوظ مُدون شاهد عليهم ، فالأول كلامه محفوظ في محاضرات خاصة غير معلنة ، ولكن الله فضحه لما نشر بعض الناس كلامه على أشرطة سمعية ، والثاني قرر ذلك على قناة فضائية جهارا ، في برنامج له في تفسير سورة يوسف!

وأما المالكي الهالك فقد أفصح عن عقيدته الشركية في كتابه «مفاهيم يجب أن تصحح»! وقد رد عليه الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ حفظه الله في كتاب «هذه مفاهيمنا» ، فجزاه الله خيرا.

الشبهة الثامنة: شبهة الأحاديث الضعيفة والموضوعة

تمسك بعض الناس بأحاديث عن النبي ﷺ تُفيد جواز دعاء غير الله ، وأشهرها سبعة أحاديث ، وفيما يلي ذكرها ، مع الجواب عنها وبيان ضعفها وبطلان الاحتجاج بها:

١. حديث: لو أحسن أحدكم ظـنَّهُ بحجر لنفعه الله به.

والجواب عن هذا الحديث من وجهين:

الأول: أن هذا الحديث ليس له إسناد ، ولم يرد في أي من كتب الحديث المعتبرة ، وإنما يتوارد على ألسنة المعتقدين في أهل القبور جيلا بعد جيل ، وقرنا بعد قرن ، وإنما هو حديث موضوع مكذوب على النبي ﷺ .

الثاني: أن هذا الحديث وما جاء في معناه يخالف أصول الدين ، فإنه من المعلوم من الدين بالضرورة أن الله أمر المسلم إذا أصابته مصيبة أن يتضرع إلى الله وحده وليس للحجارة ، كما قال تعالى ﴿أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض ءإله مع الله قليلا ما تذكرون﴾[١] ، فالحديث المتقدم ليس إلا دعوة صريحة لعبادة الأوثان والأحجار ، والرجوع إلى ما كانت عليه العرب في الجاهلية ، بل هو مطابق لاعتقادهم ، فإن عباد الأصنام كانوا يُحسِّنون ظنهم بالحجارة ، بينما المؤمن يُحسِن ظنه بربه ، كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: يقول الله: (أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه إذا ذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه)[٢] .

ولما كان المشرك يُحسِن ظنه بالحجارة كانت عاقبته يوم القيامة أنه في النار هو والحجارة التي كان يعبد ، وصارا وقودا لها ، كما قال تعالى ﴿فاتقوا النار التي **وقودها الناس والحجارة** أعدت للكافرين﴾ ، وقال تعالى مخاطبا إياهم ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله **حصب جهنم** أنتم لها واردون﴾ ، فمن أحسن ظنه بالحجارة وَكَلَه الله إليها يوم القيامة ، لأن الناس يوم القيامة تتبع ما كانت تعبد.

قال ابن تيمية رحمه الله: والحديث الذي يرويه بعضُ الكذابين: (لو أحسنَ أحدُكم ظَنَّه بحجرٍ لَنفَعَه الله به) كَذِبٌ مُفترى باتفاقِ أهلِ العلم ، وإنما هذا من قولِ عُبَّادِ الأصنام الذين يُحسِّنون ظنَّهم بالحجارةِ ، وقال تعالى لهم ﴿إِنَّكُمْ

---

[١] سورة النمل: ٦٢ .

[٢] رواه البخاري (٧٤٠٥) ، ومسلم (٢٦٧٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ ، وقال تعالى (فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ ، وقال الخليل ﴿يا أبتِ لم تعبد ما لا يسمع ولا يُبصر ولا يُغنِي عنك شيئا﴾ ، وقال تعالى عن عُباد العِجل ﴿ألم يروا أنه لا يُكلمهم ولا يهدِيهم سبيلا﴾ ، وذكر تعالى عن الخليل أنه قال لقومه ﴿ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكِفون﴾...

فهؤلاء المشرِكون كانوا قد أحسنوا ظنهم بالحجارة فكان عاقبتهم أنهم في النار خالدون ، وإنما يُحسِن العبد ظنه بربه ... وفي صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: (لا يموتن أحدُكم إلا وهو يحسن الظن بالله)[1].

انتهى كلامه رحمه الله.[2]

وقال ابن القيم رحمه الله في معرض ذكره لجملة من الأحاديث الموضوعة:

وحديث: (لو أحسن أحدكم ظنه بحجر لنفعه) ، وهو من وضع المشركين ، عباد الأوثان.[3]

وقال ابن حجر العسقلاني: لا أصل له.[4]

وقال الشيخ الألباني رحمه الله: موضوع.[5]

وأورده الشيخ مرعي الكرمي في كتابه «الفوائد الموضوعة في الأحاديث الموضوعة»[6] ، والفُتَّني في كتابه «تذكرة الموضوعات»[7] ، وكذا الأزهري في كتابه «تحذير المسلمين من الأحاديث الموضوعة على سيد المرسلين»[8] ، والسخاوي والسخاوي كما في «المقاصد الحسنة»[9] ، والملا علي القاري في «موضوعاته»[10] ، و «كشف الخفاء»[11] للعجلوني.

---

[1] رواه مسلم (٢٨٧٧).

[2] «جامع المسائل لشيخ الإسلام ابن تيمية» ، المجموعة الخامسة ، ص ١٠٤ – ١٠٦ ، باختصار ، تحقيق محمد عزير شمس ، الناشر: دار عالم الفوائد – مكة ، وانظر «مجموع الفتاوى» (٣٣٥/٢٤).

[3] «نقد المنقول والمحك المميز بين المردود والمقبول» ، ص ١٣٢ .

[4] ذكره الملا علي القاري في «الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة» وهو المعروف بـ «الموضوعات الكبرى» ، برقم ٣٧٦ .

[5] «السلسلة الضعيفة» (٤٥٠).

[6] رقم ١٨٨ .

[7] ص ٢٨ .

[8] ص ١٢٨ ، تحقيق محيي الدين مستو ، الناشر: دار ابن كثير – دمشق.

[9] رقم ٨٨٣ ، تحقيق محمد عثمان الخشت ، الناشر: دار الكتاب العربي – لبنان.

[10] رقم ٣٧٦ .

[11] رقم ٢٠٨٧ ، تحقيق أحمد القلاش ، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت.

٢. ومن الأحاديث المكذوبة على النبي ﷺ في هذا الباب حديث: (إذا تحيرتم في الأمور فاستعينوا بأهل القبور) ، ويُروى بلفظ: (إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأهل القبور) ، ويُروى أيضا بلفظ: (فاستعينوا بأهل القبور) ، وقد أورده ابن كمال الباشا في كتابه «الأربعين» ، الحديث الثالث.

وهذا الحديث كسابقه ، مناقض لدين الإسلام الذي يدعو إلى دعاء الله وحده في السراء والضراء ، قال ابن تيمية رحمه الله: فهذا الحديث كذب مفترى على النبي ﷺ بإجماع العارفين بحديثه ، لم يروه أحد من العلماء بذلك ، ولا يوجد في شيء من كتب الحديث المعتمدة ، وقد قال تعالى ﴿وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيرا﴾ ، وهذا مما يعلم بالاضطرار من دين الاسلام أنه غير مشروع ، وقد نهى النبي ﷺ عما هو أقرب من ذلك ، عن اتخاذ القبور مساجد ونحو ذلك ، ولعن أهله تحذيرا من التشبه بهم ، فإن ذلك أصل عبادة الأوثان.[١]

وقال ابن القيم رحمه الله في معرِضِ كلام له عن أسباب الفتنة بالقبور: «ومنها[٢] أحاديث مكذوبة مختلقة ، وضعها أشباه عباد الأصنام من المُقابرية على رسول الله ﷺ ، تُناقض دينه وما جاء به ، كحديث: (إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأصحاب القبور) ، وحديث (لو حسَّن أحدكم ظنه بحجر لنفعه) ، وأمثال هذه الأحاديث التي هي **مناقضة لدين الإسلام** ، وضعها المشركون ، وراجت على أشباههم من الجهال الضلال ، والله بعث رسوله بقتل من حسَّن ظنه بالأحجار ، وجنَّب أمته الفتنة بالقبور بكل طريق».[٣]

قلت: وقد أورده الشيخ مرعي الكرمي في كتابه «الفوائد الموضوعة من الأحاديث الموضوعة»[٤]، وكذا الأزهري في كتابه «تحذير المسلمين من الأحاديث الموضوعة على سيد المرسلين»[٥].

٣. ومن الآثار الضعيفة الواردة في هذا الباب الأثر الذي أورده ابن السني في كتابه «أذكار اليوم والليلة» فقال:

---

[١] «التوسل والوسيلة» ص ٢٩٧ – ٢٩٨ ، وعزاه العجلوني في «كشف الخفاء» (٨٨/١) لـ «الأربعين» لابن كمال الباشا ، قلت: وابن كمال الباشا عاش في القرن الثالث عشر الهجري ، وكان من المبغضين للدعوة السلفية التي قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ، وقد قام بنشر شبهات للطعن في دعوة الشيخ ، وكان من المزينين للناس دعاء الأموات ، كما ذكر هذا عنه الشيخ أحمد بن محمد الكتلاني رحمه الله في كتابه «الصيب الهطال في كشف شبه ابن كمال» والذي قام بنشره الشيخ الذاب عن دعوة التوحيد: سليمان بن صالح الخراشي حفظه الله ، ونشرته دار العاصمة الرياض.

أقول: وما دام هذا حاله فلا غرابة في إثبات ذلك الحديث في كتابه «الأربعين» ، فلكل قوم وارث.

[٢] أي من أسباب الفتنة بالقبور.

[٣] «إغاثة اللهفان» (٣٩٤/١ – ٣٩٥).

[٤] برقم ١٨٨ .

[٥] ص ١٢٨ .

حدثنا محمد بن خالد بن محمد البردعي قال: حدثنا حاجب بن سليمان قال: حدثنا محمد بن مصعب قال: حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن الهيثم بن حنش قال:

كنا عند عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، فخدرت رجله ، فقال له رجل: اذكر أحب الناس إليك.

فقال: يا محمد ﷺ .

قال: فقام ، فكأنما نَشِط[1] من عِقال[2].[3]

وقد أجاب عن هذا الحديث الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله مبينا ضعفه فقال:

ضعيف ، أخرجه ابن السني (١٦٦) بإسناد ضعيف فيه علتان:

الأولى: الهيثم هذا مجهول كما في «الكفاية» للخطيب البغدادي (ص ٨٨).

الثانية: أنه من رواية أبي إسحاق عنه ، وهو السَّبِيعي ، وهو مدلس وقد عنعنه ، ثم إنه كان قد اختلط ، وهذا من تخاليطه ، فإنه اضطرب في سنده ، فتارة رواه عن الهيثم هذا ، وتارة عن أبي شعبة ، وفي نسخة: (أبي سعيد) ، رواه ابن السني (١٦٤).

وتارة قال: عن عبد الرحمٰن بن سعد قال: (كنت عند ابن عمر فذكره) ، أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٩٦٤) وابن السني (١٦٨).

وعبد الرحمٰن بن سعد هذا وثقه النسائي ، فالعلة من أبي إسحاق من اختلاطه وتدليسه ، وقد عنعنه في كل الروايات عنه ، وقد سبق له مثال غريب من تدليسه ، تبين فيه أنه أسقط واسطتين ، فانظر التعليق (رقم ١٢٦).[4] انتهى.

قال مقيده عفا الله عنه: وهناك علة ثالثة وهي ضعف محمد بن مصعب ، فقد قال البخاري: كان يحيى بن معين سيئ الرأي فيه.[5]

وقال ابن حبان: كان ممن ساء حفظه ، حتى كان يقلب الأسانيد ويرفع المراسيل ، لا يجوز الاحتجاج بخبره إذا انفرد.[6] انفرد.[6]

---

[1] أي انحل وِثاقه.

[2] العِقال هو الحبل الذي يُربط به البعير لئلا ينفلت.

[3] رقم ١٧١ من «عجالة الراغب المتمني في تخريج كتاب «عمل اليوم والليلة» لابن السني».

[4] «صحيح الكلم الطيب» لابن تيمية ، ص ١٣٥ .

[5] «التاريخ الكبير» (٢٣٩/١) ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

[6] «كتاب المجروحين من المحدثين» (٣١٠/٢).

ولتمام الفائدة ؛ فقد نقلت هنا روايات هذا الأثر الأخرى ، وكلها قد رواها ابن السني في «عمل اليوم والليلة» ، وهي ضعيفة ، وعلتها عنعنة أبي إسحاق السَّبيعي:

حدثني محمد بن إبراهيم الأنماطي وعمر بن الجنيد بن عيسى قالا: حدثنا محمود بن خداش قال: حدثنا أبو بكر بن عياش قال: حدثنا **أبو إسحاق السَّبيعي** عن أبي سعيد قال:

كنت أمشي مع ابن عمر رضي الله عنهما فخدرت رجله فجلس ، فقال له رجل: اذكر أحب الناس إليك.

فقال: (يا محمَّداه) ، فقام فمشى.[1]

أخبرني أحمد بن الحسن الصوفي قال: حدثنا علي بن الجعد قال: حدثنا زهير عن **أبي إسحاق** عن عبد الرحمٰن بن سعد قال:

كنت عند عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فخدرت رجله فقلت: يا أبا عبد الرحمٰن ما لرجلك؟

قال: اجتمع عصبها من هاهنا.

قلت: ادع أحب الناس إليك.

فقال: (يا محمد) ، فانبسَطَت.[2]

٤. ومن الآثار الضعيفة أيضا أثر ابن عباس رضي الله عنهما الذي أخرجه ابن السني فقال:

حدثنا جعفر بن عيسى أبو أحمد قال: حدثنا أحمد بن عبد الله بن روح قال: حدثنا سلام بن سليمان قال: حدثنا غِياث بن إبراهيم عن عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن مجاهد ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:

خدَرَت رِجلُ رَجُلٍ عند ابن عباس ، فقال له ابن عباس: اذكر أحب الناس إليك.

فقال: (محمد ﷺ) ، فذهب خَدَرُهُ.[3]

هذا حديث موضوع ، في سنده غِياث بن إبراهيم ، متروك الحديث.

قال أحمد بن حنبل: متروك الحديث.

وقال الجوزجاني: كان فيما سمعت غير واحدٍ يقول: يضع الحديث.[4]

---

[1] رقم ١٦٩ من «عجالة الراغب المتمني».

[2] رقم ١٧٣ من «عجالة الراغب المتمني».

[3] رقم ١٧٠ من «عمل اليوم والليلة».

[4] انظر ترجمة غِياث في «ميزان الاعتدال» (٤٠٧/٥) ، الناشر: دار الكتب العلمية.

وقال ابن عدي: وغياث هذا بيِّن الأمر في الضعف ، وأحاديثه كلها شِبهُ الموضوع.[١]
وقد حكم العلامة الألباني رحمه الله تعالى على هذا الحديث بالوضع.[٢]

٥. ومن الأحاديث التي يتمسك بها بعض من قال بجواز دعاء غير الله حديث ابن مسعود رضي الله عنه ، الذي رواه أبو يعلى في «مسنده» فقال:
حدثنا الحسن بن عمر بن شقيق ، حدثنا معروف بن حسان ، عن سعيد عن قتادة عن ابن بريدة عن عبد الله بن مسعود أنه قال: قال رسول الله ﷺ :
إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاةٍ فليناد: (يا عباد الله احبسوا[٣] ، يا عباد الله احبسوا) ، فإن لله حاضرا في الأرض سيحبسه.[٤]
ورواه ابن السني من طريق أبي يعلى به.[٥]
ورواه الطبراني في «المعجم الكبير» فقال: حدثنا إبراهيم بن نائلة الأصبهاني عن سعيد ، والباقي سواء.[٦]
والجواب: هذا حديث ضعيف من وجوه:
الأول: ضعف معروف بن حسان ، فقد قال أبو حاتم: مجهول.[٧]
وقال ابن عدي إنه منكر الحديث[٨] ، وضعفه الهيثمي في «مجمع الزوائد»[٩].
الثاني: الانقطاع بين ابن بريدة وابن مسعود ، وبه أعله الحافظ ابن حجر ، كما نقله ابن علان عنه في «شرح الأذكار» (١٥٠/٥).[١٠]

---

[١] «الكامل في ضعفاء الرجال» ، (١١٣/٧).
[٢] «صحيح الكلم الطيب لابن تيمية» ، تحقيق الألباني ، ص ١٣٦ .
[٣] أي أمسكوا الدابة واحبسوها عن الانفلات.
[٤] «مسند أبي يعلى» (٥٢٦٩) ، (١٧٧/٩).
[٥] رقم ٥٠٩ من «عجالة المتمني في تخريج كتاب «عمل اليوم والليلة» لابن السني» ، لسليم الهلالي.
[٦] (٢١٧/١٠).
[٧] «الجرح والتعديل» ، (٣٢٣/٨).
[٨] انظر ترجمته في «ميزان الاعتدال في نقد الرجال».
[٩] (١٣٥/١٠) ، باب ما يقول إذا انفلتت دابته.
[١٠] نقلا من «السلسلة الضعيفة» (٦٥٥).

تنبيه: في نسخة ابن السني: (ابن بريدة عن أبيه) ، وليست في المطبوع من مسند أبي يعلى ولا معجم الطبراني ، فلعلها خطأ من الناسخ.[١]

الثالث: سعيد بن أبي عروبة كثير التدليس واختلط ، قاله ابن حجر في «التقريب» ، وقد رواه بالعنعنة كما ترى.

وقد روى هذا الحديث ابن أبي شيبة في «المصنف» فقال:

حدثنا يزيد بن هارون ، قال: أخبرنا محمد بن إسحاق ، عن أبان بن صالح ، أن رسول الله ﷺ قال: فذكره.

هذا إسناد معضل[٢] ، ومحمد بن إسحاق مدلس مشهور[٣].

قال الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ[٤] حفظه الله: لم يصحح أو يحسن هذا الحديث أحد ممن له معرفة أو مشاركة في علم الحديث ، بل إما مُضعِّف ، أو ناقل تضعيف غيره.[٥]

٦. ومن الأحاديث الواردة في هذا الباب حديث عتبة بن غزوان رضي الله عنه الذي رواه الطبراني فقال:

حدثنا الحسين بن إسحاق التستري ، ثنا أحمد بن يحيى الصوفي ، ثنا عبد الرحمٰن بن شريك[٦] ، حدثني أبي ، عن عبد الله بن عيسى ، عن زيد بن علي ، عن عتبة بن غزوان ، عن نبي الله ﷺ قال:

إذا أضلَّ أحدكم شيئا ، أو أراد أحدكم عونا ، وهو بأرض ليس بها أنيس فليقل: (يا عباد الله أغيثوني ، يا عباد الله أغيثوني) ، فإن لله عبادا لا نراهم.[٧]

هذا حديث ضعيف جدًّا ، في سنده عبد الرحمٰن بن شريك وأبوه ، وكلاهما ضعيفان.

قال أبو حاتم في عبد الرحمٰن: واهي الحديث.[٨]

---

[١] أفاد بهذا الشيخ سليم في حاشيته على «عمل اليوم والليلة» لابن السني.

[٢] قاله الشيخ صالح آل الشيخ في «هذه مفاهيمنا» ص ٥٨ .

[٣] انظر «التقريب».

[٤] الشيخ صالح من نسل إمام الدعوة ، الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ، ومن العلماء في التوحيد والعقيدة ، تولى وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف عام ١٤٢٠ ، له مؤلفات عديدة في العقيدة والتوحيد تدل على قوة تبصره فيهما.

[٥] «هذه مفاهيمنا» ، ص ٥٨ .

[٦] في المطبوع عبد الرحمٰن بن سهل ، والتصحيح من المخطوط ، أفاد بهذا الشيخ صالح آل الشيخ ، من كتاب «هذه مفاهيمنا» ، ص ٥٤ .

[٧] «المعجم الكبير» (١١٧/١٧).

[٨] «كتاب الجرح والتعديل» (٢٤٤/٥).

وقال الدارقطني في شريك: واهي الحديث فيما يتفرد به.[1]

وقال ابن المبارك: ليس حديثه بشيء.[2]

وقال الحافظ ابن حجر: صدوق ، يخطئ كثيرا ، تغير حفظه منذ ولي القضاء بالكوفة.[3]

وفي السند انقطاع بين زيد بن علي وعتبة بن غزوان ، فعتبة بن غزوان توفي سنة عشرين على أوسع الأقوال ، وأما زيد بن علي – وهو ابن الحسين بن علي بن أبي طالب – فولد سنة ثمانين.[4]

فائدة: قد قال بعض أهل العلم أن هذان الحديثان على تقدير صحتهما فإنهما لا يفيدان جواز دعاء غير الله ، بل غاية ما يفيدانه هو جواز نداء حيٍّ حاضرٍ لحاضر ، إما من الملائكة الموكلين بذلك ، أو من مُسلمي الجن أو من غيرهم ممن سخَّرهم الله لذلك ، وهذا النداء إنما هو لتحصيل شيء هم قادرون عليه ، لا لتحصيل شيء لا يقدر عليه إلا الله تعالى ، هكذا قالوا رحمهم الله.

قال مقيده عفا الله عنه: وهذه الإجابة فيها نظر ، فإن الملائكة لا تعمل بأمر الناس ، وإنما تعمل بحسب أمر الله لها ، كما قال تعالى ﴿لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾ ، فالملائكة تتلقى الأعمال من الله فحسب ، وقد جاء في الكتاب والسنة ذكر كثير من وظائف الملائكة ، ولم يأت فيهما ذكر إعانة الملائكة للإنسان إذا طَلب منهم ذلك ، ومن وظائفهم — مثلا – قبض الأرواح عند الموت ، وكتابة رزق العبد وأجله وعمله وشقي هو أم سعيد ، ويكون هذا إذا تم للإنسان في بطن أمه أربعة أشهر ، وغير ذلك من الوظائف التي ليس المقام مقام استقصائها.

وكذلك الجن ؛ فطلب العون منهم ليس له مستند في الشريعة ، سواء كان فيما يقدرون عليه أو فيما لا يقدر عليه إلا الله ، فإن كان الطلب فيما لا يقدر عليه إلا الله عز وجل ، أو ممن يُعتقد غيابهم وعدم حضورهم ؛ فمعلوم أن هذا شرك.

وإن كان الطلب فيما يقدرون عليه ، كالإرشاد إلى الطريق ونحو ذلك ، فهذا الطلب ممنوع لأنه وسيلة إلى الشرك وليس بشرك ، وعلة منعه ثلاثة أسباب:

الأول: أن وجود الجن حوله ليس بأكيد ، فيكون من التعلق بالظنيات ، والتعلق بالظنيات سبيل إلى الوسوسة.

---

[1] انظر «موسوعة أقوال الإمام الدارقطني» ، ترجمة رقم ١٦٢١

[2] «الكامل في ضعفاء الرجال» ، (٥/١١).

[3] «تقريب التهذيب».

[4] نقلا من «السلسلة الضعيفة» (٢/١١٠).

ثانيا: أن الجن لا يُدرى عن صالحهم وطالحهم ، فكم من رجل صالح قد أفسده جن طالح ، ظهر له في بداية الأمر بلباس الصلاح فأورده المهالك ، كارتكاب السحر ونحوه.

ثالثا: لو كانت الجن أو الملائكة تعين الإنسان كلما طَلب منهم ذلك لجاء بيان ذلك في الكتاب أو السنة ، لاسيما مع قيام المقتضي لذلك ، فلماذا لم يطلب منهم النبي ﷺ العون في غزواته؟[1] ولماذا كان النبي ﷺ يرسل العيون في الصحراء ولم يطلب العون من الجن؟

لو كانت الاستعانة بالجن جائزة لاستعان بهم ، لاسيما وهم أقدر من الإنس على السياحة في الأرض وقطع المسافات الشاسعة في وقت يسير دون أن يراهم أحد.

ولماذا لم يستعن بهم لما أضاعت عائشة عقدها وانحبس القوم؟!

وهكذا حوادث كثيرة مرت على النبي ﷺ وصحابته وعلى الخلفاء الراشدين لم يحصل فيها أنهم استعانوا بالجن ولا مرة واحدة مع وجود الحاجة الماسة إلى ذلك ، وكون النبي ﷺ هو الرحيم الشفيق على أمته ، فدل ذلك على أن الاستعانة بالجن ليست مشروعة بل ممنوعة.

فإن قيل: ألم يرِد عن بعض الصالحين أن الملائكة أو الجن أعانتهم من باب الكرامة؟

فالجواب: بلى ، ولكن هذا لم يكن بطلب مباشر منهم ، بل ساق الله تلك الكرامة لهم سوقًا دون طلب منهم ، أما حديثنا فهو عن طلب الإنس من الجن أو الملائكة مباشرة أن يمُدوا لهم يد العون ، فلينتبه إلى هذا.[2]

فالحاصل أن من أراد طلب المعونة في شيء مما هو في نطاق القدرة البشرية فعليه أن يطلب ممن حوله من الإنس الأحياء القادرين الحاضرين ، مستصحبا التوكل على الله ، وسؤاله أن ييسر له أمره ، هكذا علمنا نبينا ﷺ ، ولم يُعلمنا سوى ذلك ، والله أعلم.

٧. ومن الأحاديث التي يتمسك بها بعض من أجاز طلب الحاجات من الموتى حديث ابن عباس رضي الله عنهما الذي رواه البزار فقال:

---

[1] أما قتال الملائكة معه في بدر فلم يكن بطلب مباشر من الرسول صلى الله عليه وسلم لهم ، بل كرامة من الله تعالى للمسلمين بدون طلب منهم ، قال تعالى ﴿إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا﴾ الآية ، فقوله (يوحي ربك) فيه تنبيه إلى أن تثبيت الملائكة لم يكن بطلب من النبي ﷺ وإنما بأمر الله عز وجل المباشر.

[2] وانظر الحاشية السابقة.

حدثنا موسى بن إسحاق ، ثنا منجاب بن الحارث ، ثنا حاتم بن إسماعيل ، عن أسامة بن زيد ، عن أبان بن صالح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: إن لله ملائكة في الأرض سوى الحفظة يكتبون ما يسقط من ورق الشجر ، فإذا أصابت أحدُكم عَرْجَةٌ[1] بأرض فلاة فليناد: أعينوا ، عباد الله.[2]

ثم أعلَّه بقوله بعده: وهذا الكلام لا نعلمه يُروى عن النبي ﷺ بهذا اللفظ إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد.

ورواه البيهقي في «الشعب» بسنديه عن روح وجعفر بن عون ، أنا أسامة بن زيد عن ابن عباس **موقوفا** ، فذكره بنحوه.[3]

ورواه ابن أبي شيبة في «المصنف» فقال: حدثنا أبو خالد الأحمر عن أسامة ، بنحوه.[4]

والجواب عن هذا الحديث أن فيه أسامة بن زيد الليثي ، فقد قال الإمام أحمد لابنه عبد الله لما سأله عن أحاديثه: إن تدبرت حديثه فستعرف النُّكْرة فيها.[5]

وقال أيضا: كان يحيى بن سعيد ترك حديثه بآخِرِه[6].[7]

وقد قوى العلامة الألباني رحمه الله رواية البيهقي الموقوفة على ابن عباس رضي الله عنهما فقال:

«وجعفر بن عون أوثق من حاتم بن إسماعيل ، فإنهما وإن كانا من رجال الشيخين ؛ فالأول منهما لم يُجرح بشيء ، بخلاف الآخر ، فقد قال فيه النسائي: ليس بالقوي.

وقال غيره: كانت فيه غفلة.

ولذلك قال فيه الحافظ: (صحيح الكتاب ، صدوق يهم).

وقال في جعفر: صدوق.

---

[1] أي عَرَجَ عن الطريق وضل.

[2] «كشف الأستار» برقم (٣١٢٨).

[3] «شعب الإيمان» (١٢٨/٦).

[4] (٩٢/٦).

[5] «كتاب العلل ومعرفة الرجال» (١٤٢٨).

[6] أي في آخر عمره.

[7] «كتاب العلل ومعرفة الرجال» (٨٧٤).

ولذلك **فالحديث عندي معلول بالمخالفة**[1] ، والأرجح أنه موقوف ، وليس هو من الأحاديث التي يمكن القطع بأنها في حكم المرفوع ، لاحتمال أن يكون ابن عباس تلقاها من مَسلَمَةْ أهل الكتاب. والله أعلم».[2]

قلت: وصحة الخبر عن بني إسرائيل لا تفيد شيئا إلا ما أقـرَّته الشريعة الإسلامية ، كيف والروايتان – المرفوعة والموقوفة – مدارهما على أسامة بن يزيد الليثي ، وقد علمنا ما في حديثه من النكارة كما قال الأئمة؟!

خلاصة في الكلام على الأحاديث التي تقرر دعاء غير الله

كل الأحاديث التي تقرر دعاء غير الله مكذوبة على النبي ﷺ بدون استثناء ، وقد نقل السيوطي في «تدريب الراوي» عن ابن الجوزي قوله:

«ما أحسن قول القائل: إذا رأيت الحديث يباين المعقول ، أو يخالف المنقول ، أو يناقض الأصول ؛ فاعلم أنه موضوع.

قال: ومعنى مناقضته للأصول ؛ أن يكون خارجا عن دواوين الإسلام من المسانيد والكتب المشهورة».[3]

وقال الشيخ حمد بن ناصر بن معمر[4] رحمه الله:

«إن أدلة القرآن الدالة على النهي عن دعاء غير الله متظاهرة ، كقوله تعالى ﴿وأن المساجد لله فلا تدعو مع الله أحداً﴾ ، وقوله تعالى ﴿له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء﴾ ، وقوله تعالى ﴿ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذاً من الظالمين﴾ الآية ، إلى غير ذلك من الآيات البينات.

---

[1] يعني مخالفته للحديث المرفوع.

[2] «السلسلة الضعيفة» (١١٢/٢).

[3] «تدريب الراوي» ، الباب الحادي والعشرون ، قسم الموضوع ، (٢٧٧/١) ، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف ، الناشر: دار الكتب العلمية ، ط ٢ ، بيروت.

[4] هو الشيخ العلامة حمد بن ناصر آل معمر ، ولد عام ١١٦٠ هـ في بلدة العيينة ، نشأ في بيت حكم وإمارة ، فآباؤه هم أمراء نجد في القرنين الحادي عشر عشر والثاني عشر ، أخذ العلم عن جماعة من العلماء ، منهم إمام الدعوة في زمانه ، الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ولما بلغ في العلم مبلغا كبيرا جلس للتدريس في العيينة ، فدرس على يديه أئمة في العلم والعمل ، وهم الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ، والشيخ عبد الرحمٰن بن حسن ، والشيخ عبد الله أبابطين ، رحمهم الله.

وفي سنة ١١٢٢ هـ تولى رئاسة القضاء في مكة المكرمة ، وتوفي فيها عام ١٢٢٥ هـ ، رحمه الله.

باختصار وتصرف من ترجمته في مقدمة كتاب «النبذة الشريفة النفيسة في الرد على القبوريين» ، وهي من إعداد الشـــــــيخ د. عبد السلام بن برجس آل عبد الكريم رحمه الله.

فمن أعرض عن هذا كله ، وتعامى عنه ، وأعرض عن الأحاديث الصحيحة الدالة على تحقيق التوحيد وإبطال الشرك ، وسدِّ ذرائعه ، وتعلَّق بحديث ضعيف ؛ لم يكن هذا إلا من زيغٍ في قلبه ، قد تناوله قوله تعالى ﴿فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة﴾ ، وقوله ﷺ فيما ثبت عنه في الصحيح من حديث عائشة: (إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم)[1] ».[2] اهـ.

[1] رواه البخاري (٤٥٤٧) ، ومسلم (٢٦٦٥).

[2] قاله الشيخ حمد بن ناصر آل معمر رحمه الله في كتابه «النبذة الشريفة النفيسة في الرد على القبوريين» ، ص ٧٥ – ٧٦ ، باختصار وتصرف يسير.

فصل في التحذير من الوقوع في الشبهات

ترك النبي ﷺ أمته على المحجة البيضاء ، ليلها كنهارها ، وأكمل الله تعالى لهم الدين ، كما قال الله تعالى ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا﴾.

قال أبو ذر رضي الله عنه: لقد تركنا محمد ﷺ وما يحرك طائر جناحيه في السماء إلا أذكَرنا منه علما.[1]

وفي زيادة عند الطبراني: فقال رسول الله ﷺ : ما بقي شيء يُقرِّب إلى الجنة ويباعد من النار إلا وقد بُيِّنَ لكم.[2]

ولكن قوما ضاقت صدورهم بصفاءِ هذا الدين ووضوحِهِ ، فلما علموا أنهم لا يقدِرون على تحطيمِه ومحوِهِ من صدور الناس ؛ ذهبوا يُشوِّشون عليه ، ويبُثُّون الشكوك حول حقائقه وثوابته ، ليصير المسلمون في شك وحيرة من دينهم ، ويكون تمسكهم به تمسكا صوريا لا يُجاوِز العبادات الظاهرة ونحوها ، أما العقيدة – التي هي عمل القلب – فيريدون أن يعودوا بالمسلمين بها إلى عقائد الجاهلية الأولى ، كعبادة غير الله ، أو عقائد الفلاسفة والصابئة ، كنفي صفات الكمال عن الرب جـل وعز ، أو عقيدة النصارى المتمثلة بحلول الله في نبيه عيسى عليه السلام ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، وغير ذلك من الاعتقادات الهدامة.

وقد نجح أعداء الإسلام في بث هذه المعتقدات بين صفوف كثير من جهلة المسلمين ، فتلقفها من تلقفها – بسوء نية أو حسن نية – على أنها جزء من عقائد الإسلام ، وجعلوا يبثونها بين عوام المسلمين ، فتلقفها من ضَعُفَ دينه وعلمه وعقله ، وردَّها من أراد الله هدايته ونجاته.

ولما كان هذا البحث منصبا على الجواب عن أهم الشبهات التي يتعلق بها من يدعو غير الله ، رأيت تذييله بذكر بعض الضوابط لفهم حقيقة الشبهات وسبل الوقاية فيها ، لتكون معونة للعاقل وتذكرة للجاهل ، وذلك أن الشبهات لا حصر لها ، ولا يخلو زمان من قائمين على بثها ونشرها بين المسلمين ، ليفسدوا عليهم دينهم ، كما قال ابن القيم رحمه الله: (وقد خلق الله تعالى لكل باطلٍ وبَهْتٍ حَمَلةً ، كما للحق حَمَلةً)[3] ، ولكن إذا تحصن المسلم بمعرفة الضوابط العلمية المعينة على فهم حقيقة الشبهات ووسائل التحصن منها صار في عصمة من الوقوع فيها بإذن الله ، وهذا أوان الشروع في ذكر تلك الضوابط.

---

[1] رواه أحمد (153/5) وابن حبان (65) ، وصححه الألباني في «التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان» (/192) ، الناشر: دار باوزير – جدة.

[2] انظر «المعجم الكبير» (1647) ، وقد صحح هذه الزيادة الألباني في «الصحيحة» (1803).

3 انظر «إغاثة اللهفان» ، ص 1128 ، ط دار عالم الفوائد – مكة.

- **تعريف الشبهة**

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «الشبهة واردٌ يردُ على القلب يحول بينه وبين انكشاف الحق له ، فمتى باشرَ القلبُ حقيقةَ العلمِ لم تؤثر تلك الشبهة فيه ، بل يقوى علمه ويقينه بردِّها ومعرفة بطلانها ، ومتى لم يباشر حقيقةَ العلم بالحق قلبُه ؛ قدحت فيه الشك بأول وهلة[1] ، فإن تداركها وإلا تتابعت على قلبه أمثالُها حتى يصير شاكا مرتابا.
والقلب يتوارده جيشان من الباطل ؛ جيش شهوات الغي وجيش شبهات الباطل ، فأيُّما قلبٍ صغا إليها وركن إليها تشرَّبها وامتلأ بها ، فينضح لسانه وجوارحه بموجَبها ، فإن أُشرب شبهات الباطل تفجرت على لسانه الشكوك والشبهات والإيرادات ، فيظن الجاهل أن ذلك لسعة علمه وإنما ذلك من عدم علمه ويقينه».[2] اهـ.

- **لكل شبهة جواب**

اعلم – رحمك الله تعالى – أن المشركين **وأهل البدع لهم شبهات وحجج كثيرة** يستدلون بها على صواب الباطل وإبطال الصواب ، كما قال تعالى ﴿وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق﴾ ، أي ليبطلوه ، ولكن ليُعلم أن كلَّ شبهة فإنها باطلة ، ولكل شبهة جواب ، كما قال تعالى ﴿ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا﴾.[3]

وقد اعتنى القرآن بالرد على الشبهات ، ومن ذلك الرد على شبهة اليهود التي أثاروها لما أمر الله بتحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة فقالوا ﴿ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها﴾ ، فردَّ الله عليهم ، وبيَّن أن الحكمة في ذلك هو أن الله له المشرق والمغرب ، يأمر الناس بالتوجه إلى ما شاء سبحانه وتعالى ، وسماهم سفهاء لما اعترضوا بهذا الاعتراض ، فقال سبحانه ﴿سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾.
وفي هذا الرد القرآني لفتة أخرى وهي: إذا كان اعتراض اليهود وأشباههم على الشريعة قد سماه الله سفها ، فبِماذا يُوصف من اعترض على أحقية الله وحده بالدعاء والعبادة؟

---

[1] أي أن الشبهة تقدح في القلب شكًّا إذا باشَرَتْهُ.

[2] «مفتاح دار السعادة» (442/1).

[3] وانظر ما قاله الإمام فيصل بن تركي رحمه الله كما في «الدرر السنية» (288/2).

- **الشبهات تتجدد ولا حدَّ لها**

ومما ينبغي أن يُعلم أن الشبهات لا حدَّ لها ، فلا يلزم الرد عليها كلها ، لأن الحق إذا تبين بأدلته اليقينية لم يلزم الإتيان بأجوبة الشبه الواردة عليه ، بل ينبغي الإعراض عن سماعها وتلقِّيها ، لأن بطلانها أمر معلوم من الدين بالضرورة ، ولأن كل ما نافى الحق الواضح فهو باطل ، كما قال تعالى ﴿فماذا بعد الحق إلا الضلال﴾ ، فعلى هذا فيكون حلُّ الشُّبه والرد عليها من باب التبرع.[1]

ومما ينبغي أن يُعلم أيضا أن الشبهات لها أهلون ، يثيرونها كلما اندرست ، ويُحيونها كلما خَبَت ، ليُضلوا بها عباد الله ، ويصرفوهم عن عبادته سبحانه ، وعن تعظيمه اللائق به ، وليس ذلك بغريب عليهم ، فقديما قيل: لكل قوم وارث.

فظهور المناوئين لدعوة الرسل وإثارتهم للشبه والأحقاد أمر مشهور في تاريخ الإسلام ، كما قال تعالى ﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الجن والإنس يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا﴾.

- **عند ظهور الشبهات تتجلى حكمة الابتلاء للمؤمنين ، ويظهر الدين**

ومن حِكم ظهور المناوئين لدعوة الرسل وأتباعهم وإثارتهم للشبه ؛ تمحيص المؤمنين واختبار صبرهم ، وإقامة الحجة على الكافرين وإبطال كيدهم ، ثم إنجاز الله وعده للمؤمنين بنصرهم على من عاداهم ، كما قال تعالى ﴿ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين * إنهم لهم المنصورون * وإن جندنا لهم الغالبون﴾.

ومن حِكم ظهور المناوئين لدعوة الرسل ؛ ظهور الإيمان والدين ، قال ابن تيمية رحمه الله:

«إنَّ من أعظم أسباب ظهور الإيمان والدين ، وبيان حقيقة أنباء المرسلين ؛ ظهور المعارضين لهم من أهل الإفك المبين ، وذلك أن الحق إذا جُحِد وعُورض بالشبهات أقام الله تعالى له ما يُحِقُّ به الحقَّ ويُبطل به الباطلَ من الآيات البينات ، بما يُظهره من أدلة الحق وبراهينه الواضحة ، وفساد ما عارضه من الحجج الدَّاحِضة».[2]

وقال أيضا: «ومن سنة الله أنه إذا أراد إظهار دينه ؛ أقام من يعارضه ، فيُحق الحق بكلماته ، ويقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق».[3]

---

[1] قاله ابن سعدي رحمه الله في تفسير الآية الكريمة من سورة البقرة: 145 .

[2] «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» ، (85/1 – 86) بتصرف يسير.

[3] «مجموع الفتاوى» (57/28).

فالأمر كما قال الأول:

والضِّد يظهر حسنه الضِّد وبضِده تتميز الأشياء

- **أقسام من يُروِّج الشبهات**

والذين يروجون الشبهات بين المسلمين لا يخرجون عن ثلاثة أصناف:

الأول: كونهم لم يفهموا دلالات النصوص الشرعية على مراد الشارع الحكيم ، بل على ما أملته عليهم فُهومهم ، ففَهِموا خلاف المراد ، كما قال الأول:

وكم من عائبٍ قولاً صحيحًا وآفته من الفهمِ السقيم

قال ابن القيم رحمه الله مبينا ضرر سوء فهم المراد عن الله ورسوله ﷺ :

«فقد حصل بإهمال ذلك والعدول عنه من الضلال والعدول عن الصواب ما لا يعلمه إلا الله ، بل سوء الفهم عن الله ورسوله أصل كل بدعة وضلالة نشأت في الإسلام ، بل هو أصل كل خطأ في الأصول والفروع ، ولاسيما إن أضيف إليه سوء القصد ، فيتَّفق سوء الفهم في بعض الأشياء من المتبوع مع حسن قصده وسوء القصد من التابع ، فيا محنة الدين وأهله ، والله المستعان».[1]

الصنف الثاني هم من استدلوا على ما تعلقوا به من شبهات بأحاديث ضعيفة أو باطلة أو منامات وحكايات ، ونحو ذلك من الاستدلالات التي لا تثبت بها الأحكام الشرعية الفرعية فضلاً عن أصول الدين ومبادئه العظام ، والذين يُثبتون العبادات بالحكايات والمنامات والمقاييس والعقول[2] والأذواق هم اليهود والنصارى ، وعندهم من ذلك الشيء الكثير.

بل إن الذين يُقرِّرون الشبهات عموما يحشون كتبهم بالأشعار والحكايات والمنامات ، لأن الأدلة الشرعية لا تعينهم على باطلهم ، بل تنقضه من أُسِّهِ ، فلهذا يلجأون إلى الحكايات والمنامات والأشعار ، وهذه ليس لها عِماد ولا وتد في دين الله ، بل هي كالسراب يحسبه الظمآن ماءً ، حتى إذا جاءه لم يجده شيئا.

[1] «الروح» ، ص 179 ، الناشر: دار ابن كثير – دمشق.

[2] ملاحظة: العقل الصريح لا يعارض النقل الصحيح ، يراجع «درء تعارض العقل والنقل» لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

قال ابن تيمية رحمه الله: «وأما أولئك الضُّلال ، أشباه المشركين النصارى ؛ فعُمْدَتُهُمْ إما أحاديث ضعيفة أو موضوعة ، أو منقولات عمن لا يُحتج بقوله ، إما أن يكون كذباً عليه وإما أن يكون غلطاً منه ، إذ هي نقل غير مُصَدَّقٍ عن قائل غير معصوم ، وإن اعتصموا بشيء مما ثبت عن الرسول حرفوا الكلم عن مواضعه ، وتمسَّكوا بمتشابهه ، وتركوا محكمه ، كما يفعل النصارى».[1] اهـ.

وقال أيضا: «وربما احتجوا بأمثلة جزئية خاصة لإثبات قضايا كلية عامة ، فيحتجون لإثبات جواز مطلق الاستغاثة – فيما يقدر عليه المخلوق وما لا يقدر عليه – بسؤال بعض الناس النبي ﷺ أن يدعو لهم ، ومعلوم أن هذا الذي ثبتت به السنة حق لا ريب فيه ، لكن لا يلزم من ذلك ثبوت جميع الدعاوى العامة ، وإبطال نقيضها ، إذ الدعوى الكلية لا تثبت بمثال جزئي ، لاسيما مع الاختلاف والتباين ، وهذا كمن يريد أن يثبت حِل جميع الملاهي لكل أحد والتقرب بها إلى الله بكون الجاريتين غنتا عند عائشة رضي الله عنها في بيت النبي ﷺ يوم عيد ، مع كونِ وجهه كان مصروفا إلى الحائط لا إليها ، أو يحتج على استماع كل قول بقوله ﴿فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه﴾ ، ولا يدري أن القول هنا هو القرآن ، كما في قوله ﴿أفلم يدبروا القول أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين﴾ ، وإلا فمُسَلَّمٌ أنه لا يسُوغ استماع كل قول».[2] اهـ.

الصنف الثالث هم من اتبع المتشابه وترك المحكم ، وهذا سبيل أهل الباطل الذين يفهمون الآيات المحكمات على ضوء الآيات المتشابهات ، أي التي يشتبه فهم معناها الظاهر على عامة الناس ولا يعلمها إلا علماؤهم ، وهذا مسلك خاطىء ، والواجب فهم الآيات المتشابهات على ضوء الآيات المحكمة لا العكس ، ونصوص الشريعة – بحمد الله – ليس بينها تناقض ، بل متفقة ، يفسر بعضها بعضاً ، وقد حذر النبي عليه الصلاة والسلام من اتباع المتشابه وترك المحكم ، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذَّكر إلا أولوا الألباب﴾.

قالت: قال رسول الله ﷺ : فإذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم.[3]

---

[1] «الاستغاثة في الرد على البكري» (2/ 582 – 587) باختصار يسير.

[2] «الاستغاثة في الرد على البكري» (2/588 – 589).

[3] تقدم تخريجه.

- **أخطر الشُّبه هي الشُّبه المتعلقة بالاعتقاد**

الشبه كلها خطيرة ، ولكن أخطرها هو الذي يترتب عليه خروج من ملة الإسلام ، كالشبه التي تقرر دعاء غير الله ، وكذلك الشبه التي تقرر تعطيل الله عن صفاته التي وصف بها نفسه ، أو الشبه التي يراد بها الطعن في مصادر التشريع ، القرآن والسنة ، أو الشبه التي يراد منها تحليل ما حرم الله ، كتحليل الربا مثلا ونحو ذلك.

- **وجوب الحذر من الشبهات وعدم الاستشراف لها**

يجب على المسلم الذي يريد أن يسلك طريق السلامة لدينه أن يحذر من الوقوع في الشبهات ولا يتصدر لها ، فإن النبي ﷺ لما ذَكر فتنة الدجال للصحابة أمرهم أن ينأوا عنه ولا يتصدروا له ، فقال: (إذا سمعتم به في أرض فانأوا عنه) ، أي ابتعِدوا عنه ولا تتعرضوا له ، هذا مع علو كعبهم في الديانة والعلم ، فكيف بمن هم دونهم؟!

قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن بن حسن رحمه الله: «فربما خرج الإنسان من الإسلام بشبهة تحول بينه وبين ما يجب لله من التوحيد والإخلاص والبراءة من عبادة ما عُبد معه من الأوثان والأصنام».[1]

- **واجب ولاة الأمر من العلماء والأمراء تُجاه من يروجون الشبهات**

يجب على ولاة الأمر الأخذ على أيدي من يروجون الشبه ، وأن يُعزِّرونهم بحبس أو ضرب أو نفي ، ولا يتركوا المجال مفتوحا لهم لإفساد عقائد المسلمين ببث الشبه ، باسم حرية الرأي ، أو الحوار مع الآخر ، أو الديموقراطية ونحو ذلك من الشعارات البراقة ، التي هي محض مناهج الدول الغربية الكافرة.

كما يجب على العلماء والمتخصصين في العلوم الشرعية أن يردوا على الشبه الدينية حتى لا تروج بين المسلمين ، لأن الشبهة كالمرض العضوي ، إذا تُرك فإنه ينتشِر ويستشري.

قال ابن تيمية رحمه الله في سياق أمثلة من يجب بيان حاله والرد عليه:

ومِثل أئمة البدع من أهل المقالات المخالفة للكتاب والسنة ، أو العبادات المخالفة للكتاب والسنة ، فإن بيان حالهم وتحذير الأمة منهم واجب باتفاق المسلمين ، حتى قيل لأحمد بن حنبل: (الرجل يصوم ويصلي ويعتكف أحبُّ إليك أو يتكلم فى أهل البدع؟

فقال: إذا قام وصلى واعتكف فإنما هو لنفسه ، وإذا تكلم فى أهل البدع فإنما هو للمسلمين ، هذا أفضل).

[1] «منهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات داود بن جرجيس» ، ص 13 .

فبيَّن أنَّ نفع هذا[1] عامٌّ للمسلمين فى دينهم ، من جنس الجهاد فى سبيل الله ، إذْ تطهير سبيل الله ودينه ومنهاجه وشِرعته ، ودفع بغي هؤلاء وعدوانهم على ذلك واجب على الكفاية باتفاق المسلمين ، ولولا من يُقيمه الله لِدَفعِ ضرر هؤلاء لَفَسَدَ الدين ، وكان فساده أعظم من فساد استيلاء العدو من أهل الحرب ، فإن هؤلاء إذا استولوا لم يُفسدوا القلوب وما فيها من الدين إلا تبعًا ، وأما أولئك فهم يفسدون القلوب ابتداء ، وقد قال النبي ﷺ : (إن الله لا ينظر إلى صُوركم وأموالكم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم)[2] ، وذلك أن الله يقول فى كتابه ﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب﴾ ، فأخبر أنه أنزل الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط ، وأنه أنزل الحديد كما ذكره ، فقِوام الدين بالكتاب الهادي والسيف الناصر ، ﴿وكفى بربك هاديا ونصيرا﴾ ...

فاذا كان أقوام منافقون يبتدعون بدعا تخالف الكتاب ويُلَبِّسونها على الناس ولم تُبَيَّن للناس ؛ فَسَدَ أمرُ الكتاب وبُدِّل الدين كما فسد دين أهل الكتاب قبلنا بما وقع فيه من التبديل الذي لم يُنكَر على أهله.

واذا كان أقوام ليسوا منافقين لكنهم سماعون للمنافقين قد التبس عليهم أمرهم حتى ظنوا قولَهم حقا وهو مخالف للكتاب وصاروا دعاة إلى بدع المنافقين فلا بد أيضا من بيان حال هؤلاء ، بل الفتنة بحال هؤلاء أعظم ، فإن فيهم إيمانا يوجب موالاتهم وقد دخلوا فى بدعٍ من بدع المنافقين التي تُفسد الدين ، فلا بد من التحذير من تلك البدع وان اقتضى ذلك ذِكرهم وتعيينهم ، بل ولو لم يكن قد تلقوا تلك البدعة عن منافق لكن قالوها ظانين أنها هدى وأنها خيرٌ وأنها دين ولم تكن كذلك ؛ لوجب بيان حالها.

ولهذا وجب بيان حال من يغلط فى الحديث والرواية ، ومن يغلط فى الرأي والفتيا ، ومن يغلط فى الزهد والعبادة وإن كان المخطئ المجتهد مغفورا له خطؤه وهو مأجور على اجتهاده ، فبيان القول والعمل الذى دل عليه الكتاب والسنة واجبٌ وان كان فى ذلك مخالفة لقوله وعمله.[3] انتهى كلامه رحمه الله.

---

[1] أي الراد على أهل البدع.

[2] رواه مسلم (2564).

[3] «مجموع الفتاوى» (28/231-234).

قال مقيده عفا الله عنه: وقد وصف النبي ﷺ مروِّجي الشبه بين الناس بالدجاجلة ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : يكون في آخر الزمان دجالون كذابون ، يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم ، فإياكم وإياهم ، لا يُضلونكم ولا يفتنونكم.[1]

وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: إن بين يدي الساعة كذابين فاحذروهم.[2]

- **علاج الشبه يكون بالرجوع إلى العلماء الربانيين ، المتبعين للكتاب والسنة وفق فهم السلف الصالح**

وكما تقدم من كلام أهل العلم ؛ فإن في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ الهدى والنور ، والجواب عن جميع الإشكالات التي قد تعرِضُ للمسلم فيما يتعلق بأمور دينه ، لأن النبي ﷺ ترك الناس على جادة بيضاء نقية ، ليس فيها لبس ولا اختلاف ، فمن عرض عليه إشكال أو طرأ عليه استفسار فما عليه إلا البحث عن جوابه في الكتاب والسنة ، مسترشدا بكلام أهل العلم الموثوق بعلمهم وأمانتهم ودينهم ، سواء المُدوَّن في الكتب أو الأشرطة أو بالاتصال بهم شخصيا ، قال تعالى ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ ، وقال تعالى ﴿وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾ ، وأهل الاستنباط هم العلماء.

أقول: ولا يخلو زمان من علماء ربانيين يفندون شبه أهل الباطل ويردُّون عليهم ، كما قال ابن تيمية رحمه الله:

«هذه الأمة ولله الحمد لم يزل فيها من يتفطن لما في كلام أهل الباطل من الباطل ويرُدُّه ، وهم لما هداهم الله به يتوافقون في قبول الحق وردِّ الباطل رأيا ورواية ، من غير تشاعر ولا تواطؤ».[3]

وقال الشيخ الأديب سليمان بن سحمان[4] رحمه الله:

من الدين كشف العيب عن كل كاذبٍ ... وعن كل بِدعيٍّ أتى بالمصائب

ولولا رجال مؤمنون لهُدِّمت ... معاقلُ دين الله من كل جانب

---

[1] رواه مسلم (7) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

[2] رواه مسلم (1822).

[3] «مجموع الفتاوى» (233/9).

[4] تقدمت ترجمته.

- **الشبهات لا تؤثر في الراسخين في العلم**

قال الإمام ابن القيم رحمه الله في وصف حال المقلد ، قليل البصيرة في دين الله:
إذا وردت على قلبه أدنى شبهة قدحت فيه الشك والريب ، بخلاف الراسخ في العلم ؛ لو وردت عليه من الشبه بعدد أمواج البحر ما أزالت يقينه ولا قدحت فيه شكا ، لأنه قد رسخ في العلم ، فلا تستفزه الشبهات ، بل إذا وردت عليه ردها حَرَسُ العلم وجيشُه مغلولة مغلوبة.[1]

- **أهل الباطل يخلِطون شبههم بشيء من الحق ليروج بين الناس**

قال الشيخ صالح بن فوزان الفوزان حفظه الله: وقوله تعالى ﴿يوحي بعضهم إلى بعض زُخرف القول غرورا﴾ ، الزخرف في الأصل الذهب ، وزُخرف القول هو القول المُمَوَّه المُزوَّر لأجل أن يُغَرُّ الناس ، فالقول المزخرف هو الباطل المغلف بشيء من الحق ، وهذا من أعظم الفتنة ، لأن الباطل لو كان مكشوفا ما قبِله أحد ، لكن إذا غُطِّي بشيء من الحق فإنه يقبله كثير من الناس ، وينخدعون بهذه الزخرفة ، فهو باطل في صورة الحق.[2]
وقال ابن تيمية رحمه الله: ولا يشتبه على الناس الباطل المحض ، بل لا بد أن يُشابَ[3] بشيء من الحق.[4]
وقال أيضا: ولا يُنفَق[5] الباطل في الوجود إلا بشوبٍ من الحق ، كما أن أهل الكتاب لبِسوا الحق بالباطل بسبب الحق اليسير الذي معهم.[6]
وقال أيضا: كل ذي مقالة فلا بد أن تكون في مقالته شبهة من الحق ، ولولا ذلك لما راجَتْ واشتبهت.[7]
وقال ابن القيم رحمه الله: فكل صاحب باطل لا يتمكن من ترويج باطله إلا بإخراجه في قالب حق.[8]

- **عناية العلماء في القديم والحديث برد شُبَهِ أهل الباطل**

---

[1] «مفتاح دار السعادة» (442/1) ، تحقيق علي حسن عبد الحميد ، الناشر: دار ابن عفان – الخبر.
[2] انظر «شرح كتاب كشف الشبهات» له ، ص 56 ، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت.
[3] يُشاب أي يُخلط.
[4] انظر «مجموع فتاوى ابن تيمية» (37/8).
[5] يُنفَق الباطل أي يُروج.
[6] انظر «مجموع فتاوى ابن تيمية» (190/35).
[7] انظر «قاعدة في المحبة» ، ص 289 ، تحقيق: محمد رشاد سالم ، الناشر: مكتبة التراث الإسلامي – القاهرة.
[8] انظر «إغاثة اللهفان في مصائد الشيطان» (767/2) ، تحقيق علي بن حسن ، الناشر: دار ابن الجوزي – الدمام.

وقد عُني علماء الإسلام بالرد على شبه أهل الباطل على مر العصور والدهور ، سواء فيما يتعلق بتوحيد العبادة أو بتوحيد الأسماء والصفات أو غيره من مسائل العقيدة ، لأن هذا من الجهاد في سبيل الله ، ومن الدفاع عن الدين ، ولولا ردودهم لاستعلى الباطل وقَوِيَ ، واضمحل الحق وضَعُفَ.

وفيما يلي ثبتٌ يتضمن أسماء كتب أهل العلم المؤلفة في الدفاع عن توحيد العبادة ، وكشف الشبه المثارة حوله.[1]

[1] وللعلم ، فقد يسر الله إعداد قائمة علمية موسعة تحوي مراجع أهل السنة في العقيدة والشريعة والسلوك ، تتضمن أسماء كتب كثيرة في الرد على كثير من الطوائف والفرق المخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة في شتى مسائل العقيدة ، وقد وسمتها «الدليل لمراجع أهل السنة في العقيدة والشريعة والسلوك» ، وهي منشورة على شبكة المعلومات في الموقع التالي: www.saaid.net/kutob .

ثبت يتضمن أهم الكتب التي تُعنى بالرد على الشبهات المتعلقة بتوحيد العبادة

اسم الكتاب	اسم المؤلف	الناشر
كشف الشبهات	محمد بن عبد الوهاب	
شرح كتاب كشف الشبهات	محمد بن صالح بن عثيمين	دار الثريا – الرياض
شرح كتاب كشف الشبهات	صالح بن فوزان الفوزان	دار النجاح – الرياض
كشف ما ألقاه إبليس من البهرج والتلبيس على قلب داود بن جرجيس	عبد الرحمٰن بن حسن آل الشيخ	دار العاصمة – الرياض
تأسيس التقديس في كشف تلبيس داود بن جرجيس	عبد الله بن عبد الرحمٰن أبابطين	مؤسسة الرسالة – بيروت
منهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات داود بن جرجيس	عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن آل الشيخ	دار الهداية — الرياض
تحفة الطالب والجليس في كشف شبه داود بن جرجيس	سليمان بن سحمان	دار العاصمة – الرياض

الضياء الشارق في الرد على المارق الماذق	سليمان بن سحمان	دار العاصمة – الرياض
الصواعق المرسلة الشهابية على الشبة الداحضة الشامية	سليمان بن سحمان	دار العاصمة – الرياض
صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان	محمد بشير السهسواني الهندي	مكتبة العلم – جدة
تأييد الملك المنان في نقض ضلالات دحلان	صالح بن محمد الشثري	دار الحبيب – الرياض
فتح المنان في نقض شبه الحاج دحلان	زيد بن محمد آل سليمان	دار التوحيد للنشر – الرياض
الرد على شبهات المستعينين بغير الله	أحمد بن إبراهيم بن عيسى	دار العاصمة – الرياض
مصباح الظلام في الرد على من كذب على الشيخ الإمام	عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن آل الشيخ	دار الهداية — الرياض
المورد العذب الزلال في نقض شبه أهل الضلال	عبد الرحمٰن بن حسن آل الشيخ	دار الهداية — الرياض

البيان والإشهار لكشف زيغ الملحد الحاج مختار	فوزان السابق	
غاية الأماني في الرد على النبهاني	محمود شكري الألوسي	مكتبة الرشد – الرياض
كشف الشبهتين	سليمان بن سحمان	دار العاصمة – الرياض
هذه مفاهيمنا — رد على كتاب "مفاهيم يجب أن تصحح" لمحمد بن علوي المالكي	صالح بن عبد العزيز آل الشيخ	
دحض شبهات على التوحيد من سوء الفهم لثلاثة أحاديث	عبد الله بن عبد الرحمٰن أبابطين	دار العاصمة – الرياض
كشف غياهب الظلام عن أوهام جلاء الأفهام	سليمان بن سحمان	مكتبة أضواء السلف – الرياض
الأسنة الحداد في رد شبهات علوي الحداد	سليمان بن سحمان	مكتبة أضواء السلف – الرياض
فتح الملك الوهاب في رد شبه المرتاب (رد على شبهات في إعراب كلمة التوحيد)	عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن آل الشيخ	

الإبطال والرفض لعدوان من تجرأ على كشف الشبهات بالنقض ، ويليه: ملامح جهمية (وهو رد على حسن بن فرحان المالكي)	عبد الكريم بن صالح الحميد	دار الصفوة – مصر
الأحاديث الموضوعة التي تنافي توحيد العبادة	أسامة بن عطايا العتيبي	مكتبة الرشد – الرياض
الإخنائية أو الرد على الإخنائي	شيخ الإسلام ابن تيمية	دار الخراز – جدة
اللمعة في الأجوبة السبعة	شيخ الإسلام ابن تيمية	دار الصميعي – الرياض
شفاء الصدور في الرد على الجواب المشكور	محمد بن إبراهيم آل الشيخ	مدار الوطن – الرياض
حكم الله الواحد الصمد في حكم الطالب من الميت المدد	محمد بن سلطان الحنفي	دار الصميعي – الرياض
المشاهدات المعصومية عند قبر خير البرية	محمد بن سلطان الحنفي	دار العاصمة – الرياض
الفرقان بين توحيد أهل السنة وتوحيد القبوريين	مجدي بن حمدي بن أحمد	

زيارة القبور الشرعية والبدعية	محيي الدين البركوي الحنفي	دار العاصمة – الرياض
المجالس الأربعة من مجالس الأبرار	أحمد الرومي الحنفي	دار العاصمة – الرياض
جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية	شمس الدين السلفي الأفغاني	دار الصميعي – الرياض
الآيات البينات في عدم سماع الأموات عند الحنفية السادات	نعمان بن محمود الآلوسي	المكتب الإسلامي – بيروت
تطير الاعتقاد عن أدران الإلحاد للصنعاني ، ويليه شرح الصدور في تحريم رفع القبور للشوكاني	محمد بن إسماعيل الصنعاني/ محمد بن علي الشوكاني	دار المغني – الرياض
مسألة في الذبائح على القبور وغيرها	محمد بن إسماعيل الصنعاني	دار ابن حزم – بيروت
شفاء الصدور في زيارة المشاهد والقبور	زين الدين مرعي بن يوسف الكرمي	مكتبة نزار الباز – مكة
المجموع المفيد في نقض القبورية ونصرة التوحيد	محمد بن عبد الرحمٰن الخميس	دار أطلس الخضراء – الرياض

النبذة الشريفة النفيسة في الرد على القبوريين	حمد بن ناصر آل معمر	دار العاصمة – الرياض
معارج الألباب في مناهج الحق والصواب	حسين بن مهدي النعمي	دار المغني – الرياض
من بدع القبور	حمد بن عبد الله الحميدي	دار المتعلم – الزلفي
تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد	محمد ناصر الدين الألباني	المكتب الاسلامي – بيروت
الصارم المنكي في الرد على السبكي	محمد بن أحمد بن عبد الهادي	مؤسسة الريان – بيروت
الكشف المبدي لتمويه أبي الحسن السبكي (تكملة الصارم المنكي)	محمد بن حسين الفقيه	دار الفضيلة – الرياض
هدم المنارة لمن صحح أحاديث التوسل والزيارة	عمرو عبد المنعم سليم	دار الضياء – طنطا
رسالة في التبرك والتوسل والقبور	عبد العزيز بن عبد الله بن باز	مدار الوطن – الرياض

الرد على فيصل مراد علي رضا فيما كتبه عن شأن الأموات وأحوالهم	صالح بن فوزان الفوزان	دار العاصمة – الرياض
الإجابة الجلية على الأسئلة الكويتية	حمود بن عبد الله التويجري	مكتبة المعارف – الرياض
أوضح الإشارة في الرد على من أجاز الممنوع من الزيارة	أحمد بن يحيى النجمي	مكتبة الغرباء الأثرية – المدينة
الاستغاثة في الرد على البكري	شيخ الإسلام ابن تيمية	مكتبة دار المنهاج – الرياض
تنبيه زائر المدينة على الممنوع والمشروع من الزيارة	صالح بن غانم السدلان	دار بلنسية – الرياض
الانتصار لحزب الله الموحدين والرد على المجادلين المشركين	عبد الله بن عبد الرحمٰن أبابطين	دار ابن الجوزي – الدمام
شبهات المبتدعة في توحيد العبادة	د. عبد الله بن عبد الرحمٰن الهذيل	مكتبة الرشد – الرياض
مجانبة أهل الشبور المصلين في المشاهد وعند القبور (رد على من أجاز الصلاة في المقابر وعند القبور)	عبد العزيز بن فيصل الراجحي	مكتبة الرشد – الرياض

زيارة القبور عند المسلمين	سالم بن قطوان العبدان	دار غراس – الكويت
بدع القبور ، أنواعها وأحكامها	صالح بن مقبل العصيمي	دار الفضيلة – الرياض
التحذير من تعظيم الآثار غير المشروعة	عبد المحسن بن حمد العباد	دار المغني – الرياض
البيان المبدي لشناعة القول المجدي ، ويليه رجم أهل التحقيق والإيمان	سليمان بن سحمان	دار أضواء السلف – الرياض
القبورية (نشأتها – آثارها)	أحمد بن حسن المعلم	دار ابن الجوزي – الدمام
البناء على القبور	عبد الرحمٰن بن يحيى المعلمي	دار أطلس الخضراء – الرياض

خلاصة البحث

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، أما بعد:

فخلاصة البحث أن إفراد الله بالدعاء حق ثابت لله وحده ، بدلالة بالكتاب والسنة وإجماع المسلمين ، لا يُشكل عليه شبهة عقلية ولا حديث ضعيف أو مكذوب على النبي ﷺ ، وهكذا غير الدعاء من العبادات ، كالصلاة والزكاة والطواف والذبح والنذر وغيرها من العبادات ، كلها لا يجوز صرفها لغير الله مطلقا ، ومن صرف منها شيئا لغير الله فقد أشرك بالله تعالى ، وخرج من ملة الإسلام ، عياذا بالله من ذلك.

وبهذا تم هذا الكتاب ، نفع الله به كاتبه وقارئه وناشره ، والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد ، وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين.

وكتبه ، ماجد بن سليمان الرسي

السبت ، الرابع والعشرين من شهر جمادى الآخرة لعام ١٤٣٤ هجري

ثبت لأهم مراجع الكتاب

١. الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار ، عبد الله بن أبي شيبة ، تحقيق محمـــــد بن عبد السلام بن شاهين ، الناشر: مكتبة دار الباز – مكة

٢. المنتخب من مسند عبد بن حميد ، تحقيق مصطفى العدوي ، الناشر: دار بلنسية – الرياض

٣. شعب الإيمان ، أبي بكر البيهقي ، تحقيق محمد السعيد بن بسيوني زغلول ، ط ١ ، الناشر: دار الكتب العلمية – لبنان

٤. المدخل إلى السنن الكبرى ، أبي بكر البيهقي ، تحقيق د. محمد ضياء الرحمٰن الأعظمي ، الناشر: مكتبة أضواء السلف – الرياض

٥. جامع بيان العلم وفضله ، ابن عبد البر ، تحقيق أبي الأشبال الزهيري ، الناشر: دار ابن الجوزي – الدمام

٦. أخبار مكة ، محمد بن عبد الله الأزرقي ، تحقيق د. عبد الملك بن عبد الله بن دهيش

٧. الأصنام ، هشام بن محمد الكلبي ، الناشر: المجمع الثقافي – الإمارات

٨. العلو ، شمس الدين الذهبي ، تحقيق أشرف عبد المقصود ، الناشر: مكتبة أضواء السلف – الرياض

٩. اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ، ابن تيمية ، تحقيق د. ناصر بن عبد الكريم العقل ، ط٥ ، الناشر: مكتبة الرشد – الرياض

١٠. قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ، ابن تيمية ، تحقيق د. ربيع بن هادي ، ط ١ ، الناشر: مكتبة لينة – مصر

١١. الاستغاثة في الرد على البكري ، ابن تيمية ، تحقيق عبد الله السهلي ، ط ١ ، الناشر: مدار الوطن – الرياض

١٢. الداء والدواء ، ابن القيم ، تحقيق علي حسن عبد الحميد ، الناشر: دار ابن الجوزي – الدمام

١٣. إغاثة اللهفان ، ابن القيم ، تحقيق علي حسن عبد الحميد ، الناشر: دار ابن الجوزي – الدمام

١٤. مدارج السالكين ، ابن القيم ، تحقيق عبد العزيز بن ناصر الجليل ، الناشر: دار طيبة – الرياض

١٥. مفتاح دار السعادة ومنـــشور ولاية أهل العلم والريادة ، ابن القيم ، تحقيق علي حسن عبد الحميد ، الناشر: دار ابن عفان – الخبر

١٦. تحقيق كلمة الإخلاص ، ابن رجب الحنلي ، تحقيق إبراهيم بن عبد الله الحازمي ، الناشر: دار الشريف – الرياض

١٧. تجريد التوحيد المفيد ، أحمد بن علي المقريزي المصري الشافعي ، تحقيق علي بن محمد العمران ، الناشر: دار عالم الفوائد — مكة

١٨. تأسيس التقديس في كشف تلبيس داود بن جرجيس ، عبد الله أبابطين ، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت

١٩. منـــهاج التأسيس والتقديس في كشف شبـهات داود بن جرجيس ، عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ، الناشر: مكتبة الهداية — الرياض.

٢٠. النبذة الشريفة النفيسة في الرد على القبوريين ، حـــــمد بن ناصر آل معمر ، تحقيق عبد السلام بن برجس ، الناشر: دار العاصمة – الرياض

٢١. المجموع المفيد في نقض القبورية ونصرة التوحيد ، د. محمد بن عبد الرحمٰن الخميس ، الناشر: دار أطلس – الرياض

٢٢. شفاء الصدور في زيارة المشاهد والقبور ، مرعي بن يوسف الكرمي ، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز – مكة

٢٣. الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد ، محمد بن علي الشوكاني ، تحقيق أبي عبد الله الحلبي ، الناشر: دار ابن خزيمة – الرياض

٢٤. فصل المقال في توسل الجهال ، محمد عارف خوقير الكتبي المكي ، الناشر: دار المسلم – الرياض

٢٥. الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، جمع عبد الرحمٰن بن محمد بن قاسم ، الناشر: دار القاسم — الرياض

٢٦. دمعة على التوحيد ، (حقيقة القبورية وأثرها في واقع الأمة) ، الناشر: المنتدى الإسلامي – لندن

٢٧. تحفة الذاكرين ، محمد بن علي الشوكاني ، الناشر: مكتبة دار التراث – القاهرة

٢٨. عجالة الراغب المتمني في تخريج كتاب «عمل اليوم والليلة» لابن السني ، تحقيق سليم الهلالي ، الناشر: دار ابن حزم – بيروت

٢٩. صحيح الكلم الطيب ، ابن تيمية ، تحقيق الألباني ، ط ٣ ، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت

٣٠. الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة المعروف بالموضوعات الكبرى ، الملا علي القاري ، تحقيق د. محمد بن لطفي الصباغ ، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت

٣١. نقد المنقول والمحك المميز بين المردود والمقبول ، ابن القيم ، تحقيق عبد الرحمٰن بن يحيى المعلمي اليماني ، الناشر: دار العاصمة – الرياض

٣٢. كتاب المجروحين من المحدثين ، ابن حبان ، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي ، الناشر: دار الصميعي – الرياض
٣٣. الكامل في ضعفاء الرجال ، ابن عدي ، تحقيق عادل عبد الموجود وعلي معوض ، الناشر: دار الكتب العلمية – لبنان
٣٤. موسوعة أقوال أبي الحسن الدارقطني في رجال الحديث وعلله ، إعداد جماعة من الباحثين ، الناشر: عالم الكتب – لبنان
٣٥. العلل المتناهية في الأحاديث الواهية ، لأبي الفرج ابن الجوزي ، عناية خليل الميس ، الناشر: دار الكتب العلمية – لبنان
٣٦. كتاب العلل ومعرفة الرجال ، أحمد بن حنبل ، تحقيق وصي الله عباس ، الناشر: دار الخاني – بيروت
٣٧. كتاب الجرح والتعديل ، عبد الرحمٰن بن أبي حاتم الرازي ، الناشر: دار الكتب العلمية — لبنان
٣٨. كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما جرى عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس ، إسماعيل بن محمد العجلوني ، عناية: أحمد القلاش ، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت

الموضوع
• مقدمة
• فهرست
• تأصيلات علمية بين يدي البحث
• مكانة الدعاء بين سائر العبادات
• فصل في الأمر بدعاء الله وحده والنهي عن دعاء غيره
• تأصيلات في مسألة الشفاعة
• فصل في بيان أنواع شفاعات النبي ﷺ يوم القيامة
▪ **الأولى**: شفاعته لبدء الحساب
▪ **الشفاعة الثانية**: شفاعته ﷺ للمؤمنين في دخول الجنة
▪ **الشفاعة الثالثة**: شفاعته لمن لا حِساب عليهم يوم القيامة في دخول الجنة
▪ **الشفاعة الرابعة**: شفاعته لعمه أبي طالب لتخفيف العذاب عنه
▪ **الشفاعة الخامسة**: شفاعته ﷺ لعصاة المؤمنين من أهل الكبائر ممن دخلوا النار أن يخرجوا منها بعدما عُذِّبوا فيها بقدر ذنوبهم
▪ إشكال والجواب عليه
▪ فائدة عزيزة

• **الشبهة الأولى**: شبهة اتخاذ الواسطة والشفاعة في الدعاء ، وبيان بطلانها من ستة عشر وجها:
١. أن الله تعالى أمرنا بأن ندعوه مباشرة بدون اتخاذ واسطة.
٢. أن دعاء غير الله شرك أكبر مهما كانت ذريعته ، وهو قول سائر علماء الأمة من أتباع المذاهب وغيرهم:
أ- قول علماء الحنفية
ب- قول علماء الشافعية
ت- قول علماء الحنابلة
ث- قول علماء المالكية
ج- قول العلماء الغير منتسبين لمذهب معين
٣. أن اتخاذ العبد واسطة بينه وبين ربه هو فِعل مشركي مكة الذين بُعِث فيهم النبي ﷺ .
٤. أن الله لو كان يرضى باتخاذ العبد واسطة بينه وبين ربه لاستفاض الأمر بذلك في الكتاب والسنة.

٥. لو كان اتخاذ الوسائط بين الله وبين خلقه جائزا لفعله الصحابة.
٦. أن متخذيها يَنسون وسائطهم إذا اشتد الكرب ويدْعُونها في الرخاء.
٧. أن طلب التشفع والتوسط في اللغة وفي الشرع يكون بطلب شخص من غيره التوسط له عند ثالث لقضاء حاجته ، أما ما يفعله عباد القبور فإنهم يطلبون حاجاتهم من الواسطة نفسها.
٨. ليس في صلاح الموتى ما يوجب اتخاذهم واسطة أصلا
٩. أن قياس الله على ملوك الدنيا باطل من ستة وجوه ؛ العلم والتدبير والغنى والملك والرحمة والقدرة ، والكلام على كل واحد منها.
١٠. أن الله تعالى أخبر بأنه يستجيب للعبد ولو كان عنده معاصي بل لو كان كافرا ، فما الداعي لاتخاذ الواسطة إذن؟!
١١. أن اتخاذ الواسطة يلغي العلاقة المباشرة بين العبد وبين وربه ويقطع الصلة بينهما ، وكفى بهذا خسارة.
١٢. أن متخذ الواسطة قد حرم نفسه من خير كثير ، ألا وهو فرح الله بإقباله إليه.
١٣. أن تلك الوسائط لا تقوم بدعاء الله كما يظنه من يدعوهم ، لأنهم إما جمادات وإما موتى.

١٤. تصريح القرآن بأن أولئك الشفعاء لن يشفعوا لهم يوم القيامة
١٥. أن أولئك المدعُوين من الأنبياء والصالحين – ممن اتخذهم الناس واسطة – هم أنفسهم محتاجون لدعاء الأحياء واستغفارهم لهم.
١٦. أن الاعتماد على مبدأ القياس لتسويغ اتخاذ واسطة بين العبد وبين ربه باطلٌ من وجهين
• خلاصة الجواب عن الشبهة الأولى ؛ شبهة اتخاذ العبد واسطة بينه وبين ربه
• **الشبهة الثانية**: الشبهة المتعلقة بشفاعة النبي ﷺ لأمته في الآخرة ، والرد عليها من عشرة وجوه:
١. كون النبي ﷺ شفيع الناس في الآخرة لا يقتضي دعائه للحصول على تلك الشفاعة
٢. أن النبي ﷺ لا يملك الشفاعة أصلا حتى يصح طلبها منه
٣. أن النبي ﷺ وغيره من الشفعاء لا يشفعون لمن شاؤوا يوم القيامة ، بل فيمن تحققت فيه شروط الشفاعة

• فصل في بيان الوسائل الشرعية للحصول على شفاعة النبي ﷺ في الآخرة
٤. أن دعاء غير الله شرك أكبر مهما كانت ذريعته ، لنيل الشفاعة أو غيره ، والشرك محرم في جميع الشرائع
٥. ليس هناك دليل واحد من كتاب الله أو من سنة رسول الله ﷺ الصحيحة أو من إجماع الأمة على جواز طلب الشفاعة من المخلوقين
٦. أن الذين يشفعون يوم القيامة للمؤمنين في دخول الجنة والنجاة من النار كثير وليس النبي ﷺ وحده ، فلماذا لا تدعوهم أيضا وتطلب الشفاعة منهم؟!
٧. أن الأموات قد انقطعوا عن الحياة الدنيا ، وما عادت تنطبق عليهم قوانين الحياة الدنيا ، فكيف يصح دعاؤهم وطلب الشفاعة منهم؟
٨. أن النبي ﷺ طلب منا أن نصلي عليه وندعو له ، حيا وميتا ، فمن كان هذا حاله فكيف يصح أن تطلب منه الحاجات وهو في قبره؟!
٩. أن جميع من كانوا يُعبدون من دون الله سَيَخذُلون من كانوا يعبدونهم يوم القيامة ويتبرؤون منهم ، سواء الأنبياء أو غيرهم

١٠. أن أهل السنة مجمعون أن للنبي ﷺ أنواعا من الشفاعة يشفع بها ، ولم يذكروا منها ما يُطلب منه في قبره ، بل كلها يوم القيامة.
• خلاصة الجواب عن شبهة طلب الشفاعة من النبي ﷺ في الدنيا
• تنبيه – بيان الشرك الوارد في قصيدة «البردة» لمحمد بن سعد البوصيري
• **الشبهة الثالثة** : شبهة التوسل ، وبيان بطلانها من ثلاثة وجوه:
١. أن دعاء الصالحين ليس بوسيلة شرعية أصلا لحصول المقصود
٢. أن الآية الكريمة لا تدل على أن دعاء الصالحين وسيلة لإجابة الدعاء
٣. أن اعتقاد أن الله هو الفاعل والمؤثر والمدبر للكون لا يغني شيئا إذا كان العبد يتوجه لغير الله بدعاء أو غيره
• فصل في ذكر بعض التقريرات العلمية لمسألة أن العبرة بالحقائق لا المسميات
• **الشبهة الرابعة** : دعوى أن عباد القبور ليسوا كفارا ، لكونهم يشهدون أن لا إله إلا الله ، وبيان بطلانها من ثلاثة وجوه:
١. أن مجرد التلفظ بـ «لا إله إلا الله» بدون تحقيق شروطها لا يغني شيئا

٢. أن مانعي الزكاة في عهد أبي بكر رضي الله عنه كانوا يقولون «لا إله إلا الله ، محمدا رسول الله» ، ومع هذا أجمع الصحابة على قتالهم
٣. أن أعظم ما أنكره مشركي مكة وحاربوا النبي ﷺ من أجله مسألة استحقاق الله للعبادة دون من سواه
• خلاصة الجواب عن الشبهة الرابعة
• **الشبهة الخامسة** : دعوى أن الشرك محصور بعبادة الأصنام ، والجواب عنها من خمسة وجوه:
١. أن الشِّرك في اللغة هو جعل الشيء شراكة بين اثنين
٢. أن الله صرح في القرآن بأن دعاء غيره شرك وكفر وضلال
٣. جلاء الفرق بين من دعا الله وحده وأنزل به حاجته وبين من أنزل حاجته بغير الله
٤. أن فعلهم مطابق لما كانت تفعله العرب في الجاهلية مع معبوداتهم
٥. أن الكفار الذين بُعِث فيهم النبي ﷺ ما كانوا كلهم يعبدون الأصنام ، بل كان منهم من يعبد الصالحين ومنهم من كان يعبد غير ذلك
• **الشبهة السادسة** : شبهة التجربة ، والجواب عنها من ستة وجوه:
١. أنه لم يرد في الكتاب والسنة أن دعاء الصالحين سبب لإجابة الدعاء ونيل المقاصد
٢. أن الله قد نص في كتابه على أنه لا يستجيب الدعاء إلا الله وحده

٣. أن الدعاء عبادة ، والعبادات لا تثبت بالتجربة أصلا ، بل بالدليل من كتاب الله أو من سنة رسوله ﷺ
٤. أن من الناس من يدعو بأدعية محرمة باتفاق المسلمين ويحصل له المقصود
٥. أن الوهم النفسي قد يؤثر في مثل هذه الحالات ، فالواجب الحذر
٦. أن من مكائد الشيطان أن الداعي إذا طلب من صاحب القبر أن يخبره عن مكان ضالته أجابه شيطان عن مكانها
• فصل هام لمن أراد امتحان الشياطين
• **الشبهة السابعة** : شبهة تقليد العلماء ، والجواب عن ذلك من خمسة وجوه
• فصل في التنبيه من علماء السوء
• **الشبهة الثامنة** : شبهة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ، وأشهرها سبعة:
١. حديث : لو أحسن أحدكم ظنه بحجر لنفعه الله به
٢. حديث: إذا تحيرتم في الأمور فاستعينوا بأهل القبور
٣. حديث الهيثم بن حنش قال: كنا عند عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فخدرت رجله ...
٤. أثر عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: خدَرت رِجلُ رَجلٍ عند ابن عباس ..
٥. حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة فليناد: (يا عباد الله احبسوا ...

٦. حديث عتبة بن غزوان رضي الله عنه عن نبي الله ﷺ قال: إذا أضل أحدكم شيئا ، أو أراد أحدكم عونا ، وهو بأرض ليس بها أنيس فليقل:
٧. حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : إن لله ملائكة في الأرض سوى الحفظة يكتبون ما يسقط من ورق الشجر ...
• خلاصة في الأحاديث التي تقرر دعاء غير الله
• فصل في التحذير من الوقوع في الشبهات ، وفيه أحد عشر مبحثا
١. تعريف الشبهة
٢. لكل شبهة جواب
٣. الشبهات تتجدد ولا حد لها
٤. عند ظهور الشبهات تتجلى حكمة الابتلاء للمؤمنين ، ويظهر الدين
٥. أقسام من يُروِّج الشبهات
٦. أخطر الشبه: الشبه المتعلقة بالاعتقاد
٧. وجوب الحذر من الشبهات وعدم الاستشراف لها
٨. واجب ولاة الأمر من العلماء والأمراء تجاه من يروجون الشبهات
٩. علاج الشبه يكون بالرجوع إلى العلماء الربانيين
١٠. عناية العلماء في القديم والحديث برد شبه أهل الباطل
١١. ثبت يتضمن أهم الكتب التي تُعنى بالرد على الشبهات المتعلقة بتوحيد العبادة

- خلاصة البحث
- ثبت مراجع الكتاب
- فهرست تفصيلي لمواضيع الكتاب